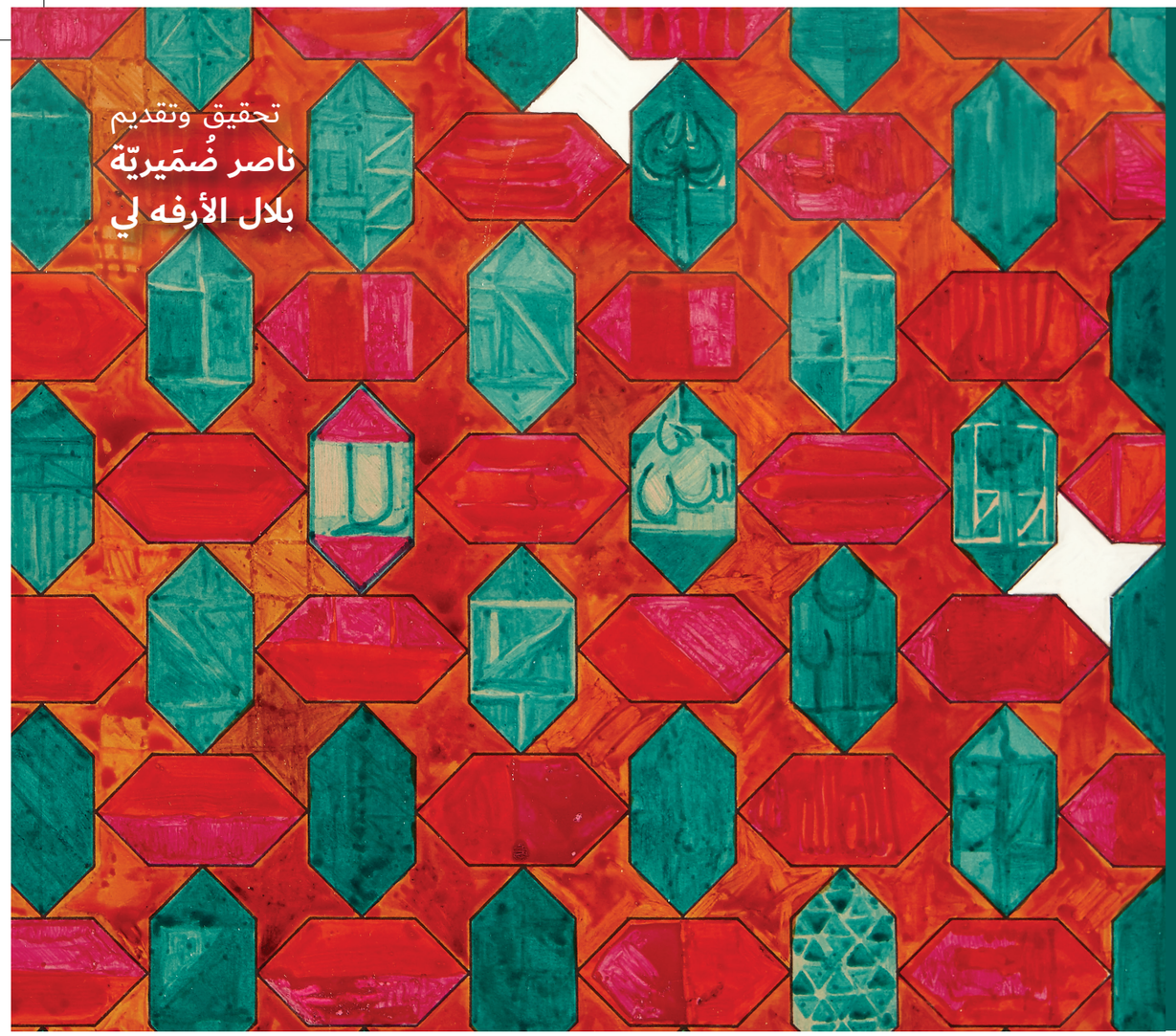

ناصر ضميرية وبلال الأرفه لي

كَفُّ المُعارِض ببراءة ابن عربيّ وابن الفارض

تحقيق وتقديم
ناصر ضُمَيريّة
بلال الأرفه لي

كَفُّ المُعارِض

ببراءة ابن عربيّ وابن الفارض

لعبد الله بن مصطفى الدملوجيّ الموصليّ الحنفيّ
(ت. ١٢٥٩/١٨٤٣)

سلسلة
نصوص ودروس
أبحاث إسلاميّة

دار المشرق

ISBN 978-2-7214-8187-0
9 782721 481870
Réf: TXTISL000014A

لمعرفة سعر الكتاب ومواصفاته، امسَحْ هذا الرمز

يقدّم هذا العمل تحقيقًا لكتاب كفّ المعارض ببراءة ابن عربيّ وابن الفارض لمؤلّفه عبد الله بن مصطفى الدملوجيّ (ت. ١٢٥٩/١٨٤٣). والكتاب دفاع عن الشيخين الصوفيّين الشهيرين بعد بروز تيّارات فكريّة وجّهت انتقادات لسلوك بعض الصوفيّة. يركّز الكتاب على ما استقرّ في مدرسة الشيخ الأكبر من رفض الحلول والاتّحاد، ويدافع عن فكرة الولاية، ويتطرّق إلى مسألة التكفير ويحذّر من خطورتها. تضع الدراسة المرفقة الكتابَ في سياقه الفكريّ العامّ في القرن الثاني عشر/ الثامن عشر، فتقدّم نبذة عن الموصل وعن الحياة الفكريّة والدينيّة في المدينة زمن الحكم الجليليّ، كما تقدّم لمحة عن عائلة الدملوجيّ وآثارها، ومنها المؤلّف الذي يعدّ شيخ العلماء في الموصل في زمانه. يقدّم هذا العمل للقارئ عَلَمًا جديدًا في تاريخ الفكر الإسلاميّ لم ينل ما يستحقّه من دراسة وبحث. ولئن كان توجّه الدملوجيّ الفكريّ عقليًّا وأدبيًّا أكثر من كونه صوفيًّا، فغالب الظنّ أنّه وضع رسالته هذه غيرة على الأولياء، ورغبة في التأليف في موضوع شغل العديد من علماء منطقته في ذلك العصر، الأمر الذي يكشف عن جوانب سياسيّة واجتماعيّة ودينيّة مهمّة في تاريخ العراق عامّة، وتاريخ الموصل في القرن الثاني عشر/الثامن عشر خاصّة.

ناصر ضُمَيريّة

باحث في الدراسات الإسلاميّة، جامعة مكجيل، كندا.

بلال الأرفه لي

أستاذ كرسيّ الشيخ زايد للدراسات العربيّة والإسلاميّة في الجامعة الأميركيّة في بيروت.

منشورات
دار المشرق

التوزيع
مكتبة إسطفان
موزّعون

كَفُّ المُعارِض

ببراعة ابن عربيّ وابنَ الفارض

لعبد الله بن مصطفى الدملوجيّ الموصليّ الحنفيّ

(ت. ١٢٥٩/١٨٤٣)

شرح صورة الغلاف:

من مجموعة 'تأمّلات هندسيّة' بيروت ١٩٨٢ بريشة سلمى سمر الدملوجي؛

(تصوير منصور ديب، ٢.٢١)

كَفُّ المُعارِض

ببراءة ابن عربيّ وابن الفارض

لعبد اللّه بن مصطفى الدملوجيّ الموصليّ الحنفيّ
(ت. ١٢٥٩/١٨٤٣)

تحقيق وتقديم

ناصر ضُمَيريّة

بلال الأرفه لي

دار المشرق

كَفُّ المُعارِض ببراءة ابن عربيّ وابن الفارض
لعبد الله بن مصطفى الدملوجيّ الموصليّ الحنفيّ (ت. ١٢٥٩/١٨٤٣)

الطبعة الأولى ٢٠٢٣

دار المشرق
الأشرفيّة - بيروت، لبنان
هاتف: ٢٠٢٤٢٣-١-٩٦١+
info@darelmachreq.com
www.darelmachreq.com

التدقيق اللغويّ، وتصميم الغلاف، والإخراج: **فريق دار المشرق**

ISBN: 978-2-7214-8185-6

التوزيع:

مكتبة إسطفان
موزّعون - ش.م.ل.
فرن الشباك - بيروت، لبنان
هاتف: ٢٨٣٣٣٣-١-٩٦١+
info@librairiestephan.com
www.librairiestephan.com

حقوق الطبع محفوظة © **دار المشرق ش.م.م**

جميع الحقوق محفوظة، لا يُسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب، أو أيّ جزءٍ منه، أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقلها، أو استنساخه بأيّ شكلٍ من الأشكال، من دون إذنٍ خطّيّ مسبق من النّاشر.

"العالم العابد، والحبر الزاهد، من زيّن بمآثره العلوم العقليّة والنقليّة، وملك بنقد ذهنه جواهرها السنيّة، وسوّر معصم الأفاضل بسلاسل الإفادة، أبو عبد الرحمن شمس الدين عبد الله أفندي دملوجي زاده".

من إجازة محمّد صالح الخطيب الموصليّ لتلميذه محمّد الرضوانيّ سنة ١٣٠٥هـ

مقدّمة التحقيق

بعد سقوط الدولة العبّاسيّة، حكمت الدولتان المغوليّة فالتركمانيّة بلاد العراق التي خضعت في بداية القرن العاشر/ السادس عشر للحكم العثمانيّ. وتُعدّ الموصل من أولى المدن العربيّة التي خضعت للسيطرة العثمانيّة منذ سنة ٩٢٣/ ١٥١٧ [١] حتّى سنة ١٩١٨م. وقد شكّل موقع العراق الجغرافيّ حدًّا فاصلًا بين الدولتين العثمانيّة والصفويّة، وهو ما جعله ساحة صراع عسكريّ، فشهد بذا حصارًا وحروبًا امتدّت لأكثر من قرن إلى أن استتبّ الأمر للعثمانيّين.[٢]

(١) للتوسّع في ما يتعلّق بالإدارة العثمانيّة في الموصل وحدودها الإداريّة، انظر: عليّ شاكر عليّ، *ولاية الموصل العثمانيّة في القرن السادس عشر: دراسة في أوضاعها السياسيّة والإداريّة والاقتصاديّة* (عمّان: دار غيداء للنشر والتوزيع، ٢٠١١). ويشير الباحث إلى إمكانيّة كون الموصل ثاني المدن التي دخلت تحت السيطرة العثمانيّة بعد مدينة حلب، انظر: عليّ، *ولاية الموصل العثمانيّة*، ص ٥٨. وانظر أيضًا: سهيل قاشا، *الموصل في العهد الجليليّ ١١٣٩-١٢٥٠ هـ/ ١٧٢٦-١٨٣٤ م* (بيروت: دار التنوير ومكتبة السائح، ٢٠١٠)؛

Percy Kemp, "Mosul and Mosuli Historians in the Jalīlī Era (1726-1834)" (PhD diss., University of Oxford, 1979); Dina Rizk Khoury, *State and Provincial Society in the Ottoman Empire: Mosul, 1540-1834* (Cambridge: Cambridge University Press, 1997).

ونقلت سلوى زكو هذا الكتاب إلى العربيّة، انظر: دينا رزق خوري، *الدولة ومجتمع الولاية في الإمبراطوريّة العثمانيّة: الموصل ١٥٤٠-١٨٣٤*، ترجمة سلوى زكو (الدوحة: المركز العربيّ للأبحاث ودراسة السياسات، ٢٠١٨)؛

Keiko Kiyotaki, ed., *Ottoman Land Reform in the Province of Baghdad* (Leiden: Brill, 2019); Gökhan Çetinsaya, *Ottoman Administration of Iraq, 1890–1908* (New York: Routledge, 2006); Hala Mundhir Fattah and Frank Caso, *A Brief History of Iraq* (New York: Facts on File, 2009); Cengiz Eroğlu et al., eds., *Mosul in the Ottoman Vilâyet Salnâmes*, trans. Ümit İldan (Ankara: ORSAM, 2012).

(٢) للتوسّع في الصراع الصفويّ – العثمانيّ على الموصل، انظر: عليّ، *ولاية الموصل العثمانيّة*؛ وسيّار الجميل، *تكوين العرب الحديث* (عمّان: دار الشروق، ١٩٩٧)، وخاصّة الفصل الثاني المتعلّق بالحروب العثمانيّة الإيرانيّة. وقد تطرّقت معظم الأعمال المذكورة في هذه المقدّمة، والتي تتناول=

قسّم العثمانيّون العراق إلى ثلاث ولايات، وهي: بغداد، والبصرة، والموصل. وقد نأت السلطة العثمانيّة بنفسها عن التدخّل في الشؤون الداخليّة للولايات العثمانيّة في العالم العربيّ في بدايات حكمها، وتركت زمام الحكم في المسائل الاجتماعيّة والدينيّة للقوى المحلّيّة التي كانت تتولّى مسألة الولاية وإدارة الحكم، وحصرت السلطة العثمانيّة تدخّلها في ما تحتاجه الدولة من ضرائب أو غلال أو جنود في حالات الحرب. وأدّى توجّه الدولة العثمانيّة الحنفيّ دورًا في بروز بعض الأسر المحلّيّة، أو تلك التي استقدمها العثمانيّون لنشر المذهب الحنفيّ، وذلك بتولية أفرادها بعض المناصب الدينيّة في التدريس والإفتاء والقضاء. ومن أشهر الأسر العلميّة في الموصل في الحقبة العثمانيّة نذكر: السادة، والعمريّة، وآل الجليليّ الذين حكموها لما يزيد عن القرن، من سنة ١١٣٩/ ١٧٢٦ إلى سنة ١٢٥٠/ ١٨٣٤،[٣] وهي الحقبة التي قضى فيها الشيخ عبد الله الدملوجيّ (ت. ١٢٥٩/ ١٨٤٣) – مؤلِّف الكتاب قيد التحقيق – معظمَ حياته. يقتصر عرضنا للسياقات التاريخيّة والسياسيّة والفكريّة التي نشأ فيها الشيخ الدملوجيّ وعمل وألّف على هذه الحقبة من تاريخ الموصل.

الموصل في الحكم الجليليّ

في سنة ١١٣٩/ ١٧٢٦ وصل إلى الحكم رجلٌ من آل عبد الجليل، المعروفين بالجليليّة أو الجليليّين، وشكّل هذا بداية حكم الأسرة الجليليّة التي حكمت الموصل حتّى سنة ١٢٥٠/ ١٨٣٤، وقد تخلّلت حكمها مراحل من الفوضى والنزاعات. وكان جدّهم الأكبر عبد الجليل بن عبد الملك قد أقبل من ديار بكر واستوطن الموصل، ومِن أولاده مَن تسلّم الولاية والوزارة والمناصب الدينيّة.[٤]

=تاريخ الموصل، لهذا الصراع بالتفصيل، خاصّة كتاب *تاريخ الموصل* لسليمان الصائغ الموصليّ [(القاهرة: المطبعة السلفيّة، ١٩٢٣)]، وكتاب *تاريخ الموصل* لسعيد الديوه جي بجزئيه الأوّل [(بغداد: مطبوعات المجمع العلميّ العراقيّ، ١٩٨٢)]، والثاني [(بغداد: المجمع العلميّ العراقيّ، ٢٠٠٢)]. انظر أيضًا:

Robert W. Olson, *The Siege of Mosul and Ottoman-Persian Relations 1718–1743: A Study of Rebellion in the Capital and War in the Provinces of the Ottoman Empire* (Bloomington: Indiana University Publications, 1975).

(٣) عليّ، *ولاية الموصل العثمانيّة*، ص ٦٦ وما يليها. وانظر أيضًا: صائغ الموصليّ، *تاريخ الموصل*، ج ١، ص ٢٦٥.

(٤) صائغ الموصليّ، *تاريخ الموصل*، ج ١، ص ٢٧٣.

شهدت المنطقة حربًا طويلة بين الدولتَين العثمانيّة والصفويّة، إذ استولى الصفويّون على بغداد سنة ١٠٣٢/ ١٦٢٢، واتّجهوا بعدها إلى الموصل واستولوا عليها، إلّا أنّ السلطان مراد خان الرابع (ت. ١٠٤٩/ ١٦٤٠) استعادها سنة ١٠٤٨/ ١٦٣٨ وتمكّن من استرداد بغداد بعدها.(٥) ولمّا تولّى نادر شاه (ت. ١١٦٠/ ١٧٤٧)، المعروف بطهماسب الثالث، الحكم في الدولة الصفويّة استولى على بغداد مرّة أخرى، وحاصر الموصل في شهر شوّال من سنة ١١٤٥/ ١٧٣٢، غير أنّ أهلها تصدّوا له، وبرزت بينهم حينها الأسرة الجليليّة. ثمّ حاول نادر شاه السيطرة على الموصل مرّة أخرى سنة ١١٥٦/ ١٧٤٣، فحاصرها، إلّا أنّ صمود أهلها وتصدّيهم له بقيادة حسين باشا الجليليّ (ت. ١١٧١/ ١٧٥٨) قد منعاه من ذلك.(٦) وكان لنجاح الأسرة الجليليّة في دفع الخطر الصفويّ أثر في تعزيز مركز الأسرة لدى الباب العالي من جهة، وفي التفاف الموصليّين حولها من جهة ثانية. ونظرًا للخدمات الكبيرة التي قدّمتها الأسرة الجليليّة للعثمانيّين في الحرب الصفويّة – العثمانيّة – من تجهيز العساكر في الموصل ومدّهم بالذخيرة والمال – كافأتهم الدولة العثمانيّة بأن عيّنت إسماعيل باشا بن عبد الجليل (ت. ١١٤٦/ ١٧٣٣) واليًا على الموصل سنة ١١٣٩/ ١٧٢٦.

شكّلت الموصل تاريخيًّا امتدادًا طبيعيًّا للجزيرة الفراتيّة وبلاد الشام، وخاصّة مدينة حلب، إلّا أنّ الحروب العثمانيّة – الفارسيّة دفعت السلطنة العثمانيّة لمحاولة تشكيل جبهة موحّدة في مواجهة إيران وذلك بوضع الموصل تحت نفوذ الحكم البغداديّ. لكنّ ولاة الموصل تمكّنوا من الحفاظ على استقلالهم النسبيّ شبه الذاتيّ – بفضل الخدمات التي قدّمتها الأسرة الجليليّة للعثمانيّين في الحرب العثمانيّة–الصفويّة – بدون زعزعة علاقاتهم الجيّدة مع بغداد، إذ زوّدوها بالجنود والمؤن والذخائر عند الطلب. أدّى هذا الاستقرار إلى ازدهار ولاية الموصل مدّةً من الزمن إلى أن نشبت الخلافات والصراعات نتيجةَ الفساد والصراع بين الأسرتَين الجليليّة والعمريّة، وبسبب محاولات ولاة بغداد فرض سيطرتهم على الموصل. وبعد أن ولي بعض الأمراء المحلّيّين الموصل لمدّة زمنيّة محدّدة، تسلّم الحكمَ القائد العثمانيّ محمّد باشا إينجه بيرقدار (حكم ١٨٣٥–١٨٤٤) سنة ١٢٥٠/ ١٨٣٥، وهو من ضبّاط الجيش العثمانيّ الذين عملوا على إصلاح الجيش والتخلّص من الإنكشاريّة،

(٥) صائغ الموصليّ، *تاريخ الموصل*، ج ١، ص ٢٦٩–٢٧٠.

(٦) لبعض تفاصيل الحصار والحرب، انظر: صائغ الموصليّ، *تاريخ الموصل*، ج ١، ص ٢٧٨–٢٩٠.

فزوّده بالأسلحة الحديثة وعمل على التخلّص من المتمرّدين.[٧] وبذلك انتهت مدّة حكم آل الجليليّ المحلّيّ للموصل، وفرض القائد العثمانيّ الجديد إدارة حديثة، فشكّل ذلك بداية حقيقيّة لتغيير سياسيّ واجتماعيّ شامل.[٨] بذا أصبحت الموصل إيالة عثمانيّة، والإيالة تشير إلى أكبر وحدة إداريّة في الدولة العثمانيّة، وتوالى على حكمها بين سنتي ١٨٣٥ و١٨٧٦م خمسة وعشرون واليًا، تراوحت مُدَد حكمهم بين السنة والثلاث سنوات.[٩]

ويمكن تلخيص مرحلة حكم الأسرة الجليليّة بما قاله القسّ سليمان صائغ الموصليّ (ت. ١٩٦١م):

> كان حكمهم بالموصل أشبه بحكم مستقلّ، لهم الوزراء والكتّاب من الأهالي. اشتُهروا في الخصال الحميدة والعدل وفعل الخير. فأنشد الشعراء مدحهم وغالوا في الثناء على عدلهم والأمن الشامل في بلادهم، فلا يُسمع من الناقلين عن الأوّلين إلّا المدحة عنهم والشكر على الخيرات التي كانوا يبذلونها للأهلين بيدٍ فائضة عند ورود الآفات التي كانت تنتاب الموصل، وقد أفاد هؤلاء الوزراء الأجلّاء أهالي الموصل فوائد جمّة بالجوامع والكنائس والمدارس الكثيرة التي شادوها والأوقاف العديدة التي أوقفوها لها.[١٠]

عاش الشيخ عبد الله الدملوجيّ معظم حياته في مرحلة حكم الأسرة الجليليّة، وتوفّي في أثناء حكم محمّد باشا إينجه بيرقدار الذي كان يكنُّ له عظيم التقدير. نعرض في ما يلي لجوانب من الحياة الفكريّة والدينيّة للمرحلة التي وُلد فيها الشيخ عبد الله الدملوجيّ، ونشأ، وتعلّم، وعمل، وألّف.

الحياة الفكريّة والدينيّة في الموصل في ظلّ الحكم الجليليّ

تُعَدّ الموصل أكبر مركز علميّ في شمال العراق، وقد شهدت في بداية القرن الثاني عشر/الثامن عشر اهتمامًا كبيرًا بالعلوم والآداب، وربّما يعود هذا جزئيًّا إلى الصراع

(٧) الديوه جي، *تاريخ الموصل*، ج ٢، ص ٩٠-٩١.

(٨) سهيل قاشا، *الموصل في القرن التاسع عشر: دراسة سياسيّة ١٨٣٤-١٩٠٩* (بيروت: دار التنوير، ٢٠١٠)، ص ٥٨.

(٩) قاشا، *الموصل في القرن التاسع عشر*، ص ٦٢.

(١٠) صائغ الموصليّ، *تاريخ الموصل*، ج ١، ص ٣٠٤.

الصفويّ – العثمانيّ وانعكاساته المذهبيّة التي دفعت العثمانيّين والحكّام المحلّيّين الجليليّين إلى نشر المذهب الحنفيّ لتعزيز حكمهم، وإنشاء المدارس، ودُور القرآن والحديث.[١١] ويذكر سعيد الديوه جي – مدير متحف الموصل سابقًا – في دراسة له عن مدارس الموصل في العهد العثمانيّ إنشاء ٥٢ مدرسة و٦ دور قرآن ودار حديث واحدة في الحقبة المذكورة،[١٢] وقد اتُّخذ الكثير من هذه المساجد والمدارس مراكزَ للصوفيّة أو تكايا لهم.[١٣]

ونظرًا إلى الاهتمام الرسميّ بالعلوم والآداب، شهدت الموصل حركة فكريّة نشطة في القرن الثاني عشر/ الثامن عشر، وبرز فيها عددٌ من الأسر المحلّيّة التي أدّت دورًا بارزًا في الحياة الفكريّة فيها نتيجة دعم الحكّام الجليليّين لتشجيع الحركة الثقافيّة، إذ «تدخّل الجليليّون في إحياء الثقافة العربيّة على نحو مؤثّر مباشر، فاهتمّوا بتشجيع حركة الترجمة إلى حدّ أنّهم كانوا يكلّفون الأدباء بتعريب الكتب الهامّة المؤلّفة أصلًا بإحدى لغات العصر: التركيّة والفارسيّة».[١٤] كما اهتمّت الأسرة الجليليّة بالعلماء وطلّاب العلم فقدّمت لهم مساعدات ماديّة،[١٥] وأنشأت المساجد والمدارس ودور الحديث والقرآن وما يرافقها من الأوقاف الكبيرة، وخزائن الكتب المرتبطة بمعظم المدارس المنشأة. أسهم هذا الدعم كلّه في توجّه الكثير من أهل الموصل لطلب العلم، وهو ما يظهر جليًّا في مؤلَّف أمين العمريّ (ت. ١٢٠٢/ ١٧٨٨) – وهو أحد علماء ذلك العصر – الذي ترجم لأكثر من سبعين عالمًا وأديبًا وشاعرًا موصليًّا من معاصريه، مصرّحًا أنّه لم يستوفِهم جميعًا، بل حصر تراجمه بمشاهيرهم فقط.[١٦] وصارت الموصل في عهد الأسرة الجليليّة «من المدن التي تُشدّ إليها

(١١) انظر: عماد عبد السلام رؤوف، *الموصل في العهد العثمانيّ: فترة الحكم المحلّيّ ١١٣٩-١٢٤٩هـ/ ١٧٢٦-١٨٣٤م* (النجف: مطبعة الآداب، ١٩٧٥)، ص ٤١٥ وما يليها؛ وسعيد الديوه جي، «مدارس الموصل في العهد العثمانيّ: الجزء الثاني»، *مجلّة سومر*، المجلّد ١٩، الجزءان ١-٢، ١٩٦٣، (٤٨-٦٢).

(١٢) الديوه جي، «مدارس الموصل في العهد العثمانيّ: الجزء الثاني»، ص ٦٢.

(١٣) الديوه جي، «مدارس الموصل في العهد العثمانيّ: الجزء الثاني»، ص ٤٨ و٥٨.

(١٤) رؤوف، *الموصل في العهد العثمانيّ*، ص ٣٦٢.

(١٥) رؤوف، *الموصل في العهد العثمانيّ*، ص ٣٦٤.

(١٦) محمّد أمين بن خير الله العمريّ، *منهل الأولياء ومشرب الأصفياء من سادات الموصل الحدباء*، تحقيق سعيد الديوه جي (الموصل: مطبعة الجمهوريّة، ١٩٦٧-١٩٦٨)، ج ٢، ص ٣١٢.

الرحال، ويؤخذ عن علمائها وأدبائها، ويُستعان بهم للتدريس في غير الموصل».[١٧] أمّا أشهر الأسر العلميّة في ذلك الوقت، بالإضافة إلى آل الجليلي، فهي آل العمريّ، وآل الفخريّ، وآل الغلاميّ، وآل ياسين أفندي.

وبذا،

> كان القرن الثاني عشر من أزهى العصور التي مرّت على مدينة الموصل، تقدّمت فيها الصناعة والزراعة وزادت منتوجاتها ونشطت فيها التجارة، وتوسّعت عماراتها، وأسّس محبّو العلم والمعارف فيها المدارس ودور الحديث ودور القرآن والتكايا. وفي كلّ مؤسّسة شيخ أو أكثر يتولّى التعليم والإرشاد، وفيها خزانة كتب جليلة تكون مفتوحة لكلّ قاصد. وأوقفوا الأوقاف الكثيرة التي تصرف على المعاهد العلميّة وعلى من يعلّم ويتعلّم فيها. هذه الخدمات سهّلت للطلّاب طلب العلم فأقبلوا عليه. وكان الجليليّون يؤازرون هذه الحركة المباركة بمؤسّساتهم الكثيرة التي بنوها في أمّ الربيعين، وبما كانوا يقدّمونه من الهبات والعطايا الوافرة للعلماء والأدباء والشعراء وأهل الفضل. فنشطت الحركة العلميّة على عهدهم، وصارت الموصل من الحواضر التي تُشدّ إليها الرحال. فقصدها العلماء والأدباء وأرباب الصنائع من مختلف البلاد ولاقوا فيها إقبالًا حسنًا.[١٨]

وممّا يشهد على النهضة الفكريّة الكبيرة في مرحلة حكم آل الجليليّ المدارس المختلفة التي أُنشئت في ذلك العهد، وما حوته من كنوز المخطوطات التي نُشرت فهارسها في تسعة مجلّدات بعنوان *فهرس مخطوطات مكتبة الأوقاف العامّة في الموصل*، وهو مقسّم وفقًا للمدارس وما تحويه كلّ منها من مخطوطات.[١٩]

(١٧) الديوه جي، «مدارس الموصل في العهد العثمانيّ: الجزء الأوّل»، *مجلّة سومر*، المجلّد ١٨، الجزءان ١-٢، ١٩٦٢، (٦٥-٩٦)، ص ٦٦ و٦٧.

(١٨) ياسين بن خير الله الخطيب العمريّ، *منية الأدباء في تاريخ الموصل الحدباء*، تحقيق سعيد الديوه جي (الموصل: مطبعة الهدف، ١٩٥٥)، مقدّمة المحقّق، ص ١١. وتوفّي ياسين العمري بعد سنة ١٢٣٢/١٨١٦.

(١٩) انظر: سالم عبد الرزّاق أحمد، *فهرس مخطوطات مكتبة الأوقاف العامّة في الموصل* (بغداد: وزارة الأوقاف والشؤون الدينيّة، ١٩٧٥-١٩٨٣).

ومن العلوم التي ازدهرت في ذلك العصر العربيّة وآدابها، وقد يعود هذا إلى ظهور نزعات قوميّة نتجت عن حكم الأسر المحلّيّة،[٢٠] فاهتمّ العلماء بعلوم العربيّة، ولا سيّما منها علم الوضع، وبذلوا جهودهم فيه وكانوا «يتبارون فيه تقدّمًا، فهذا الشيخ الجليل الدملوجيّ، وشيخه صالح أفندي السعديّ، وشيخه عليّ محضرباشيّ، كلّ واحد منهم له مؤلَّف خاصّ في هذا الميدان».[٢١] وأضف إلى هذه القائمة الشيخ محمّد الصوفيّ (١٢٨١-١٣٥١هـ) الذي كتب حاشيةً على كتاب *عصام* في الوضع أيضًا.[٢٢] وللشيخ الدملوجيّ حاشية أخرى على شرح الأسفراييّ على *الرسالة العضديّة في علم الوضع*، فضلًا عن حاشيةٍ في أدب البحث، وسنفصّل ذلك في قسم مؤلَّفات الشيخ. ومن مظاهر تقدّم العلوم بالموصل في ذلك العصر ازدهار محاكاة الأدب العربيّ القديم والنسج على منواله، فنشأت بذا حركة أدبيّة واسعة النطاق تبارى فيها المثقّفون الموصليّون فاكتظّت الأعمال الأدبيّة بأشعار التشطير والتخميس والتسبيع،[٢٣] وللدملوجيّ تقريض على تخميس قصيدة «ذخر المعاد» كما سنبيّن في القسم المخصّص لمؤلَّفاته.

وازدهرت العلوم التطبيقيّة كالطبّ والفلك والحساب.[٢٤] وكان العديد من علماء الموصل في ذلك الوقت يطلبون العلم في مدن مختلفة كحلب وبغداد، وتوجّه بعضهم للدراسة في دمشق والقاهرة أيضًا.[٢٥]

وكحال معظم الولايات العثمانيّة، كانت الطرق الصوفيّة رائجةً في الموصل، وكان أكثرها انتشارًا: القادريّة والنقشبنديّة والرفاعيّة.[٢٦] وقد دُعم أصحاب الطرق الصوفيّة، ومُنحوا الكثير من الأوقاف الكبيرة، وانتشرت التكايا والزوايا والطرق الصوفيّة وازدحمت بالمريدين، حتّى

(٢٠) رؤوف، *الموصل في العهد العثمانيّ*، ص ٣٦٤ وما يليها.

(٢١) أكرم بن عبد الوهّاب محمّد أمين الموصليّ، *الإمداد شرح منظومة الإسناد* (الموصل: منشورات دار النور للعلوم الشرعيّة والإسناد، ٢٠٠٤)، ج ١٣، ص ١٣٤.

(٢٢) الديوه جي، *تاريخ الموصل*، ج ٢، ص ٢٠٠. وانظر أيضًا: عبد الله محمّد الحبشي، *جامع الشروح والحواشي: معجم شامل لأسماء الكتب المشروحة في التراث الإسلاميّ وبيان شروحها* (بيروت: دار المنهاج، ٢٠١٧)، ج ٢، ص ٧٣٧.

(٢٣) رؤوف، *الموصل في العهد العثمانيّ*، ص ٣٦٩.

(٢٤) رؤوف، *الموصل في العهد العثمانيّ*، ص ٣٩٥ وما يليها.

(٢٥) رؤوف، *الموصل في العهد العثمانيّ*، ص ٤٢٥.

(٢٦) العمريّ، *منية الأدباء*، ص ١٤.

إنّ العلماء والأدباء «كانوا يتردّدون إليها، وينتسبون إلى المشايخ لكي يعزّزوا مكانتهم عند الناس وأرباب الحكم».[٢٧] غير أنّ الإقبال على التصوّف، والتقدير والاحترام اللذين لقيهما الصوفيّة من الناس والحكّام، دفعت الكثير من المنتفعين وأدعياء الصوفيّة إلى استغلال مكانتهم، الأمر الذي أدّى إلى انتشار الفساد بين أتباع الطرق الصوفيّة. ويذكر محقّق كتاب *ترجمة الأولياء في الموصل الحدباء* الفساد الذي استشرى، فيقول: «وخلف بعض أصحاب الطرق مَنْ غرّتهم مراكزهم المرموقة، ومجالسهم الحافلة، فاستغلّوا أمر الدين لمقاصدهم الدنيويّة، وسخّروا أتباعهم لمطامعهم، وأوقعوا التنافس بين أمثالهم من أصحاب الطرق، وترفّعوا عن مستوى الشعب، وادّعوا الولاية والكرامات، وتقبّلوا النذور والهدايا، فأفسدوا من كان يتردّد إليهم ويأخذ عنهم».[٢٨] ونتيجةً لهذا الفساد برزت دعواتٌ لنبذ البدع والضلال، والعودة بالدين إلى أصوله الأولى.

من الصوفيّة إلى السلفيّة في العراق

النزعات السلفيّة في الموصل في القرن الثاني عشر/ الثامن عشر

وقف عددٌ من العلماء والشيوخ في وجه الفساد الذي استشرى في المؤسّسات الصوفيّة، ودعوا إلى نبذ البدع والضلالات والعودة إلى أصول الدين. وإنّ أبرز الدعاة إلى مواجهة الفساد ومدّعي التصوّف كانوا من الصوفيّة أنفسهم، وهم الذين هبّوا غيرةً على التصوّف ممّا ارتُكب باسمه. وفي هذا يقول ابن الخيّاط (ت. ١٢٨٥/ ١٨٦٨): «نجد بجانب هذا جماعة من العلماء العاملين، الذين ساءهم ما يفعله بعض الشيوخ من البدع والضلال، فأخذوا يدعون إلى تحرير الأفكار والرجوع إلى أصول الدين الحنيف، وعدم إطاعة الشيوخ الذين استغلّوا مراكزهم».[٢٩] وتنوّعت مواقف معارضي التصوّف بين مَن ينكر على مشايخ الصوفيّة ويسيء الظنّ بهم ويطعن فيهم وينكر كراماتهم، ومن ينكر كرامات أولياء زمانه ويصدّق كرامات السابقين، ومن يصدّق بأنّ لله تعالى أولياء لهم كرامات ولكن لا يصدّق بولاية أحد

(٢٧) أحمد بن الخيّاط الموصليّ، *ترجمة الأولياء في الموصل الحدباء*، تحقيق سعيد الديوه جي (الموصل: مطبعة الجمهوريّة، ١٩٦٦)، مقدّمة المحقّق، ص ١١.

(٢٨) ابن الخيّاط، *ترجمة الأولياء*، ص ١١.

(٢٩) ابن الخيّاط، *ترجمة الأولياء*، ص ١٢.

أهل زمانه.[٣٠] ونتيجةً لذلك نشأت «حركة سلفيّة نشيطة اتّخذت من مقاومة نفوذ المشايخ وتقديس مراقد الأولياء هدفًا رئيسًا تسعى نحو تحقيقه، فكانت تلك أوّل حركة سلفيّة شهدتها البلاد الإسلاميّة في العصر الحديث».[٣١]

ومن أبرز الشيوخ الذين دعوا إلى نبذ المعتقدات الزائفة التي وضعها بعض مستغلّي الطرق الصوفيّة الحاجّ عثمان بك الحيّانيّ بن سليمان باشا الجليليّ (١١٧٨-١٢٤٥/ ١٧٦٥-١٨٢٩). وللحاجّ «مقالات وتعليقات كثيرة على الذين سخّروا الطرق الصوفيّة لمصالحهم الدنيويّة، وألّف رسالة ردّ فيها على الشيخ خالد النقشبنديّ (ت. ١٢٤٢/ ١٨٢٦) مجدّد الطريقة النقشبنديّة في العراق، أسماها *دين الله الغالب على المنكر المبتدع الكاذب*، وحمل على طائفة الدراويش وأصحاب التكايا بجدّ ونشاط».[٣٢] وعلى الرغم من أنّ دعوة الشيخ خالد النقشبنديّ لإصلاح الطرق لقيت انتشارًا كبيرًا في العراق وبلاد الأكراد والشام ومصر، إلّا أنّها - برأي بعض الباحثين - «لم تلقَ ترحيبًا في الموصل بسبب قوّة النزعة السلفيّة فيها».[٣٣]

ومن الذين جاهروا بالدعوة إلى كتاب الله وسنّة رسوله ونبذ الخرافات والبدع الشيخ ملّا أحمد بن الكولة (ت. ١١٧٣/ ١٧٥٩) الذي يصفه صاحب *منهل الأولياء* بأنّه: «كان زاهدًا ورعًا فقيهًا عارفًا بالتصوّف، له أتباع وطلبة ومريدون وتكيّة يجتمع فيها عنده الجمّ الغفير للسماع واستفادة العلم... وكانت طريقته قادريّة».[٣٤] وقد أنكر الشيخ أحمد بن الكولة نبوءة النبيّ جرجيس الذي له مرقد في الموصل، يتوسّط جامعًا كبيرًا يُطلَق عليه جامع النبيّ جرجيس، فنفر الناس منه وأثار بذلك موجة من الاحتجاج ضدّه.[٣٥] وقد ردّ عليه الشيخ عليّ

(٣٠) رؤوف، *الموصل في العهد العثمانيّ*، ص ٤١٣-٤١٤، وهو اقتباسٌ من كتاب *الانتصار للأولياء الأخيار* للملّا يوسف بن عبد الجليل بن مصطفى الخضريّ الحنفيّ الموصليّ (ت. ١٢٤١/ ١٨٢٥) [تحقيق أحمد فريد المزيدي (بيروت: دار الكتب العلميّة، ٢٠٠٧)].

(٣١) رؤوف، *الموصل في العهد العثمانيّ*، ص ٤٠٨.

(٣٢) رؤوف، *الموصل في العهد العثمانيّ*، ص ٣١٢.

(٣٣) رؤوف، *الموصل في العهد العثمانيّ*، ص ٤١٢، هامش ١.

(٣٤) العمريّ، *منهل الأولياء*، ج ١، ص ٢٨٤.

(٣٥) محمود شيت خطّاب، «الإمام محمّد بن عبد الوهّاب في الموصل»، ضمن *بحوث أسبوع الشيخ محمّد بن عبد الوهّاب* (الرياض: جامعة الإمام محمّد بن سعود الإسلاميّة، ١٩٨٣)، ج ١، (٧٣-٨٧)، ص ٨٣.

ابن مصطفى الدبّاغ الحلبيّ (ت. ١١٧٤/ ١٧٦٠) في *إتحاف الأنام بأخبار سيّدنا جرجيس عليه السلام*، وأرسل الكتاب إلى الموصل.

ومنهم محمّد ابن الشيخ أحمد بن الكولة، وقد أخذ العلم عن علماء الموصل وتفوّق في الفقه، وتولّى القضاء في ديار بكر والموصل أيضًا. ويصفه ياسين خير الله العمريّ في *غاية المرام في محاسن بغداد دار السلام* بقوله:

> خاتمة فضلاء الموصل المعاصرين محمّد أفندي بن ملّا أحمد الشهير بابن الكولة الموصليّ، علّامة عصره في جميع العلوم المنطوق والمفهوم، له اليد الطولى بعلم الزيج. سافر إلى بغداد سنة ألف ومائة وإحدى وتسعين أيّام ظهور الفتن في بغداد، فانسلخ المترجم من زمرة العلماء وتابع محمّد كهيه وابن محمّد خليل، فكان يحضر مجالسهم ويحرّض أتباعهم على الفتن، حتّى ولي بغداد الوزير سليمان باشا فخرج من بغداد هاربًا وللنجاة طالبًا، وقدم إلى الموصل، ثمّ سافر واتّصل برجال الدولة وتقرّب حتّى ولي القضاء في عدّة بلاد، ثمّ ولي قضاء ديار بكر سنة ألف ومائتين وثمانية، فقدم إليها بحشمة ووقار، ثمّ بعد سنة ولي قضاء بغداد فقدم إلى الموصل وتوجّه إلى الروم، وكان على ما قيل ينكر على السادات الصوفيّة ويتكلّم على الشيخ محيي الدين ابن العربيّ بما لا يليق وينسبه إلى الزندقة وما أشبه ذلك.[٣٦]

نهج محمّد الكولة نهْجَ والده في الإنكار على المبتدعة، وبالغ فيه حتّى أنكر على جميع الأولياء، وجاهر في نقده شيوخ الصوفيّة المتقدّمين، كالشيخ محيي الدين بن عربيّ (ت. ٦٣٨/ ١٢٤٠) والشيخ عبد القادر الكيلانيّ (ت. ٥٦١/ ١١٦٦).[٣٧] ويصفه صاحب *منهل الأولياء* بأنّه: «ذكيّ مفرط الذكاء، حافظ متقن، عالم خبير لم يفته فنّ من الفنون النقليّة والعقليّة». ويقول العمريّ في *غرائب الأثر في حوادث ربع القرن الثالث عشر*، في سياق سرده أحداث سنة ١٢٠٩/ ١٧٩٤–١٧٩٥: «وفيها ولي قضاء ديار بكر ملّا محمّد أفندي ابن الملّا أحمد الموصليّ المعروف بابن الكولة، فأقام بها أيّامًا وعُزل عنها وولي قضاء بغداد

(٣٦) ياسين خير الله العمري الخطيب الموصليّ، *غاية المرام في تاريخ محاسن بغداد دار السلام* (بغداد: دار منشورات البصريّ، ١٩٦٨)، ص ٣٨٤.

(٣٧) رؤوف، *الموصل في العهد العثمانيّ*، ص ٢٥٨ و٤١٠.

فقدم إلى الموصل. وكان يبغض الشيخ محيي الدين بن العربيّ ويطلق لسانه عليه، وهو شديد الإنكار على جميع الأولياء».[٣٨]

يوصَف محمّد بن الكولة في الدراسات المعاصرة بأنّه كان سلفيًّا ثائرًا على الصوفيّة، وأنّه كان شديد الإنكار على جميع الأولياء.[٣٩] ويذكر سعيد الديوه جي أنّه رحل إلى بغداد سنة ١١٩١/ ١٧٧٧ وأنّه كان على اتّصال بالشيخ محمّد بن عبد الوهّاب (ت. ١٢٠٦/ ١٧٩٢)؛[٤٠] يقول: «وكان يسير على ما دعا إليه والده من الإصلاح والدعوة إلى الكتاب والسنّة، وزاد تعلّقه بهذا بعد اجتماعه بالشيخ محمّد بن عبد الوهّاب، فلاقى مقاومة كبيرة من بعض الناس، فهو وأبوه ممّن جاهروا بالدعوة إلى نبذ الخرافات مع أنّهما كانا من أصحاب الصوفيّة، قادريّ <كذا> الطريقة، ولكنّهما لم يستغلّا إقبال الناس عليهما، بل نبّها الناس وأرشدوهم <كذا> إلى حقيقة التصوّف».[٤١]

مسألة طلب محمّد بن عبد الوهّاب العلم في الموصل

تثير قضيّة بروز النزعات السلفيّة بالموصل في القرن الثاني عشر الهجريّ/ الثامن عشر الميلاديّ وإمكانيّة تواصل الشيخ محمّد بن الكولة مع الشيخ محمّد بن عبد الوهّاب مسألةَ دراسة الأخير في الموصل، وهي مسألة قد أثارها عددٌ من الباحثين، فأيّدها بعضهم ورفضها آخرون. يذكر معظم المصادر التي تتناول حياة محمّد بن عبد الوهّاب رحلته إلى مدينة البصرة، غير أنّ في دراسته في الموصل وأثرها في تكوينه العلميّ شكًّا. إذ جاء في *لمع الشهاب في سيرة محمّد بن عبد الوهّاب*، أحد أقدم الكتب التي تتناول حياة الشيخ محمّد بن عبد الوهّاب، أنّه درس في «كردستان»،[٤٢] وكذا ورد في *حياة الشيخ*

(٣٨) ياسين خير الله العمريّ الموصليّ، *غرائب الأثر في حوادث ربع القرن الثالث عشر*، تقديم ومراجعة يوسف عزّ الدين أحمد (لندن: دار الورّاق، ٢٠١٧)، ص ٥٤.

(٣٩) رؤوف، *الموصل في العهد العثمانيّ*، ص ٤١٠.

(٤٠) سعيد الديوه جي، *تاريخ الموصل*، ج ٢، ص ٢١٩.

(٤١) الديوه جي، *تاريخ الموصل*، ج ٢، ص ٢١٩.

(٤٢) حسن بن جمال بن أحمد الريكيّ، *لمع الشهاب في سيرة محمّد بن عبد الوهّاب*، تحقيق عبد الله صالح العثيمين (الرياض: دارة الملك عبد العزيز، ٢٠٠٥)، ص ٥٦. وقد سبق هذه الطبعة طبعتان اثنتان، أولاهما تحقيق أحمد مصطفى أبو حاكمة (بيروت: دار الثقافة، ١٩٦٧)، وثانيتهما تحقيق عبد الرحمن آل الشيخ (الرياض: دارة الملك عبد العزيز، ١٣٩٤ [١٩٧٤]).

محمّد بن عبد الوهّاب لحسين خلف الشيخ خزعل،[٤٣] وفي بعض المصادر والمراجع الأخرى.[٤٤] وأوّل الذين ذكروا دراسة الشيخ في كردستان من العلماء الغربيّين هو مرجليوث (Margoliouth) في ترجمته لمحمّد بن عبد الوهّاب في *دائرة المعارف الإسلاميّة*،[٤٥] لكنّ معظم الدراسات اللاحقة شكّك في هذا.[٤٦]

واللافت أنّ جميع هذه المصادر والمراجع لا يذكر كتاب *غرائب الأثر* للعالم الموصليّ العمريّ مع أنّه عاصر محمّد بن عبد الوهّاب؛ فقد وُلد العمريّ في الموصل سنة ١١٥٧/ ١٧٤٤ وتوفّي بعد سنة ١٢٣٢/ ١٨١٦، بينما وُلد محمّد بن عبد الوهّاب سنة ١١١٥/ ١٧٠٣، وتوفّي سنة ١٢٠٦/ ١٧٩٢، أي كان العمريّ في ما يقارب الخمسين من عمره لمّا توفّي محمّد بن عبد الوهّاب. وممّا جاء في *غرائب الأثر* في ذكر حوادث سنة ثمانٍ ومائتين وألف الهجريّة أنّ الإمام محمّد بن عبد الوهّاب كان قد «قدم الموصل، وقرأ العلم على العلّامة مولانا ملّا محمّد الجميليّ وأخذ عنه الكثير».[٤٧] والعمريّ متصوّف، لا ميل عنده إلى الفكر الوهّابيّ، وقد وصف محمّد بن عبد الوهّاب وأتباعه بأقذع الأوصاف. لكن يبدو أنّه كان مهتمًّا بمتابعة أخبار الحركة الوهّابيّة وتطوّرها في نجد ، إذ أشار في كتابه مرارًا لوقائع حروب الوهّابيّين ومعاركهم في الجزيرة العربيّة.[٤٨]

واستنادًا إلى كتاب العمريّ *غرائب الأثر*، حاول محمود شيت خطّاب في بحثه «الإمام

(٤٣) حسين خلف الشيخ خزعل، *حياة الشيخ محمّد بن عبد الوهّاب* (بيروت: مطابع دار الكتب، د.ت). لا تضمّ الطبعة التي بين أيدينا (مطابع دار الكتب) الصفحات المتعلّقة بدراسة الشيخ في كردستان (٦٤-٦٦)، على الرغم من أنّ عنوان القسم مثبت في فهرس الموضوعات. كما يشير فهرس الأماكن إلى ورود «كردستان» في الصفحات ٦٥-٦٦، وهو ما لم نجده في الطبعة المعتمدة.

(٤٤) انظر: عبد الله العثيمين، *الشيخ محمّد بن عبد الوهّاب: حياته وفكره* (الرياض: دار العلوم، ١٩٧٩)، ص ٣٦-٣٧.

(٤٥) استند مرجليوث إلى كتاب *لمع الشهاب*، انظر:

D.S. Margoliouth, "Wahhābīya", in *EI*1, online.

(٤٦) انظر: العثيمين، *الشيخ محمّد بن عبد الوهّاب: حياته وفكره*، ص ٣٦-٣٧.

(٤٧) العمريّ، *غرائب الأثر*، ص ٥٢. وكما ورد أعلاه فإنّ الشيخ محمّد بن عبد الوهّاب توفّي سنة ١٢٠٦ للهجرة، وما ذكره العمريّ ربّما يكون ناتجًا عن تأخّر وصول الأخبار له، أو خطأ في تذكّر التاريخ عند تدوينه للكتاب.

(٤٨) العمريّ، *غرائب الأثر*، ص ٦٤ و٦٥ و٧٧ و٨٥ و٨٦ و٩١ و٩٢ و٩٩ و١٠٣ و١٠٧ و١١١-١١٢ و١١٦ و١٢٣ و١٧٥.

محمّد بن عبد الوهّاب في الموصل» استنباط زمن دراسة الشيخ في الموصل، واستنتج خطّاب بعد مقارنة تواريخ رحلة محمّد بن عبد الوهّاب إلى كردستان، وما ذُكر عن دراسته مع بعض علماء الموصل أنّه ربّما قضى سنة ١١٤٠/ ١٧٢٨ في الموصل، أي حين كان في الخامسة والعشرين من عمره.(٤٩)

ويرى رؤوف في كتابه *الموصل في العهد العثمانيّ* أنّ دراسة محمّد بن عبد الوهّاب في الموصل في أثناء الخوض في نبوءة النبيّ جرجيس وموقف الشيخ أحمد بن الكولة منها كان لها أثرها في نفسه وذلك «للتشابه التامّ بين آرائه التي دعا إليها فيما بعد، وبين مبادئ سلفيّي الموصل الداعية إلى نبذ زيارة القبور وبناء القباب وتكبير العمائم وتوسيع الثياب للعلماء ووضع الستور والعمائم والثياب على الأضرحة والاستعانة بجاه أصحابها والتمسّك بدل ذلك بالقرآن والسنّة فقط».(٥٠) وإن كان ابن عبد الوهّاب قد درس في الموصل سنة ١١٤٠/ ١٧٢٨، فهذا يعني أنّه شهد الصراع الذي أثاره الشيخ أحمد بن الكولة حول المقامات والمشاهد الصوفيّة ومَن يتّخذها وسيلةً للكسب.

> ونتيجةً لهذه الحركة السلفيّة الناشئة ومواقفها الناقدة للصوفيّة عمد الصوفيّة إلى الردّ عليها فألّفوا كتبًا هامّة في الردّ على الدعوة الجديدة، فكان ذلك من بواعث حركة التأليف عند الكتّاب. وشاعت الرغبة في البحث في تراجم الأولياء بعد أن كانت مكانتهم أمرًا مسلَّمًا لا يحتاج إلى بحث وتنقيب، فكانت هذه الرغبة هي السبب الحقيقيّ وراء ترجمة كتاب *تذكرة أولياء بغداد* إلى العربيّة،(٥١) ودَفْع أمين العمريّ إلى تأليف كتابه: *منهل الأولياء ومشرب الأصفياء من سادات الموصل الحدباء*، ليفرد فيه فصلًا خاصًّا في بيان كرامات الأولياء والردّ على من أنكرها من الجهلاء. وقد أفرد أخوه فصلًا طويلًا في كتابه *منية الأدباء* للبحث في تراجم هؤلاء الأولياء.(٥٢)

ويشير كتاب *منهل الأولياء* إلى الكثير من الصوفيّة ومؤلّفاتهم. ومن الكتب الأخرى

(٤٩) خطّاب، «الإمام محمّد بن عبد الوهّاب في الموصل»، ص ٧٨-٧٩.

(٥٠) رؤوف، *الموصل في العهد العثمانيّ*، ص ٤١٥.

(٥١) كتاب *أولياء بغداد* من تأليف مرتضى أفندي الشهير بنظمي زاده، وضعَه بالتركيّة سنة ١٠٩٢هـ عندما كان واليًا على بغداد.

(٥٢) رؤوف، *الموصل في العهد العثمانيّ*، ص ٤١١.

التي تناولت سيرهم في ذلك العصر نذكر *الانتصار للأولياء الأخيار* ليوسف بن عبد الجليل الخضريّ الحنفيّ الموصليّ (ت. ١٢٤١/ ١٨٢٥)، وهو كتاب يحاكي بأسلوبه أسلوبَ الدملوجيّ في اعتماده على النقول والاقتباسات.(٥٣) ولم تقتصر كتاباتهم على كتب التراجم وطبقات الأولياء، بل وضعوا مؤلّفات في التصوّف، فكتب الشيخ محمّد بن أحمد العمريّ كتاب *أزهار الأقدسيّة في العلوم الإلهيّة*، و*قوت العاشقين*، وشرحَ عليّ القاري الجفعتريّ قصائد عبد الغنيّ النابلسيّ في التصوّف في *كشف المخدّرات في خبا المعشّرات*.(٥٤) غير أنّ التوجّهات السلفيّة استمرّت بالانتشار نتيجة الوضع المتردّي للطرق الصوفيّة آنذاك، فكتب أمين العمريّ كتابًا آخر هو *الكشف والبيان عن مشايخ هذا الزمان*، حاول فيه التمييز بين الكرامات الحقيقيّة والكرامات المزعومة، فشرح حقيقة التصوّف، وأفاض في وصف بدع مشايخ زمانه وكراماتهم الكاذبة، ثمّ ختم كتابه بفصلٍ في «إثبات كرامات الأوّلين السابقين والمشايخ الصالحين».(٥٥)

تزايد تأثير التيّار السلفيّ في بغداد

ترافق صعود التيّار السلفيّ في الموصل مع تزايد تأثيره في بغداد نتيجة جهود أسرتَي الآلوسيّ والسويديّ. وقد أدّت أسرة الآلوسيّ دورًا مهمًّا في نشوء الفكر السلفيّ المعاصر عبر أجيال متعاقبة من علمائها، وأبرز هؤلاء أبو الثناء، السيّد شهاب الدين محمود الآلوسيّ (١٢١٧-١٢٧٠/ ١٨٠٢-١٨٥٤) الملقّب بالآلوسيّ الكبير. درس الآلوسيّ الكبير على علماء صوفيّة وسلفيّين في بغداد، كالشيخ خالد الكرديّ النقشبنديّ شيخ الطريقة النقشبنديّة الخالديّة – وقد انتسب إلى هذه الطريقة على يديه – والشيخ عليّ السويديّ (ت. ١٢٣٧/ ١٨٢١) الذي يشكّل صلة الوصل بينه وبين الفكر الوهّابيّ؛ إذ تذكر المصادر التي تتناول حياة محمّد بن عبد الوهّاب مراسلاتٍ بينه وبين العالم العراقيّ عبد الرحمن السويديّ، عمّ الشيخ عليّ السويديّ،(٥٦) هذا علاوة على ما ذكره الآلوسيّ في رسالته *غرائب*

(٥٣) يوسف بن عبد الجليل الخضريّ الموصليّ، *الانتصار للأولياء الأخيار* (بيروت: دار الكتب العلميّة، ٢٠٠٧).

(٥٤) رؤوف، *الموصل في العهد العثمانيّ*، ص ٣٨٤.

(٥٥) رؤوف، *الموصل في العهد العثمانيّ*، ص ٤١١.

(٥٦) انظر: *الرسائل الشخصيّة لمحمّد بن عبد الوهّاب*، تصحيح صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان ومحمّد ابن صالح العليقي (الرياض: جامعة الإمام محمّد بن سعود، ١٩٧٦)، ص ٣٦.

الاغتراب بأنّ أستاذه السويديّ قد اتُّهم بأنّه وهّابيّ العقيدة، وبأنّه حرّض والي بغداد سليمان باشا الصغير على اتّباع الدعوة الوهّابيّة،[٥٧] وهو ما اضطرّه إلى الهرب إلى دمشق. ولا شكّ أنّ السويديّ كان سلفيّ العقيدة كما يظهر في كتابه *العقد الثمين في بيان مسائل الدين*، وهو أمر لم ينكره الآلوسيّ إذ قال: «وهو في العقائد السلفيّة»، كما وصفه محمّد بهجة الأثريّ (ت. ١٤١٦/ ١٩٩٦) في *أعلام العراق* بأنّه: «العالم المحدّث الحافظ السلفيّ...».[٥٨] وقد نفى الآلوسيّ كون أستاذه وهّابيًّا بقوله: «والإنصاف أنّ السويديّ لم يسوّد قلبه بعقائد جهلة الوهّابيّة، وإنّما عقده على العقائد السلفيّة الأحمديّة».[٥٩] وبذا، نفى الآلوسيّ الكبير علاقة شيخه بالوهّابيّة لا عقيدته السلفيّة، ولعلّ هذا يعود إلى عداء الوهّابيّة والسلطنة العثمانيّة الحاكمة في بغداد، فالآلوسيّ لم يرد تبرئة شيخه فحسب، بل أراد درء الشبهة عن نفسه أيضًا، والحفاظ على علاقاته الجيّدة مع استنبول.

أدّى السويديّ الدور الأبرز في المنحى السلفيّ عند الآلوسيّ الكبير، وهو ما يظهر جليًّا في مؤلَّفه *روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني*، غير أنّ تفسيره هذا حافل بالإشارات والتأويلات الصوفيّة، فضلًا عن تأثّره بتفسير الفخر الرازيّ الأشعريّ (ت. ٦٠٦/ ١٢١٠)، لذا عدّه البعض جامعًا للطرق الثلاث: طريقة السلف، وطريقة المتكلّمين، وطريقة المتصوّفة.[٦٠] لا شكّ أنّ الآلوسيّ كان على مذهب السلف في العقيدة، إذ جاء في وصيّته لأبنائه، وقد كتبها قبل شهر ونصف من وفاته: «يا بنيّ عليكم في باب العقائد بعقيدة السلف، فإنّها أسلم بل أنصف...».[٦١] وتجدر الإشارة إلى أنّ الآلوسيّ الكبير وجميع أبنائه وأحفاده الذين أسهموا في نشر الفكر السلفيّ كانوا ذوي نزعة صوفيّة واضحة، كالكثير من علماء الدولة العثمانيّة وفقهائها، بما في ذلك الحنابلة. لذا كثيرًا ما يثني الآلوسيّ الكبير على الصوفيّة ويمدحهم ويبالغ في تقديسهم، وإن كان قاسيًا في نقده لبعض سلوكيّات صوفيّة عصره التي يرى أنّها مخالفة للشريعة الإسلاميّة.

(٥٧) أبو الثناء محمود الآلوسيّ، *غرائب الاغتراب ونزهة الألباب في الذهاب والإقامة والإياب* (بغداد: مطبعة الشابندر، ١٣٢٧هـ)، ص ١٦.

(٥٨) محمّد بهجة الأثريّ، *أعلام العراق* (القاهرة: المطبعة السلفيّة، ١٣٤٥هـ)، ص ٢٢.

(٥٩) الأثريّ، *أعلام العراق*، ص ٢٢.

(٦٠) الأثريّ، *أعلام العراق*، ص ٢٩.

(٦١) عبد الله البخاريّ، *جهود أبي الثناء الآلوسيّ في الردّ على الرافضة* (القاهرة: دار ابن عفّان، ١٩٩٩)، ص ٩٤.

وعلى الرغم من دفاع الآلوسيّ الكبير عن ابن تيميّة (ت. ٧٢٨/ ١٣٢٨)، فإنّه دافع أيضًا عن ابن عربيّ، ويلخّص موقفه منه بما قاله في أحد كتبه المتأخّرة: «أنا معتقد جلالة قدره، مفوّض سائر أحواله إلى عالم جهره وسرّه. ويأبى الله أن أخوض في حقّه كما خاض المنكرون».[٦٢]

وبينما حاول أبو الثناء بحرصٍ الحفاظ على التوازن بين الأفكار السلفيّة والصوفيّة والأشعريّة، مال ابنه نعمان الآلوسيّ (ت. ١٣١٧/ ١٨٩٩) إلى الاتّجاه السلفيّ، وأسهم في طباعة النصوص السلفيّة في المطابع التي كانت قد بدأت تنتشر، وعمل على الدفاع عن ابن تيميّة في وجه انتقادات الفقيه الشافعيّ أحمد بن حجر الهيتميّ (ت. ٩٧٤/ ١٥٦٦)، وجهد في إحياء فكره وذلك بمؤلّفه *جلاء العينين في محاكمة الأحمدين*. ونظرًا إلى أنّ نعمان الآلوسيّ قد عاش في ظلّ سيطرة الدولة العثمانيّة التي حاول محمّد بن عبد الوهّاب الثورة عليها، ونظرًا إلى محاولة الحركة الوهّابيّة الاستناد إلى فكر ابن تيميّة، لم يسهل عليه الدفاع علنًا عن ابن تيميّة قبل التمهيد لذلك بذكر بعض العلماء الذين أثنوا عليه، ثمّ ذكرِ بعض العلماء من آباء ابن تيميّة وأقربائه؛ فذكر من السابقين أهمّ تلامذته ومَن نهج نهجه كابن القيّم، والذهبيّ، وابن كثير، وابن مفلح، وأشار إلى بعض المتأخّرين الذين أبدوا احترامهم وتقديرهم له، مثل ابن ناصر الدين الدمشقيّ، وعليّ القاري، وإبراهيم الكورانيّ، والشوكانيّ، وشاه وليّ الله الدهلويّ.[٦٣] ومع أنّ نعمان الآلوسيّ لم يُقدم على ذكر اسم محمّد بن عبد الوهّاب ولا أيّ من زعماء الحركة الوهّابيّة في الجزيرة العربيّة، إلّا أنّ هذا لم يمنع البعض من اتّهامه وبعض المقرّبين منه بميلهم للدعوة الوهّابيّة.

ومن أشهر أساتذة نعمان الآلوسيّ محمّد أمين واعظ (١٨٠٨–١٨٥٨م) الذي عادةً ما يوصَف بأنّه عالمٌ سلفيّ العقيدة،[٦٤] مع أنّه أحد أشهر علماء الحنفيّة في وقته. كان الواعظ من طلّاب الآلوسيّ الكبير، وكان خطيبًا في مسجد عبد القادر الجيلانيّ في بغداد، ثاني أكبر مسجد بعد مسجد الإمام أبي حنيفة. وقد نُفي الواعظ إلى البصرة بعد اضطرابات حدثت في بغداد نتيجة زيادة الضرائب، وقد اتُّهم هو بتأجيجها.[٦٥] لم يكن الانتساب للحنفيّة مذهبًا

(٦٢) الآلوسيّ، *غرائب الاغتراب*، ص ١٤٥.

(٦٣) نعمان الآلوسيّ، *جلاء العينين في محاكمة الأحمدين: ابن تيمية – ابن الهيتميّ*، تحقيق الداني بن منير آل زهوي (صيدا – بيروت: المطبعة العصريّة، ٢٠٠٦)، ص ٢٣–٧٠.

(٦٤) الأثريّ، *أعلام العراق*، ص ٥٩.

(٦٥) انظر: =

وللسلفيّة عقيدةً بالأمر المستغرب، إذ كان الملّا عليّ القاريّ الهرويّ (ت. ١٠١٤/ ١٦٠٦)، ومحمّد حياة السنديّ (ت. ١١٦٣/ ١٧٥٠) من علماء الحنفيّة وعلى مذهب السلف في العقيدة مع ميلٍ واضحٍ للتصوّف أعان الشيخ الدملوجيّ، باستناده إلى مؤلّفات ملّا عليّ القاريّ الهرويّ، في دفاعه عن الصوفيّة والأولياء.

فضلًا عن دور الواعظ في توجّه نعمان الآلوسيّ الفكريّ، فإنّ العَلَم الأبرز الذي أسهم في منحاه السلفيّ هو العالم الهنديّ، زعيم حركة أهل الحديث، صدّيق حسن خان القنوجيّ (ت. ١٣٥٧/ ١٨٨٩)، ممثّل التيّار السلفيّ في الهند.[٦٦] استند صدّيق حسن خان إلى علَمَين في فكره السلفيّ لا علاقة لهما بالوهّابيّة، هما: شاه وليّ الله الدهلويّ (ت. ١١٧٦/ ١٧٦٢)، والفقيه اليمنيّ الزيديّ محمّد بن عليّ الشوكانيّ (ت. ١٢٥٠/ ١٨٣٤). كان نعمان الآلوسيّ على تواصل مع القنوجيّ عبر مراسلات امتدّت حتّى وفاته، ويقول بهجة الأثريّ إنّ نعمان الآلوسيّ كان قد شرع في كتابة *جلاء العينين* قبل أن يبدأ مراسلاته مع صدّيق خان، لكنّه فرغ من وضعه بعد سنتين من بداية المراسلات، الأمر الذي يرجّح إمكانيّة تأثير صدّيق خان في نعمان في أثناء تأليف كتابه. وفي سنة ١٢٩٨/ ١٨٨٠ نشر نعمان الآلوسيّ كتابه هذا في القاهرة، وقد قارن فيه بين آراء ابن تيميّة وأحمد بن حجر الهيتميّ. ويرى خالد الرويهب أنّ هذا الكتاب هو أحد الأعمال المركزيّة في الاستعادة الفعليّة لفكر ابن تيميّة بعد قرون من انحصاره داخل إطار المذهب الحنبليّ.[٦٧] ويشير رشيد رضا إلى أنّ أوّل انطباع إيجابيّ له عن ابن تيميّة إنّما جاء من هذا الكتاب.[٦٨]

Basheer M. Nafi, "Salafism Revived: Nuʿmān al-Alūsī and the Trial of Two Aḥmads," = *Die Welt des Islams*, vol. 49, 2009, (49–97), p. 53.

(٦٦) عن حركة أهل الحديث، انظر:

Barbara Dali Metcalf, *Islamic Revival in British India: Deoband 1860–1900* (Princeton, NJ: Princeton University Press, 1982), pp. 268–296.

(٦٧) انظر:

Khaled El-Rouayheb, "From Ibn Hajar al-Haytami (d. 1566) to Khayr al-Din al-Alusi (d. 1899): Changing Views of Ibn Taymiyya among Non-Hanbali Sunni Scholars", in *Ibn Taymiyya and His Times*, eds. Yossef Rapoport and Shahab Ahmed (Karachi: Oxford University Press, 2015), (pp. 269–318), p. 305.

(٦٨) رشيد رضا، *المنار والأزهر* (القاهرة: مطبعة المنار، ١٣٥٢هـ)، ص ١٧٩.

لم يصدر كتاب *جلاء العينين* وحده في طبعته الأولى، وإنّما صدر وبهامشه كتابان آخران: أوّلهما *القول الجليّ في ترجمة شيخ الإسلام أحمد بن تيميّة الحنبليّ* لصفيّ الدين البخاريّ (ت. ١٢٠٠/ ١٧٨٦)، وقد ترجم فيه مؤلّفه لابن تيميّة ودافع فيه عن رأيه في مسألة الصفات. وثانيهما *الانتقاد الراجح في شرح الاعتقاد الصحيح* لصدّيق بن حسن القنوجيّ العالم الهنديّ السلفيّ الذي طبع *جلاء العينين* في مصر على نفقته، فضلًا عن مساهمته في نشر الكثير من كتب السلف.[٦٩] وبذا، لم يكن كتاب *جلاء العينين* مجرّد محاكمة بين الأحمدَين، وإنّما كان عمليّة استعادة وتقديم لابن تيميّة وللفكر السلفيّ وذلك بنصوص ثلاثة تعمل أوّلًا على ردّ الانتقادات الموجّهة له، ثمّ على تقديم فكره العقديّ، وأخيرًا عدّه الممثّل الدقيق لفكرة الاعتقاد الصحيح. ومن الجدير بالملاحظة أنّ كتاب *جلاء العينين* هو من أوّل الكتب التي طُبعت في المطابع العصريّة التي دخلت مصر في بدايات القرن الثالث عشر/ التاسع عشر، وهذا ما يسّر انتشاره بشكل أكبر من انتشار المخطوطات التي كانت تُنسخ باليد.

ومع ميل نعمان الآلوسيّ نحو فكر ابن تيميّة ودفاعه عنه، فإنّه نهَج نهْج والده، وأبدى احترامًا وتقديرًا للشيخ الأكبر محيي الدين ابن عربي، إذ يقول في *جلاء العينين* – وهو كتاب قد وضعه للدفاع عن ابن تيميّة كما أسلفنا – إنّ فكر الشيخ الأكبر: «منه ما هو من الأمور الكشفيّة ولا تعلّق له أصلًا بالأمور الدينيّة... فاعتقاد مثل هذا وإنكاره بحسب الظاهر في الديانة سيّان، ومنه ما قيل عن اجتهاد ورأي، ولكنّه خالف ظواهر الأخبار والآيات، فلا يبعد من قائله الغلط، فمن ذا الذي لم يغلط من المجتهدين قطّ؟»[٧٠]

وبعد نعمان الآلوسيّ، برز محمود شكري الآلوسيّ (١٨٥٧–١٩٢٤م) ابن عبد الله بن أبي الثناء، وهو أحد أبرز دعاة السلفيّة في بدايات القرن العشرين، إذ كرّس معظم حياته لنشر كتب ابن تيميّة والمؤلّفات السلفيّة، على الرغم من أنّ والده عبد الله كان ذا توجّهٍ صوفيّ واضح. غير أنّ وفاة والده وتكفُّل عمّه نعمان الآلوسيّ بتربيته أثّرا في توجّهه السلفيّ لاحقًا.

أدّى العراق دورًا مهمًّا في إحياء السلفيّة الحديثة وذلك بموقعه الجغرافيّ القريب من نجد، موطن الوهّابيّة، علاوةً على كونه أقرب الأقطار العربيّة اتّصالًا بالهند التي شهدت نشوء حركة أهل الحديث. كانت بغداد إذًا نقطة عقد في تشكيل الخطاب السلفيّ الحديث

(٦٩) الأثريّ، *أعلام العراق*، ص ٦١.

(٧٠) نعمان الآلوسيّ، *جلاء العينين*، ص ٩٤.

المبكر وانتشاره في المراكز الحضريّة العربيّة الأخرى في الإمبراطوريّة العثمانيّة. أمّا أبرز المروّجين للأفكار السلفيّة في هذه العاصمة الإقليميّة في القرن التاسع عشر فقد كانوا، كما بيّنّا، من عائلة الآلوسيّ المشهورة؛ إذ دمج مؤسّس الأسرة، أبو الثناء الآلوسيّ، الأفكار السلفيّة في تفسيره القرآنيّ اللامع، وأصبح ابنه، نعمان خير الدين الآلوسيّ، مدافعًا قويًّا عن عالم الدين الحنبليّ المتشدّد ابن تيميّة، بينما أكثر ابن شقيق نعمان، محمود شكري الآلوسيّ، من التأليف في معظم العلوم، وتراسل على نطاق واسع مع العلماء والمفكّرين العرب للبحث عن مخطوطات المؤلّفات السلفيّة والعمل على نشرها.[٧١] ومن العراق انتقل الفكر السلفيّ إلى سوريا عن طريق شخصيّات برزت في بدايات القرن العشرين، وأشهرها جمال الدين القاسميّ، ومحمّد بهجة البيطار، وطاهر الجزائريّ.[٧٢] ثمّ ساهمت مصر في نشر هذا الفكر في بدايات القرن العشرين نتيجة النشاط الفكريّ وازدهار حركة الطباعة فيها.

وبدراسة ظهور السلفيّة الحديثة وانتشارها المبكر تظهر لنا الجدليّة التي تربط الفكرَين الصوفيّ والسلفيّ. فمع انتشار التصوّف ودخول البدع والانحرافات عليه، برزت الدعوات الإصلاحيّة لتنقية الدين من البدع، غير أنّ بعض دعاة الإصلاح تشدّد في رفضه وتقييده للمظاهر الروحيّة المرتبطة بالتصوّف لدرجة تؤدّي إلى الجمود والانغلاق، وتخلق بالتالي ردَّ فعل معاكس يسعى للروحانيّات وينفتح على التوجّهات الصوفيّة، ليعود التصوّف للانتشار مرّة أخرى. وفي القرن الثالث عشر/التاسع عشر، نجد عاملًا آخر أثّر في صعود التيّار السلفيّ في العراق، وهو – للمفارقة – جهود الصوفيّة في القرن السابق في محاولة التوفيق بين الفكرين الحنبليّ – الأشعريّ، والتوجّه الصوفيّ الواضح للدولة العثمانيّة التي جعلت الكثير من علماء الحنابلة ينتسبون للتصوّف.[٧٣] وبذا، تقبّل العديد من الصوفيّة أعمال ابن

(٧١) انظر:

Itzchak Weismann, "Genealogies of Fundamentalism: Salafi Discourse in Nineteenth-Century Baghdad", *British Journal of Middle Eastern Studies*, Vol. 36, No. 2, August 2009, (267–280), p. 267.

(٧٢) في ما يتعلّق بسوريا، انظر: ديفيد كومنز، *الإصلاح الإسلاميّ: السياسة والتغيير الاجتماعيّ في سوريا أواخر العهد العثمانيّ*، ترجمة مجيد الراضي (دمشق: دار المدى، ١٩٩٩).

(٧٣) محمّد بن عبد الله بن حميد النجديّ المكّيّ، *السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة*، تحقيق بكر بن عبد الله أبو زيد وعبد الرحمن العثيمين (بيروت: مؤسّسة الرسالة، ١٤١٦ [١٩٩٦]). ويذكر محقّقا الكتاب في بدايته كثرة الأوصاف الصوفيّة التي استخدمها المؤلِّف (ص ٦).

تيميّة وابن القيّم ودافعوا عنها، مثل الملّا إبراهيم الكورانيّ، وشاه وليّ الله الهنديّ، والزبيديّ، الأمر الذي ساعد في إعادة انتشارها. وكان العراق أحد أبرز الأماكن التي انبثقت منها الميول السلفيّة عن طريق الفكر الصوفيّ، ولا سيّما بواسطة جهود عائلة الآلوسيّ.(٧٤)

من هذه السياقات السياسيّة والفكريّة ستتّضح لنا جوانب من فكر الشيخ عبد الله الدملوجيّ الذي عاش معظم حياته في مرحلة حكم الأسرة الجليليّة وشهد النهضة الفكريّة في الآداب والعلوم، كما واكب انتشار التصوّف وما أصابه من تراجع وانحراف نتيجة كثرة المستغلّين والمدّعين، وما رافق ذلك من دعوات إصلاحيّة وصلت حدّ تكفير بعض مشايخ الموصل الشيخ الأكبر محيي الدين ابن عربيّ، ليكتب الشيخ الدملوجيّ كتابه هذا دفاعًا عن الأولياء والتصوّف.

عائلة الدملوجيّ

هي إحدى العائلات العلميّة الشهيرة في العراق، برز منها العديد من العلماء في مجالات مختلفة، علاوة على الكثير من الشخصيّات السياسيّة التي سنشير إلى بعضها. إنّ معظم ما وصلنا عن أصل العائلة هو من مادّة شفهيّة، فالمعلومات الواردة عن أصل العائلة في الدراسات الأكاديميّة الغربيّة مستمدّة من لقاءات مع بعض أفرادها.(٧٥)

يشير معظم المراجع إلى أنّ أصل العائلة يعود إلى قرية دملوج في اليمن،(٧٦) قرب مدينة

(٧٤) انظر:

Khaled El-Rouayheb, *Islamic Intellectual History in the Seventeenth Century: Scholarly Currents in the Ottoman Empire and the Maghreb* (New York: Cambridge University Press, 2015), p. 311.

(٧٥) تستند دينا رزق خوري في ما ذكرته في كتابها *State and Provincial Society in the Ottoman Empire Mosul 1540–1834* إلى محادثة مع السيّد فيصل الدملوجيّ في بغداد سنة ١٩٨٥. انظر: Khoury, *State and Provincial Society in the Ottoman Empire Mosul 1540–1834*, p. 136-7.

(٧٦) ورد في معجم *البلدان والقبائل اليمنيّة* اسم «دَمّاج»، وهو اسم منتشر في اليمن، ويُطلق على وادٍ في مديريّة الصفراء وأعمال صعدة، وعلى مركز إداريّ من مديريّة مَسْوَر وأعمال البيضاء، وعلى قرية شمال غرب البيضاء، وعلى قرية من قرى بني قيس في بلاد حاشد، وآل دَمّاج فخيذة من قبائل ذي محمّد من بكيل. انظر: إبراهيم محمّد المقحفي، معجم *البلدان والقبائل اليمنيّة* (صنعاء: دار الكلمة للطباعة والنشر؛ وبيروت: المؤسّسة الجامعيّة للدراسات، ٢٠٠٢)، ج ١، ص ٦١٩–٦٢٠. وورد أيضًا اسم «الدُّمْلُوَه» بضمّ الدال واللام، وهي قلعة منيعة مشهورة فوق قرية المنصورة من جبل الصُلْو،=

تعز، من قبيلة الشريفات، ويرجع نسبهم إلى الأشراف الحسنيّة. ويُذكر أنّ العائلة قدمت في بداية القرن الثاني عشر/ الثامن عشر إلى جزيرة ابن عمر في منطقة الجزيرة بين العراق وسوريا وتركيا، حيث انخرط أفرادٌ منها في الجيش الإنكشاريّ قبل انتقالهم لاحقًا إلى الموصل. وأوّل من اشتُهر منهم الشيخ سليمان الذي يُعرف بسليمان آغا وكان قائدًا لفرقة من الجيش الإنكشاريّ العثمانيّ. وكان أفراد العائلة من الأثرياء، ويملكون أراضي زراعيّة شاسعة.(٧٧) ويلخّص توفيق الدملوجيّ في مقدّمة كتابه *والذكريات* ما ورد عن أصل العائلة بقوله:

> ظاهر من تاريخ العائلة وشجرته أنّ أسرة آل الدملوجيّ هي من عشيرة الشريفات التي نزحت من اليمن قبل أكثر من ٤٠٠ سنة واستوطنت في الأرض الكائنة ما بين ماردين ونصيبين وكان على رأسها الشيخ سليمان جدّ العائلة الدملوجيّة، الذي كان يتردّد إلى مدينة الموصل لقضاء بعض الحاجات، ثمّ اختارها مقرًّا لسكناه. وقيل إنّ أصله من أولاد حضرة سيّد الكونين، وأنّ اسمه مقيّد في النسب الذي بيد السيّد شريف بن السيّد فارس بيت ترعوز من العشيرة المذكورة، وهنا ظهر من نسله عدّة رجال اكتسبوا ثقة الأمراء والسلاطين، حتّى إنّ السلطان عبد الحميد خان الأوّل أنعم على الشيخ سليمان – حفيد الشيخ سليمان الأوّل المذكور أعلاه – برتبة رئيس فرقة الإنكشاريّة وأقطعه مقاطعة سنجار، كما أنعم السلطان سليم خان الثالث على ابنه الشيخ يوسف منصب رئاسة الفرقة المذكورة وأقطعه محافظة دان، ولم تزل فرامينهم والإرادات السلطانيّة موجودة ومحفوظة عند أفراد العائلة، ولقد نبغ من بين أفراد هذه العائلة عدّة رجال نالوا المقام الأسمى والمنزلة الرفيعة بين علماء الموصل، كالشيخ مصطفى والشيخ أسعد والعالم الفاضل الشيخ عبد الله شمس الدين.(٧٨)

=على بعد نحو ٦٠ كيلًا جنوب شرق مدينة تعز. انظر: المقحفي، *معجم البلدان والقبائل اليمنيّة*، ج ١، ص ٦٢١.

(٧٧) انظر مثلًا: الديوه جي، *تاريخ الموصل*، ج ٢، ص ٢٢٥–٢٢٦؛ ويذكر المؤلّف أنّهم نزحوا من اليمن في القرن الحادي عشر الهجريّ، انظر: الديوه جي، *تاريخ الموصل*، ج ٢، ص ١٧٤. وانظر أيضًا: إبراهيم العلّاف، «آل الدملوجيّ ودورهم في التاريخ الحديث»، مقالة إلكترونيّة في صفحة الدكتور إبراهيم العلّاف. وقد أكّد العلّاف لنا أنّ المقالة ستصدر ضمن كتاب قيد النشر بعنوان *أسر وعوائل موصليّة* (الموصل: دار نون للطباعة والنشر، ٢٠٢٣)، ص ٧٤–٧٦.

(٧٨) توفيق سعيد الدملوجيّ، *والذكريات* (بيروت: المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر، ٢٠٠٠)، ص ٧.

وقبل الانتقال إلى تفصيل ما جاء في المصادر عن الشيخ عبد الله الدملوجيّ، نشير إلى بعض أعلام العائلة في ميادين الفكر والسياسة والعلم. إنّ المعلومات المتعلّقة بالأجيال الأولى في القرن الثاني عشر/ الثامن عشر قليلة جدًّا، بما في ذلك المعلومات الخاصّة بالشيخ عبد الله الدملوجيّ، أحد أبرز علماء الموصل. لكن تكثر المعلومات عن الأجيال اللاحقة التي انخرطت في الحياة العلميّة والسياسيّة في العراق والعالم العربيّ في القرنين الثالث عشر والرابع عشر/ التاسع عشر والعشرين. وإنّ أحد أهمّ المصادر التي تمدّنا بمعلومات عن أجيال العائلة الأولى في الموصل هو بعض ما تناقلته العائلة باستنادها إلى وثائق وفرمانات عثمانيّة في حوزتها، وقد أورد أحد أفرادها وهو فاروق الدملوجيّ – الذي سنعرّف به لاحقًا – هذه المعلومات في ورقة ملحقة بأحد مخطوطات أعمال الشيخ عبد الله الدملوجيّ المتوارثة في العائلة، وهو مخطوط *حاشية الدملوجيّ على شرح العصام لرسالة الوضع للإيجيّ*. وقد تفضّلت العائلة بإعارتها للجامعة الأميركيّة في بيروت لرقمنتها. جاء في الورقة: «ما علمناه من أصل نسل الدملوجيّ كما تراه أدناه وهو مقتبس من فرامينهم السلطانيّة التي هي موجودة الآن في أيدينا (حزيران سنة ١٢٩٧)، نقلًا عن دفتر الوالد المرحوم محمّد سعيد أفندي الدملوجيّ». ونشير هنا إلى أنّ التراجم الثلاث الأولى الآتية مقتبسة من هذه الورقة الملحقة بالمخطوط.[٧٩]

سليمان آغا: هو سليمان آغا الشهير المعتبر بوقته، يقال إنّه كان رئيسًا على فرقة الينيشاريّة [أي الإنكشاريّة] ويقال إنّ أصله سيّد من أولاد حضرة سيّد الكونين من عشيرة الشريفات الساكنة قرب ماردين واسمه مقيّد في النسب الذي في بيت ترعوز عند سيّد شريف بن سيّد فارس. صار له من الأولاد يوسف آغا وهو جدّنا الأكبر وله من الأولاد أيضًا حسين وعليّ وشمس وفاطمة لا نعلم عنهم شيئًا. وكان قد حضر إلى الموصل للاشتراك في حفلة استقبال السلطان مراد الرابع العثمانيّ عند وصوله إليها بطريقه إلى بغداد، فشمله السلطان بعطفه وجعله رئيسًا على فرقة الينيشاريّة وعيّن ابنه يوسف آغا محافظًا على قلعة وان.

يوسف آغا: ابن سليمان آغا، إنّما قيل إنّه كان طورنجي باشي ثمّ تصحّفت فصارت ديرنجي

(٧٩) ذكرت سمر سلمى دملوجيّ أنّ مصدر هذه المعلومات هو مخطوط خُطّ بيد فاروق الدملوجيّ عن شجرة العائلة، وقد أُلحقت بعض ورقاته بـ *حاشية الدملوجيّ على شرح العصام لرسالة الوضع للإيجيّ*، المرقمنة في الجامعة الأميركيّة، ومن هذا المخطوط أيضًا المخطّط المعروض في الصفحة ٣٢ من هذه المقدّمة.

باشي ثمّ تصحّفت أيضًا فصارت دملجيّ ثمّ دملوجيّ وذلك من فرامينهم والحجج والأوراق التي كانت عندهم، وهي الآن موجودة عندنا. كان له من الأولاد مصطفى آغا وسليمان آغا، وكان هو أيضًا رئيسًا على فرقة الينيشاريّة، وكان محافظ قلعة وان وفرمانه السلطانيّ محفوظ عندنا، وكان صاحب تيمارات ومالكافات عديدة، وكان وَيْوَضَه في سنجار، أي بصفة متصرّف في ذلك الزمان، وكان ذا حشمة ودولة وافية حتّى قيل إنّه وضع ستّين ألف ذهب كوفيّ طمرها وغيّبها في داره (أي في دارنا الكبير هذا في محلّة الجولان بالموصل) عن أولاده وما أحد يدري بها. ودولته عظيمة ومشهورة. توفّي شهيدًا برصاصة جاءته سهوًا مات بها شهيدًا رحمة الله عليه. اسمه مقيّد في نسب بيت ترعوز.

وفي اليمن قرية اسمها دملوج، وفي القاموس الدُملُج الأرض الصلبة.

مصطفى آغا: ابن يوسف آغا ابن سليمان آغا: كان له من الأولاد عبد الله أفندي وأسعد آغا، وكان هو أيضًا سباهي، أي رئيسًا للينيشاريّة، وكان ذا اعتبار وحرمة عند الحكومة وعند الناس. وفي أواخر عمره كان قد تمرّض ولداه عبد الله أفندي وأسعد آغا بوقت واحد بمرض ثقيل، فلمّا جاء الطبيب ليعالجهما قال إنّ عبد الله سيموت من مرضه وأسعد آغا يسلم. فلمّا سمع مصطفى آغا كلام الطبيب أصابته نازلة من خوفه على ولده عبد الله، فمات رحمة الله عليه من تلك النازلة، وبرأ أولاده من مرضهم، وعاشوا زمنًا غير قصير من بعده. واسمه أيضًا مقيّد [في نسب بيت ترعوز].[٨٠]

ومصطفى هذا هو والد الشيخ عبد الله الدملوجيّ مؤلّف الرسالة المحقَّقة في هذا الكتاب وأشهر شخصيّات العائلة والذي يُشار إليه بشيخ العائلة وعالمها الكبير. لكن، ومع الأسف، فإنّ المعلومات المتعلّقة به قليلة جدًّا، وقد سعينا جهدنا لجمع كلّ ما ذكر عنه في المصادر، وسنورد المعلومات في ترجمة مستقلّة له بعد أن نذكر بعض أفراد العائلة من أولاد الشيخ وأحفاده.

أشار فاروق الدملوجيّ – وهو فاروق بن سعيد بن عبد الرحمن بن الشيخ عبد الله الدملوجيّ، حفيد ابن الشيخ عبد الله، وكاتب الورقة – إلى أنّه كان للشيخ عبد الله من الأولاد الذكور ثمانية، ماتوا جميعهم أطفالًا إلّا عبد الرحمن أفندي الذي شغل منصب رئاسة أوقاف

(٨٠) ذكر فاروق الدملوجيّ هذه المعلومة في الورقة الملحقة بـ *حاشية الدملوجيّ على العصام* (النسخة المرقمنة في الجامعة الأميركيّة في بيروت).

الموصل،[٨١] والذي أنجب ولدَين: مصطفى وسعيد. شغل مصطفى – كوالده – رئاسة أوقاف الموصل وتوفّي سنة ١٢٩٦/ ١٨٧٩. أمّا سعيد فتقلّد وظائف عديدة في العهد العثمانيّ، وكان مهتمًّا بالأدب، وتوفّي عن خمسة أولاد وهم: صدّيق، وفاروق – كاتب الورقة –، وعبد الله، وتوفيق، ونعمة الله.

أمّا صدّيق بن سعيد بن عبد الرحمن بن الشيخ عبد الله الدملوجيّ (١٢٩٨–١٣٧٨/ ١٨٨٠–١٩٥٨)، فكان إداريًّا ومؤرّخًا. بدأ حياته في العمل الإداريّ وأصبح قائمقامًا في بعض الأقضية في تلّعفر، وسنجار، والنجف، والسماوة، والشطرة، والقرنة، لكنّه اختلف مع المفتّش الإداريّ الإنكليزيّ، فعُزل من وظيفته سنة ١٩٢٦م، وتفرّغ بعدها للبحث التاريخيّ، وألّف عدّة كتب منها: *إمارة بهدينان الكردّية*، أو *إمارة العمادّية*، طُبع في الموصل سنة ١٩٥٢م؛ *واليزيدّية*، طُبع في الموصل سنة ١٩٤٩م؛[٨٢] *ومدحت باشا*، طُبع في الموصل سنة ١٩٥٣م؛ *والأنقاض*، طُبع في الموصل سنة ١٩٥٤م، وهو مجموعة مقالات وخواطر في التاريخ والأدب والاجتماع؛ كما كتب الكثير من المقالات والدراسات في عددٍ من الصحف والمجلّات، منها جريدة *النجاح* ومجلّة *الجزيرة* الموصليّة.

وأمّا فاروق الدملوجيّ (١٢٩٨–١٣٧٦/ ١٨٨١–١٩٥٧) فقد درس الطبّ البيطريّ في استنبول، وتنقّل بين وظائف عدّة، وشغل منصب مديريّة البيطرة العامّة. وقد تفرّغ بعد تقاعده للتأليف والبحث في الأديان، فألّف: *تاريخ الآلهة* في عدّة أجزاء، وقد طُبع في بغداد بين سنتي ١٩٥٠–١٩٥٦م.[٨٣] وفي هذا الكتاب اقتباسات عديدة من كتاب *كفّ المعارض*. وله أيضًا كتاب بعنوان *هذا هو الإسلام*، طُبع في بيروت سنة ١٩٦٨م، وتضمّن أيضًا اقتباسات من *كفّ المعارض*. ومن أولاد فاروق: زهير، وفيصل، وسالم، وعصام، ونبيل.

---

(٨١) ذكر فاروق الدملوجيّ هذه المعلومة في الورقة الملحقة بـ *حاشية الدملوجيّ على العصام* (النسخة المرقمنة في الجامعة الأميركيّة في بيروت).

(٨٢) صدّيق الدملوجيّ، *اليزيدّية* (الموصل: مطبعة الاتّحاد، ١٩٤٩).

(٨٣) فاروق الدملوجيّ، *تاريخ الآلهة: الكتاب الثالث في الديانة العبريّة: يهوه إله بني إسرائيل* (القاهرة: مطبعة المعارف، ١٩٥٠)؛ *الألوهيّة في المعتقدات الوثنيّة* (د.ن، ١٩٥١)؛ *الألوهيّة في المعتقدات الإسلاميّة* (د.ن، ١٩٥٢). أُعيدت طباعة هذه الكتب في بيروت، الأهليّة للنشر والتوزيع، ٢٠٠٤، بعنوان *تاريخ الأديان: الألوهيّة وتاريخ الآلهة*. وقد ذكر فيصل الدملوجيّ، ابن المؤلّف والمشرف على إعادة الطباعة، أنّ هذه الطبعة هي الطبعة الثالثة والكاملة لجميع رسائل والده المتعلّقة بتاريخ الأديان؛ فاروق الدملوجيّ، *تاريخ الأديان*، ص ١٢.

أمّا توفيق سعيد الدملوجيّ فقد وُلد في مدينة الموصل سنة ١٣١٢/ ١٨٩٤، وتخرّج من المدرسة الكلّيّة العسكريّة العثمانيّة سنة ١٩١٥م، وعمل ضابطًا في الجيش العثمانيّ، وأُسر في الحرب العالميّة الأولى، ثمّ التحق بالثورة العربيّة، واشتغل في الحكومة العربيّة التي شكّلها الملك فيصل بن الشريف حسين في دمشق سنة ١٩١٨م. ولمّا أُسّست الدولة العراقيّة وتولّى الملك فيصل حكم العراق، أصبح توفيق الدملوجيّ من مرافقيه.(٨٤)

وأمّا عبد الله بن سعيد الدملوجيّ فقد تخرّج من كلّيّة الطبّ في استنبول، وعمل ضابطَ احتياط في الجيش العثمانيّ، وشارك في الحركة العربيّة القوميّة، ثمّ ذهب إلى نجد حيث عمل مستشارًا للملك عبد العزيز آل سعود، وعُيّن وزيرًا لخارجيّة المملكة العربيّة السعوديّة. وعندما عاد إلى العراق عُيّن وزيرًا للخارجيّة سنة ١٩٣٠م، ثمّ سفيرًا للعراق في إيران.(٨٥)

ويقول الدكتور العلّاف إنّ دار الدملوجيّ كانت تقع في منطقة السرجخانة بالموصل، وهي ملاصقة لمسجد زينب خاتون، وقد أُزيلت منذ سنوات.(٨٦)

---

(٨٤) كتب عنه الأستاذ حارث طه الراوي مقالة في جريدة *الاتّحاد* البغداديّة (العددان ٥٦ و٥٧، ١٩٨٧). العلّاف، «آل الدملوجيّ ودورهم في التاريخ الحديث». ويضيف العلّاف: «وقد ترك أوراقًا شخصيّة يقوم الآن الصديق الأستاذ ياسين الحسينيّ بنشرها على حلقات في جريدة *المشرق* البغداديّة وصدرت الحلقة الأولى في العدد الصادر يوم ١٠ من آذار ٢٠٠٥».

(٨٥) انظر:

British Documents on Foreign Affairs – Reports and Papers from the Foreign Office Confidential Print: Afghanistan, Persia, Turkey and Iraq, ed. Malcolm Yapp (Washington D.C.: University Publications of America, 2002), vol. 9, p. 290; Joseph Kostiner, *The Making of Saudi Arabia, 1916–1936: From Chieftaincy to Monarchical State* (New York and Oxford: Oxford University Press, 1993), p. 105.

وللمزيد من المعلومات عن حياته السياسيّة، انظر: عبّاس عليّ جمعة الإيزرجاوي وعكاب يوسف الركابي، «عبد الله الدملوجيّ: آراؤه ومواقفه في مجلس النوّاب العراقيّ ١٩٣٠–١٩٥٠»، *مجلّة واسط للعلوم الإنسانيّة*، المجلّد ١٢، العدد ٣٣، ٢٠١٦، (٢١٢–٢٢١). وانظر أيضًا: فلاح حسن كزار، «عبد الله الدملوجيّ: سيرة تاريخيّة ١٨٩٠–١٩٧١»، *مجلّة دراسات في التاريخ والآثار*، ملحق العدد ٧٢، كانون الأوّل، ٢٠١٩، (٣٧٥–٤١٤).

(٨٦) يذكر العلّاف عددًا من المراجع التي تضمّ بعض المعلومات عن أسرة الدملوجيّ؛ يقول: «كتب الأستاذ المؤرّخ المرحوم عبد المنعم الغلامي عن الأسرة الدملوجيّة مقالة في جريدة *صدى الأحرار* الموصليّة، العدد ١٦٧، في ١١ تمّوز ١٩٥٢. كما كتب الدكتور إبراهيم خليل العلّاف مبحثًا عن صدّيق الدملوجيّ في موسوعة الموصل الحضاريّة الجزء (٥)، والتي نشرتها جامعة الموصل سنة=

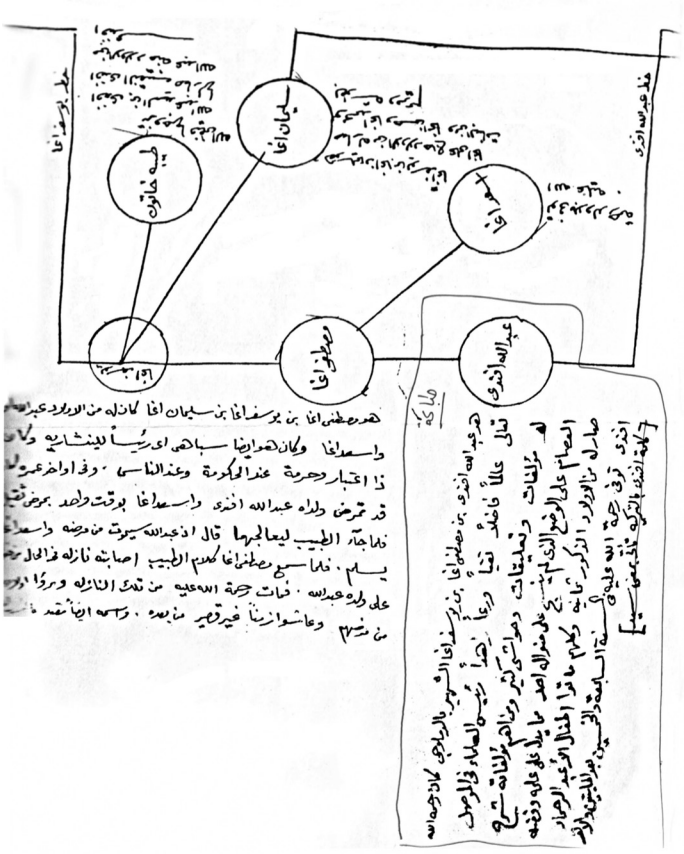

الشيخ عبد الله بن مصطفى الدملوجيّ (ت. ١٢٥٩/١٨٤٣)

هو الشيخ عبد الله بن مصطفى بن يوسف بن سليمان، المعروف بابن الدملوجيّ الموصليّ الحنفيّ. يصفه أكثر المصادر بأنّه شيخ العلماء في الموصل في زمانه، لكن لا ذكر لنشأته وطلبه العلم، وإنّما اقتصرت المصادر على الإشارة إلى مكانته المرموقة وغزارة علمه، وغالبًا ما أشير إلى اثنين من مؤلّفاته وهما: *كفّ المعارض*، و*حاشيته على شرح العصام*. فيقول الديوه جي في *تاريخ الموصل* مثلًا: «الشيخ شمس الدين عبد الله بن الشيخ مصطفى آغا: كان

=١٩٩٢. وكتب الدكتور عبد الفتّاح عليّ يحيى البوتاني مقالة عنه نشرها في مجلة *كاروان* (الأربيليّة)، العددان ٧٣، آذار ١٩٨٩ و٧٤، نيسان ١٩٨٩، وكتب ابنه صباح الدملوجيّ مقالة عنه في مجلّة *المؤرّخ العربيّ*، العدد ٥٦، ١٩٩٨».

عالمًا جليلًا، تولّى رئاسة العلماء في الموصل. ومن مؤلّفاته: ١. *كفّ المعارض ببراءة ابن عربيّ وابن الفارض*. ٢. *شرح عصام في علم الوضع*».[٨٧] ويذكر صاحب *تاريخ التعليم في العراق* في كلامه على علماء الموصل ومدرّسيها الشيخَ عبد الله الدملوجيّ على رأس قائمة الذين نبغوا في الموصل، ولكن من دون ذكر أيّ معلومات إضافيّة.[٨٨] أمّا سليمان الصائغ فيذكر في *تاريخ الموصل* إنجازات الأسرة الجليليّة في نشر العلم ويشير إلى بروز عدد من العلماء، ويقول: «ونخصّ بالذكر منهم عبد الله أفندي الدملوجيّ رئيس العلماء صاحب كتاب *شرح العصام في علم الوضع*».[٨٩] ويقول في سياق آخر:

> عبد الله أفندي رئيس العلماء بن مصطفى آغا بن يوسف آغا المعروف بالدملوجيّ، كان من مشاهير هذا النصف [أي النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجريّ] وتوفّي في آخر أيّام ولاية محمّد باشا إينجه بيرقدار سنة ١٢٥١-١٢٥٩/ ١٨٣٥-١٨٤٣. أخذ الإجازة عن شيخه الكزبريّ واشتغل بالتدريس فتخرّج عليه كثيرون من علماء الموصل، وكان محترمًا رفيع المنزلة عند الخاصّة والعامّة، وقيل إنّه أنقذ من حكم الإعدام كثيرين من الأبرياء الذين قُضي عليهم بالموت، وذلك بفضل ما كان له من النفوذ عند الوالي الشديد الشكيمة محمّد باشا المذكور. لم نجد له من الآثار سوى ما نُقل إلينا من شرحه عصام، وقيل أيضًا إنّ له حواشي يتداولها العلماء.[٩٠]

ولا نجد ذكرًا للشيخ عبد الله الدملوجيّ في كتاب *الدرّ المنتثر في رجال القرن الثاني عشر والثالث عشر* لعليّ علاء الدين الآلوسيّ (ت. ١٣٤٠/ ١٩٢٢)، ولا في كتاب *تاريخ الأدب العربيّ في العراق* لعبّاس العزّاوي (ت. ١٣٩١/ ١٩٧١).

أمّا معاجم الأعلام وفهارس المخطوطات فتكرّر جميعها المعلومات عينها بما لا يزيد على السطرين؛ يقول عمر رضا كحّالة في *معجم المؤلّفين*: «عبد الله الدملوجيّ (كان حيًّا

(٨٧) الديوه جي، *تاريخ الموصل*، ج ٢، ص ٢٢٥-٢٢٦.

(٨٨) عبد الرزّاق الهلاليّ، *تاريخ التعليم في العراق في العهد العثمانيّ ١٦٣٨م-١٩١٧م* (بغداد: شركة الطبع والنشر الأهليّة، ١٩٥٩)، ص ٩٥.

(٨٩) سليمان صائغ، *تاريخ الموصل* (طُبع الجزء الأوّل في القاهرة: المطبعة السلفيّة، ١٩٢٣، وطُبع الجزء الثاني في بيروت: المطبعة الكاثوليكيّة، ١٩٢٨)، ج ١، ص ٣٢١-٣٢٢.

(٩٠) صائغ، *تاريخ الموصل*، ج ٢، ص ٢٤٢.

١٢٥٦/ ١٨٤٩) عبد الله بن مصطفى الموصليّ، الشهير بابن الدملوجيّ، شمس الدين. متكلّم. من آثاره: رسالة في بحث إيمان الأبوَين الشريفَين أتمّها سنة ١٢٥٦ هـ، حاشية على شرح عصام على الوضعيّة».[٩١] وجاء في *فهرس التيمورّية*: «رسالة في بحث إيمان الأبوَين الشريفَين لشمس الدين عبد الله بن مصطفى الموصليّ الشهير بابن الدملوجيّ. أتمّها سنة ١٢٥٦، خطّ ١٢٧٢ هـ، (٣٢٥ مجاميع ٧)».[٩٢] وورد في مقالة «مخطوطات الخزانة الآلوسيّة في مكتبة المتحف العراقيّ»: «حاشية على شرح عصام على الوضعيّة، لشمس الدين عبد الله ابن مصطفى الدملوجيّ الموصليّ، كان حيًّا سنة ١٢٥٦/ ١٨٤٠»،[٩٣] ويقتبس أكثر المصادر ممّا سبقها من دون أيّ إضافة تُذكر.[٩٤]

أمّا عمله فلا تشير المصادر إلّا إلى ممارسته التدريس في المدرسة الأمينيّة، فجاء في كتاب *المكتبات العامّة الموصليّة منذ القرن الثامن عشر وحتّى القرن العشرين*، في وصف مكتبة المدرسة الأمينيّة[٩٥] التي تقع في جامع الباشا في سوق السراي: «وأوّل من درّس فيها الملّا أحمد الجميليّ المتوفّى سنة ١١٧٠هـ، والحدّاديّ، والملّا جرجيس الأربليّ، والشيخ يوسف الواعظ الرمضانيّ، وعبد الله الدملوجيّ المتوفّى سنة ١٢٥٩هـ، والشيخ...».[٩٦] ويشير أحد الباحثين المعاصرين، بدون ذكر مصادره، إلى أنّ الشيخ الدملوجيّ عمل مدرّسًا وخطيبًا وواعظًا في الحضرة الجرجسيّة.[٩٧]

(٩١) عمر رضا كحّالة، *معجم المؤلّفين: تراجم مصنّفي الكتب العربيّة* (بيروت: مؤسّسة الرسالة، ١٩٩٣)، ج ٢، ص ٢٩٩.

(٩٢) *فهرس الخزانة التيمورّية* (القاهرة: مطبعة دار الكتب المصريّة، ١٩٥٠)، ج ٤، ص ٥٥.

(٩٣) أسامة النقشبنديّ، «مخطوطات الخزانة الآلوسيّة في مكتبة المتحف العراقيّ»، *مجلّة المورد*، المجلّد ٤، العدد ١، ربيع ١٩٧٥، (١٧٥-٢٠٦)، ص ١٨٩.

(٩٤) ورد مثلًا في: *معجم تاريخ التراث الإسلاميّ في مكتبات العالم المخطوطات والمطبوعات* لعليّ الرضا قره بلوط وأحمد طوران قره بلوط (قيصري: دار العقبة، ٢٠٠١)، ص ١٤٧٤، ما يلي: «عبد الله ابن مصطفى شمس الدين الدملوجيّ الموصليّ المتكلّم المنطقيّ المعروف بالدملوجيّ المتوفّى بعد سنة ١٢٥٦/ ١٨٤٠. انظر: كحّالة، *معجم المؤلّفين* ٦/ ١٥٣؛ *فهرس الخزانة التيمورّية* ٤/ ٥٥».

(٩٥) للمزيد عن المدرسة الأمينيّة، انظر: سعيد الديوه جي، «مدارس الموصل في العهد العثمانيّ: الجزء الأوّل»، ص ٨٤، ولم يذكر الديوه جي الشيخ عبد الله الدملوجيّ ضمن مَن درّس فيها.

(٩٦) قصيّ حسين آل فرج، *المكتبات العامّة الموصليّة منذ القرن الثامن عشر وحتّى القرن العشرين* (عمّان: دار غيداء للنشر والتوزيع، ٢٠١٢)، ص ٣٣-٣٤.

(٩٧) أكرم الموصليّ، *الإمداد شرح منظومة الإسناد*، ج ١٣، ص ١٢٠. ويقول الموصليّ عند الحديث=

ويجمِل توفيق الدملوجيّ في مقدّمة *والذكريات* ما تذكره المصادر السابقة عن الشيخ عبد الله الدملوجيّ؛ يقول:

> توصّل إلى درجة رئاسة العلماء، وله تآليف كثيرة وتعليقات وهوامش يعرفها المتتبّعون لكتب الدراسة العلميّة في العراق، منها كتابه [*حاشية على*] *شرح العصام على الوضع* الذي لم ينسج على منواله أحد قطّ، والذي حاز الأهمّيّة القصوى لدى العلماء وطلّاب العلوم، وغيرها من التآليف المحفوظة لدى أفراد العائلة. وكان قد تخرّج عليه كثيرون من علماء الموصل، وكان محترمًا رفيع المنزلة عند الخاصّة والعامّة، وقيل إنّه أنقذ من حكم الإعدام كثيرًا من الأبرياء الذين حُكم عليهم بالموت، بفضل ما كان له من نفوذ عند الوالي التركيّ اينجة بايراقدار محمّد باشا الشديد الشكيمة، كما أنّه قد ظهر من هذه العائلة رجال سياسة وقوّاد عسكريّون وأطبّاء كثيرون لهم المقام السامي في القطر.(٩٨)

وكما يظهر جليًّا، لم يُضف حفيد ابن المؤلّف جديدًا على ما مرّ من معلومات تتعلّق بالشيخ شمس الدين عبد الله الدملوجيّ. وأمّا المراجع المعاصرة فإنّها تستند إلى المصادر التي أشرنا إليها، إذ يقول أكرم الموصليّ في *الإمداد شرح منظومة الإسناد*:

> الشيخ عبد الله الدملوجيّ الموصليّ، وهو العلّامة الملقَّب بشمس الدين بن مصطفى آغا بن يوسف آغا المعروف بالدملوجيّ الموصليّ، من مشاهير العلماء. أخذ الإجازة العلميّة على الشيخ عبد الرحمن الكزبريّ بن محمّد الكزبريّ الدمشقيّ المعروف، واشتغل بالتدريس والتأليف، من ذلك في البحث والمناظرة والمنطق والوضع، وله كتاب اسمه *كفّ المعارض ببراءة*

=عن شيوخ أحمد الخيّاط: «الشيخ الثامن من شيوخ أحمد الخيّاط: العلّامة أبو عبد الرحمن عبد الله أفندي الدملوجيّ بن مصطفى آغا الموصليّ الحنفيّ القادريّ، المدرّس الخطيب الواعظ في الحضرة الجرجيسيّة، صاحب التحقيقات النافعة، له حاشية على حاشية شرح عصام الدين في علم الوضع». وأكرم بن عبد الوهّاب الملّا يوسف الموصليّ من العلماء المعاصرين المهتمّين بأسانيد أهل الموصل، وله في هذا الشأن: *إجازات العراقيّين*، *والمقتطف من أسانيد العراقيّين وإجازاتهم*، علاوة على منظومة في الإسناد شرحها في عدد من الأجزاء بعنوان *الإمداد شرح منظومة الإسناد*.

(٩٨) توفيق الدملوجي، *والذكريات*، ص ٧.

ابن عربيّ وابن الفارض، وله تعليقات وحواشٍ تتداولها العلماء، وله رسالة في بحث إيمان الأبوَين الشريفَين أتمّها سنة ١٢٥٦هـ، وقد وقع الخلاف في تاريخ وفاته، والذي في شجرة نسب العائلة أنّه توفّي سنة ١٢٥٧هـ. وقد عُرف في عصره أيضًا بأنّه رئيس علماء زمانه. كما أنّ له حاشية في الوضع على عصام أوّلها: نحمدك يا من لا يفي بتقسيم حرف من حروف سوابق صلات نعمك العدّ والبيان، وفي مدرسة الصائغ نسخة أخرى، وقد أشار داوود جلبي إلى نسخة بخطّه. وله أيضًا في علم الوضع حاشية على حاشية ألوغ بيك على شرح الرسالة السمرقنديّة[٩٩] أوّلها: إنّ أحسن ما يُستعان به في الأمور الحسان وأوّل ما يُستجلب به نعم المنّان حمد من وفّق من شاء للبحث والتحقيق، وهي ضمن مخطوطات مدرسة الصائغ، ونسخة أخرى بخطّ الشيخ عليّ ذياب شيخ شيخنا في المدرسة الرضوانيّة. وله تقاريض على بعض الكتب والمصنّفات، وله إجازة من العلّامة الشيخ عبد الرحمن بن محمّد الكزبريّ الدمشقيّ. وشهرة العائلة أتت من (دملوج) قرية تابعة لمدينة تعز، نزحت قبيلة الشريطات[١٠٠] من القرن الثاني عشر إلى بلاد الجزيرة ومنها آل الدملوجيّ الذين سكنوا الموصل، وهم سادة حسنيّون يُنسبون إلى سيّدنا الحسن بن عليّ رضي الله عنه. وقد حصل الاضطراب في تاريخ وفاته، والراجح أنّه توفّي سنة ١٢٥٩ هـ. ومن أبرز أحفاده الشيخ حسن الدملوجيّ ومعاصرنا الأستاذ المحامي ميسر بشير.[١٠١]

مشايخه

لم تذكر المصادر والمراجع وكتب الأسانيد التي أشارت إلى الشيخ الدملوجيّ إلّا اثنين من شيوخه وهما:

(٩٩) وهي ليست في علم الوضع وإنّما في آداب البحث، وليس لألغ بيك حاشية على السمرقنديّة، انظر القسم المخصّص لمؤلّفات الشيخ.

(١٠٠) وقد ورد سابقًا أنّها «الشريفات».

(١٠١) أكرم الموصليّ، *الإمداد شرح منظومة الإسناد*، ج ٧، ص ٦٤-٦٦. وقد قال في ص ٦٦، هامش ١ في كلامه على المحامي ميسر بشير: «وقد أتحفنا ببعض المعلومات عن جدّه الأستاذ المحامي ميسر بشير الرجل الفاضل وفّقه الله وأكرمه من ذرّيّة المترجم عبد الله الدملوجيّ». وما ذكره في النصّ حول شجرة نسب العائلة يعود أيضًا للأستاذ ميسر بشير كما ذكر في ص ٦٤، هامش ٤.

١) الكزبريّ (ت. ١٢٦٢/ ١٨٤٦): هو عبد الرحمن بن محمّد بن عبد الرحمن الكزبريّ الدمشقيّ، والمعروف بالكزبريّ الصغير، محدّث الديار الشاميّة. وُلد سنة ١١٨٤هـ في دمشق ودرس على والده وعلماء عصره، وأخذ عنه الكثير من علماء الشام والعرب والعجم. درّس في قبّة النسر في الجامع الأمويّ وكان عامّة علماء دمشق يحضرون درسه. توجّه للحجّ سنة ١٢٦٢هـ وتوفّي هناك رابع أيّام عيد الأضحى، ودُفن في المعلّاة بمكّة.[١٠٢] وقد أشرنا آنفًا إلى ما ذكره الصائغ في *تاريخ الموصل* من أنّ للشيخ الدملوجيّ إجازة من الشيخ الكزبريّ،[١٠٣] وكذا جاء في أحد هوامش كتاب *فهرس مخطوطات مكتبة الأوقاف العامّة في الموصل*: «عبد الله أفندي بن مصطفى آغا بن يوسف آغا المعروف بالدملوجيّ. كان من مشاهير العلماء، أخذ الإجازة العلميّة على الشيخ الكزبريّ».[١٠٤]

٢) صالح بن يحيى السعديّ الموصليّ من آل محضر باشي بالموصل (ت. ١٢٤٤/ ١٨٢٨).[١٠٥] هو باحث أديب له اشتغال بالحديث، وكان من تلاميذ الآلوسيّ الكبير. عرف الفارسيّة والتركيّة مع علمه بآداب العربيّة. عُيّن كاتبًا للإنشاء عند والي الموصل محمّد أمين باشا، وقُتل في مؤامرة أُريد بها قتل الوالي. من مؤلّفاته: ديوان شعر، وحاشية على شرح *العضديّة* لعصام الدين في علم الوضع، و*عقد الدرر في مصطلح أهل الأثر*.[١٠٦] وجاء في كتاب *الإمداد شرح منظومة الإسناد* أنّ من تلاميذ الشيخ صالح السعديّ: «الشيخ أبو عبد الرحمن عبد الله المدرّس الخطيب الواعظ ابن مصطفى آغا ابن يوسف الموصليّ الحنفيّ القادريّ الشهير بالدملوجيّ المتوفّى سنة ١٢٥٩هـ».[١٠٧]

(١٠٢) انظر: عبد الرزاق البيطار، *حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر*، تحقيق محمّد بهجة البيطار (بيروت: دار صادر، ١٩٩٣)، ص ٨٣٣. (وهي طبعة ثانية للكتاب، صدرت الأولى عام ١٩٦١ عن مجمع اللغة العربيّة بدمشق).

(١٠٣) الصائغ، *تاريخ الموصل*، ج ٢، ص ٢٤٢.

(١٠٤) أحمد، *فهرس مخطوطات مكتبة الأوقاف العامّة في الموصل*، ج ٧، ص ١٧٥.

(١٠٥) أكرم الموصليّ، *الإمداد شرح منظومة الإسناد*، ج ١٣، ص ١٣٦. وقد ورد في كتاب *تاريخ الأدب العربيّ في العراق* لعبّاس العزّاوي ج ٢، ص ١٣٨، أنّه توفّي سنة ١٢٤٥/ ١٨٢٩.

(١٠٦) خير الدين الزركليّ، *الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين* (بيروت: دار العلم للملايين، ٢٠٠٢)، ج ٣، ص ١٩٨.

(١٠٧) أكرم الموصليّ، *الإمداد شرح منظومة الإسناد*، ج ١٣، ص ١١٧ و١١٩ و١٢٠.

تلامذته

تشير المصادر والمراجع إلى أربعة من العلماء الذين درسوا على الشيخ الدملوجيّ، وهم:

١) محمّد صالح بن طه الخطيب الموصليّ (ت. ١٣٠٦/ ١٨٨٩): من عائلة علميّة نزح أحد أجدادها من سوريا إلى الموصل، واشتُهرت بالخطابة. كان من كبار علماء عصره وتخرّج عليه جمهرة من العلماء الأعلام، ومنهم شيخ الموصل محمّد أفندي الرضوانيّ (ت. ١٣٥٧/ ١٩٣٨)، وله مخطوطة في المعاملات الفقهيّة وأُخرى في حلّ الألغاز.[١٠٨] وله إجازة لتلميذه محمّد الرضوانيّ[١٠٩] سنة ١٣٠٥هـ، قال فيها عند ذكر مشايخه: «فمنهم العالم العابد، والحبر الزاهد، من زيّن بمآثره العلوم العقليّة والنقليّة، وملك بنقد ذهنه جواهرها السنيّة، وسوّر معصم الأفاضل بسلاسل الإفادة، أبو عبد الرحمن شمس الدين عبد الله أفندي دملوجي زاده، فقد قرأتُ عليه علم النحو فانتفعتُ بفتوحاته واقتبستُ من أنوار فيوضاته ببركة دعواته».[١١٠] ويعلّق مؤلّف *الإمداد شرح منظومة الإسناد* على نقص المعلومات المتعلّقة بالشيوخ نتيجة ضياع الأسانيد بقوله:

> إذ عدم ذكر سنده كان إضاعة لإجازاته وعلومه، فالشيخ محمّد صالح الخطيب أجاز الشيخ محمّد الرضوانيّ وذكر له أشياخه، فذكر منهم العالم العابد... شمس الدين عبد الله أفندي الدملوجيّ زاده،... وذكر أيضًا الحاج يونس أفندي وذكره بأوصاف عظيمة ولم يذكر له شيخًا ولا سندًا، وعدّد من مشايخه الأجلّاء، كما أنّه لم يذكر يونس أفندي ابن مَنْ، ولا مِنْ عائلة مَنْ، فضاع علينا إسناده وترجمته، كما ضاع علينا إسناد عبد الله الدملوجيّ وشيوخه. فهؤلاء شيخان كبيران في العلم سادا عصرهما، وضاعت علينا أسانيدهما إلّا إذا عُثر على إجازتهما.[١١١]

(١٠٨) أحمد، *فهرس مخطوطات مكتبة الأوقاف العامّة في الموصل*، ج ٨، ص ٤١ وج ٦، ص ٢٥٤. وذكر أكرم الموصليّ الشيخ عبد الله الدملوجيّ ضمن شيوخ محمّد صالح في *الإمداد شرح منظومة الإسناد*، ج ٧، ص ٦٤.

(١٠٩) انظر ترجمة مطوَّلة له في: أحمد، *فهرس مخطوطات مكتبة الأوقاف العامّة في الموصل*، ج ٨، ص ٣٩ وما بعدها.

(١١٠) أكرم الموصليّ، *الإمداد شرح منظومة الإسناد*، ج ١٣، ص ١٢٠.

(١١١) أكرم الموصليّ، *الإمداد شرح منظومة الإسناد*، ج ١٣، ص ٣١.

٢) أحمد شهاب الدين الخيّاط (ت. ١٢٨٥/ ١٨٦٨): هو أحمد أفندي بن محمّد بن طه الموصليّ الشهير بابن الخيّاط، درس في بلدته «عَنَه» على الفرات، وكذلك في بغداد والموصل، ثمّ اشتغل بالتأليف واستنساخ الكتب، وألّف *ترجمة الأولياء في الموصل الحدباء*، وتولّى التدريس في مدرسة الصائغ الحلبيّ التي تُعرف بمدرسة الخيّاط سنة ١٢٥٧هـ في فناء مرقد الإمام إبراهيم في سوق الشعّارين.[١١٢]

٣) نور الدين عبد الله الصائغ (ت. ١٣٠٩/ ١٨٩١-١٨٩٢):[١١٣] يذكر أكرم الموصليّ أنّ الشيخ نور الدين عبد الله الصائغ أخذ عن كمال الدين يونس أفندي خطيب جامع نبيّ الله يونس، والشيخ شهاب الدين أحمد الخيّاط، والشيخ عبد الله الدملوجيّ.

٤) الملّا محمّد ابن الملّا يوسف ابن الملّا يونس الموصليّ الشهوانيّ الحمدانيّ (ت. ١٢٩٠/ ١٨٧٣).[١١٤]

ولأكرم بن عبد الوهّاب الموصليّ منظومة في الإسناد يذكر فيها أسانيده والشيوخ في سلاسل الأسانيد، ومن ضمنهم شمس الدين عبد الله الدملوجيّ: [من الرجز]

(٧٠٧) ولي تمامُ الشرفِ المنسوجِ إسنادُنا للفاضلِ الدملوجي
(٧٠٨) وذلك عبد الله بن مصطفى معلّمًا مُدرّسًا مُصنّفا
(٧٠٩) لَهُ تآليف سمَت في وقته وأظهرتْ ومن جميل نعته
(٧١٠) لكنَّ ما عنه أتى قَدْ قلّا منْ سيرةٍ مع أنّه قَدْ جَلّا
(٧١١) وَهْوَ بلا شكٍّ من التقصير في حَقِّه يظهرُ للبصير
(٧١٢) لَقَبه قَدْ كانَ شمس الدينِ وَهَلْ خَفَتْ شمسٌ عَنْ العيونِ
(٧١٣) شيوخه صالح أفندي السعدي عَنهُ روى مُقْتَضياتِ السعدِ
(٧١٤) كما رَوَى عن الهُمامِ الكزبري إجازةَ العلمِ بفضلِ مُزْبرِ
(٧١٥) وغيرهم من الشيوخِ مَنْ عفا عنهم زمان فَغَدوا تَحتَ الغَفا

(١١٢) انظر: أحمد، *فهرس مخطوطات مكتبة الأوقاف العامّة في الموصل*، ج ٥، ص ٧ وج ٧، ص ١١٣.
(١١٣) أكرم الموصليّ، *الإمداد شرح منظومة الإسناد*، ج ١٤، ص ٧٣. وذكره أيضًا في طلّاب الشيخ عبد الله الدملوجيّ، ج ١٤، ص ١٣٨.
(١١٤) أكرم الموصليّ، *الإمداد شرح منظومة الإسناد*، ج ١٣، ص ١٣٩. يذكر أكرم الموصليّ أنّ هذا الشيخ هو «والد جدّ جدّنا».

(٧١٦) لعلّنا نَعْثُر عَنْ بَعْض فَما يصعبُ إنْ قدّر لي ربُّ السَّمَا
(٧١٧) طُلّابه الشيخُ الخطيبُ صالحُ وأحمدُ الخيّاط ذاك الفالحُ
(٧١٨) والشيخُ نورُ الدين عبدُ الله الصائغ المقْبلُ عند الله
(٧١٩) والرابع الملّا محمّد وَمَنْ عَنْ شيخه نالَ المعالي والمنَنْ[١١٥]

مؤلّفاته

يشير أكثر المصادر التي ترجمت للشيخ شمس الدين الدملوجيّ أو ذكرته إلى عملَين أو ثلاثة له. غير أنّنا، بعد استقصاء معظم المصادر والمراجع وفهارس المخطوطات وقعنا على اثنتي عشرة رسالة من وضعه، وقد جمعنا ما استطعنا منها، وهي:

١. *كفّ المعارض ببراءة ابن عربيّ وابن الفارض*. وهي الرسالة قيد التحقيق.

٢. *حاشية على شرح العصام لرسالة الوضع للإيجيّ*: لعلّها أشهر رسائل الشيخ الدملوجيّ. وتُعرف رسالة عضد الدين الإيجيّ (ت. ٧٥٦/ ١٣٥٥) بـ *الرسالة الوضعيّة*، وهي من أشهر الرسائل في هذا العلم، وعليها ما يزيد على مائة شرح وحاشية، منها شرح إبراهيم بن محمّد عربشاه المعروف بعصام الدين الأسفراينيّ (ت. ٩٤٥/ ١٥٣٨)، وهو الشرح الذي كتب الدملوجيّ حاشيته عليه.[١١٦] يُثني الدملوجيّ على *شرح العصام* في مقدّمته – وسنذكرها لاحقًا – غير أنّه يعترض على المحشين الذين كتبوا حواشي على هذا الشرح بقوله: «والمحشون الكرام... ملؤوه باعتراضات يتّجه جوابها، وأشحنوه بإشكالات لم ينغلق – والحمد لله – بابها». وقد علّق في هوامش نصّه عليهم، كقوله «حيدر، وفيه ردّ عليه» (وقد وردت العبارة ثلاث مرّات في الورقة ٥٨)، و«صالح أفندي، وفيه ردّ عليه» (وقد وردت في الصفحة ٨٦)، و«محمّد بن حسين، وفيه ردّ عليه» (وقد وردت في الصفحتين ٩٩ و١٠٣). يتّضح بذا أنّ الدملوجي يناقش ثلاث حواشٍ على *شرح العصام*، وهي: حاشية لحيدر بن أحمد بن محمّد (ت. ١١٢٩/ ١٧١٧)، وحاشية لمحمّد بن حسين،[١١٧] وحاشية لصالح بن

(١١٥) أكرم الموصليّ، *الإمداد شرح منظومة الإسناد*، ج ١٣، ص ١٣٣. وردت الأبيات الستّة الأولى في الصفحة ١٣٣، والأبيات الأربعة التالية في الصفحة ١٣٦، والأبيات الثلاثة الأخيرة في الصفحة ١٣٨.

(١١٦) انظر: الحبشي، *جامع الشروح والحواشي*، ج ٢، ص ٧٣٧.

(١١٧) على الأغلب هو محمّد بن حسين الكرديّ، وثمّة نسخة من هذا المخطوط في مكتبة راغب باشا=

أحمد بن يحيى السعديّ الموصليّ من آل محضر باشي.[١١٨] وصالح السعديّ من أساتذة الدملوجيّ – كما مرّ معنا آنفًا – لكن يبدو أنّ الدملوجيّ لم يكن راضيًا عن اعتراضات شيخه على العصام في شرحه لرسالة الوضع، ولعلّه وضع شرحه على *شرح العصام* لردّ اعتراضات أستاذه، وقد أكّد صائغ الموصليّ في *تاريخ الموصل* هذا بقوله إنّ الدملوجيّ عارض بشرحه «معارضة صالح أفندي السعديّ كاتب الديوان».[١١٩] أمّا مخطوطتا أعمال المحشين الأوّلين، أي حيدر ومحمّد بن حسين عليّ، فموجودتان في الخزانة القادريّة ببغداد،[١٢٠] وهو أمر قد يدلّ على أنّ الدملوجيّ أراد الردّ على علماء معاصرين له في مسائل تتعلّق بعلم الوضع، لكن يصعب التأكّد من ذلك من دون الرجوع إلى الحواشي الثلاث ومقارنتها بالمواضع التي أشار الدملوجيّ إليها. وقد ورد في السياق الفكريّ للموصل في القرن الثاني عشر/ الثامن عشر اهتمام العلماء بعلم الوضع.

تشير فهارس المخطوطات إلى عدّة نسخ من *حاشية الدملوجيّ على شرح العصام*، وهي الآتية:

– ورد في فهارس مكتبة أوقاف الموصل: «٧/ ١٤ حاشية على شرح العصام لرسالة الوضع، شمس الدين عبد الله بن مصطفى الموصليّ الدملوجيّ المتوفّى سنة ١٢٥١هـ. الناسخ عبد الله بن محمّد صائغ (٥) سنة ١٢٥٧ هـ. ق [قياس الورق] ١٦x٢٢ و[عدد الأوراق] ١٥٥».[١٢١] ويقول داوود جلبي الموصليّ في *مخطوطات الموصل*: «حاشية شمس الدين عبد الله بن مصطفى الدملوجيّ الموصليّ الحنفيّ على شرح عصام لرسالة الوضع. بخطّ عبد الله بن محمّد الصائغ، (١٢٥٧)».[١٢٢] ولعلّها المخطوطة نفسها التي أشار إليها داوود الحلبيّ الموصليّ في مخطوطات الموصل.

=١٢٨٦. انظر: الحبشي، *جامع الشروح والحواشي*، ج ٢، ص ٧٣٧.

(١١٨) لنسخة من حاشية صالح السعديّ الموصليّ، انظر: أحمد، *فهرس مخطوطات مكتبة الأوقاف العامّة في الموصل*، ج ٧، ص ١٧٤. وعن صالح السعديّ الموصليّ، انظر: عبّاس العزّاوي، *تاريخ الأدب العربيّ في العراق* (بغداد: المجمع العلميّ العراقيّ، ١٩٦٢)، ج ٢، ص ١٣٧–١٣٨.

(١١٩) الصائغ، *تاريخ الموصل*، ج ١، ص ٢٢١–٢٢٢.

(١٢٠) انظر: الحبشي، *جامع الشروح والحواشي*، ج ٢، ص ٧٣٧.

(١٢١) أحمد، *فهرس مخطوطات مكتبة الأوقاف العامّة في الموصل*، ج ٧، ص ١٧٥.

(١٢٢) داوود الجلبيّ الموصليّ، *كتاب مخطوطات الموصل: وفيه بحث عن مدارسها الدينيّة ومدارس ملحقاتها* (بغداد: مطبعة الفرات، ١٩٢٧)، ص ١٦٢.

– وفي فهارس أوقاف الموصل إشارة إلى نسخة أخرى من هذا الكتاب: «٢/ ١٩ حاشية على عصام الوضع. شمس الدين عبد الله بن مصطفى الموصليّ الشهير بالدملوجيّ المتوفّى سنة ١٢٥١هـ. أ [أي أوّله] نحمدك يا من لا يفي بتقسيم حرف من حروف سوابق صِلاة <كذا> نعمك العدّ والبيان... ق ١٧×٢٣ و٧١».[١٢٣]

– وورد في فهرس مخطوطات الخزانة الآلوسيّة في مكتبة المتحف العراقيّ: «حاشية على شرح عصام على الوضعيّة، لشمس الدين عبد الله بن مصطفى الدملوجيّ الموصليّ، كان حيًّا سنة ١٢٥٦–١٨٤٠».[١٢٤] أوّلها: «نحمدك يا من لا يفي بتقسيم حرف من حروف سوابق صِلاة <كذا> نعمك العدّ...». بخطّ محمّد البيفنبرلي سنة ١٢٩٥هـ/ ١٨٧٨م. الرقم: ٨٦٥٠. القياس: ص ٣٠٢، ١٦×٢٢ سم، ي ٢١.[١٢٥]

– نسخة مكتبة الجامعة الأميركيّة في بيروت: هي في ٣٩١ صفحة، تنتهي حاشية الدملوجيّ في الورقة ٣٨٠، ويليها بعض الورقات الفارغة من المخطوط ذاته، وقد أُلحقت بها أوراق مختلفة فيها معلومات عن عائلة الدملوجيّ، وقد أفدنا منها في قسم «عائلة الدملوجيّ». والوصف التالي لمحتوى الرسالة يستند إلى هذه النسخة.

على ورقة الغلاف ملاحظة مفادها أنّ نصّ العصام قد أُثبت في الهامش، غير أنّنا رأينا أنّ بعض أجزاء النصّ قد أُثبت في المتن أيضًا، إذ يشير الدملوجيّ إلى قول العصام بلفظ «قوله»، واضعًا خطًّا فوقه، ثمّ يشرحه.

وجاء في ورقة العنوان بعض المعلومات التاريخيّة المهمّة وهي:

– هذا كتاب حاشية العالم العلّامة والحبر البحر الفهّامة، خاتمة المحقّقين، ورئيس المدقّقين، عبد الله أفندي الدَّمْلُجيّ الموصليّ، على عصام: الوضع م.
– وبهامشه كتاب العصام، وقد قوبلة <كذا> هذه النسخة على نسخة بخطّ المؤلّف الدملوجيّ.
– حاشية جدّي الأكبر عبد الله بن مصطفى بن يوسف بن سليمان على كتاب عصام الوضع، ولم أعثر على النسخة الأصليّة التي كتبها بيده، ولم يساعدني

(١٢٣) أحمد، *فهرس مخطوطات مكتبة الأوقاف العامّة في الموصل*، ج ٧، ص ٨١.
(١٢٤) النقشبنديّ، «مخطوطات الخزانة الآلوسيّة في مكتبة المتحف العراقيّ»، ص ١٨٩.
(١٢٥) النقشبنديّ، «مخطوطات الخزانة الآلوسيّة في مكتبة المتحف العراقيّ»، ص ١٨٩.

الوقت والزمان لطبعها ونشرها على العالم. فاروق الدملوجيّ.
– أرجو أن أحقّق رغبة أخي المرحوم فاروق في طبع هذا الأثر النفيس الذي خلّفه جدّنا الأكبر لأحفاده خدمةً للعلم وللأنساب رفعة. عبد الله الدملوجيّ ١٥ شعبان ١٣٨٣، ١ كانون الثاني ١٩٦٤.

وفي الصفحة[١٢٦] ٨٧ من نسخة مكتبة الجامعة الأميركيّة ورد في النصّ: «وأجاب شيخ شيخنا روّح الله روحه بأنّ جميع ما هو موضوع بالوضع...»، وورد في الهامش: «المراد به جرجيس أفندي الأربيليّ».

بداية الرسالة، (ص ٢) نسخة مكتبة الجامعة الأميركيّة في بيروت:

بسم الله الرحمن الرحيم. نحمدك يا من لا يفي بتقسيم حرف من حروف سوابق صلات نعمك العدُّ والبيان، ولا ينتهي تضاعف لواحق موصلات نحو من أنحاء مننك إلى أمد وزمان، ونصلّي ونسلّم على من انشقّ بإشارته القمر، وظهر ظهور النيران واشتهر، سيّدنا محمّد العلم في جنس البلاغة والفصاحة والمصدر للجود والكرم والسماحة... أمّا بعد: فيقول العبد المعترف بذنبه، الراجي بكلّ حال فضل ربّه، شمس الدين عبد الله بن مصطفى الموصليّ الحنفيّ، عامله الله بلطفه الخفيّ، الشهير بدملجي زاده، أناله الحسنى وزيادة: لمّا رأيت الشرح المنسوب إلى الإمام العلّامة والحبر الفهّامة، الجهبذ الكبير، والدرّاكة الخبير، مولانا عصام الملّة والدين، تغمّده الله بغفرانه، وأسكنه بحبوحة جنانه، شرحًا لم يُنسج على منواله، ولم تكتحل عين الزمان بمثاله، حوى فوائد تقرّ بها العين، وفرائد يقول البحر الزاخر من أين؟ لقد سار في البلاد واشتُهر، اشتهار الشمس والقمر، غير أنّه لدقّته وبلوغه غاية الإيجاز كاد أن يبلغ حدّ الإعجاز أو يكون كالألغاز، لا يكشف عن وجوه عرائس معانيه إلّا الخبير الماهر، ولا يفهم غرر مبانيه إلّا النحرير الباهر، والمحشون الكرام وإن حقّقوا ببيان مقصورات خيامه، وأوصلوا هلال دقائقه إلى درج تمامه، إلّا أنّهم ملؤوه باعتراضات يتّجه جوابها وأشحنوه بإشكالات لم ينغلق – والحمد لله – بابها، أردت أن أعلّق عليه ما يكشف عن وجوه فوائده النقاب، وأقيّد ما فتح الله

(١٢٦) المخطوط مرقّم بشكل صفحات لا ورقات.

عليّ من الأجوبة بكتاب، طلبًا منّا للثواب، ورغبة في نفع الخلق من الطلّاب، والمرجوّ من الله الكريم أن ييسّر لي فيه نيّة صحيحة، ولا يضيع ما بذلته من تعب الجسد والقريحة، وأن يحميه من جاهل يتجامل، وحاسد يعرف الحقّ ويتجاهل، إنّه وليّ ذلك، والقادر عليه، وأن يبلّغني التكميل، وهو حسبي ونعم الوكيل. مقدّمة: حقّ على من حاول علمًا أن يتصوّره أوّلًا برسمه...

آخر الرسالة، (ص ٣٨٠):

قال الفاضل المُحشي الموسوم اسمه في عنوان هذه الحاشية: وهذا آخر ما قصدت، وتمام الوعد الذي وعدت، ولا آمن أن أكون أخطأت أو حرّفت، ورحم الله امرأً رأى خللًا فأصلح، أو عاين زللًا فسمح، فإنّ الخفاء أو الخلل غير مستغرب من الإنسان المطبوع على عدم الإحسان، خصوصًا مثلي قليل العلم، قصير الباع في الحفظ والفهم، ولكن الله يمنّ على من يشاء من عباده بالفضل والإنعام، ويُدخل من يشاء في رحمته بمزايا الطول والإكرام. أحمده على التوفيق لإتمامه على نحو ما [قصدته] من الاستقصاء في تلخيص القواعد والاكتفاء على حسب الإمكان في تحقيق المقاصد، مع التزام شريطة الإنصاف في المباحثة والتحرّز عن الاعتساف في أثناء المناظرة، وأسأله وهو الكريم الذي منَّ عليّ بإنشائه وإتمامه في الموصل المحميّة عن كلّ بلاء وأذيّة في يوم الأربعاء السادس من المائة الثانية من الألف الثاني من الهجرة النبويّة الهلاليّة.

قال أكرمه الله في الدارَين بما يقرّ به العينين: وكان شروعي فيه في أوّل العشر الأوّل من السدس الأوّل من النصف الأوّل لذلك العام، وكنت أقدّر الإتمام في أكثر من سنة، وتيسّر في سدسها بعون الملك العلّام، أن يتقبّل بفضله أعمالنا ويصلح أحوالنا ويجعل بطاعته أشغالنا، وإلى الخير مآلنا، ويحشرنا مع الذين أنعم عليهم من النبيّين والصدّيقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقًا، وهو سبحانه حقيق بأن يحقّق رجائي تحقيقًا، وأن يفعل ذلك بآبائي في النسب والدين، وأولادي وأحبّائي، ومن ينتمي لي، وسائر المسلمين. إلهي أنا عبدك الضعيف الحقير الاستطاعة، قد وفّقتني بشرح هذا الكتاب بمحض فضل الله [...] على ما خفي على كثير من المحشين، بخالص إنعامك وفيضك، فلا يبعد

أن أرجو منك أن لا تضيع ما نمقته بإمدادك، وأن تذيعه نافعًا بين عبادك وأن تجعله لي لا عليّ، وأن تجعله مغرفة <كذا في الأصل، والصواب مغفرة> لي ولوالديّ، وصلّى الله على سيّدنا محمّد على مرّ الأكوان في كلّ زمان ومكان، وعلى سائر إخوانه من الأنبياء وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين، وعلينا معهم يا أرحم الراحمين.

٣. *حاشية على حاشية ألغ بيك على شرح الرسالة السمرقنديّة في آداب البحث*: إنّ رسالة محمّد بن أشرف الحسينيّ السمرقنديّ (ت. ٧٢٢/ ١٣٢٢) في آداب البحث هي أشهر رسالة في هذا الفنّ، وعليها الكثير من الشروح والحواشي والتعليقات.[١٢٧] أمّا ما ورد في العنوان من كونها «حاشية على حاشية ألغ بيك على شرح الرسالة السمرقنديّة» فيحتاج إلى توضيح؛ يشير بعض الفهارس إلى حاشيةٍ باسم ألغ بيك، إلّا أنّ الحاشية هي لمير أبي الفتح محمّد بن أمين المعروف بتاج الدين السعيديّ الأردبيليّ (ت. ٨٧٥/ ١٤٧٠)، وقد أهداها إلى ألغ بيك (ت. ٨٥٤/ ١٤٥٠)، وهذه الحاشية كُتبت على أشهر شروح السمرقنديّة في آداب البحث، وهو شرح كمال الدين مسعود الشروانيّ الروميّ (ت. حوالي ٨٤٠/ ١٤٣٦).

– ورد في فهرس مخطوطات مكتبة الأوقاف العامّة في الموصل: حاشية على حاشية الشروانيّ على آداب البحث للسمرقنديّ، وهي برقم ٣/ ١٤، وجاء في وصفها: «عبد الله بن مصطفى الموصليّ الشهير بدملوجي زاده المتوفّى سنة ١٢٥١ هـ»[١٢٨] أ: «إنّ أحسن ما يُستعان به في الأمور الحسان وأَولى ما يُستجلب به نعم الملك الـمنّان حمد من وفّق من شاء للبحث والتحقيق... النسخ سنة ١٣١٦ هـ. ق ١٦x٢٢ و٥١». [١٢٩]

– ووردت أيضًا في فهرس مخطوطات مكتبة الأوقاف العامّة في الموصل نسخة أخرى: حاشية على حاشية ألوغ بيك على الفوائد المسعوديّة، في

(١٢٧) انظر: الحبشي، *جامع الشروح والحواشي*، ج ١، ص ٨١، والمستغرب أنّه يقول: «عبد الله بن مصطفى الدمليجيّ الموصليّ المتوفّى بعد سنة ٩١٨هـ»، بينما يذكر في موضع آخر (ج ٢، ص ٧٣٧): «شمس الدين عبد الله بن مصطفى الدمليجيّ الموصليّ المتوفّى بعد سنة ١٢٥٦هـ».

(١٢٨) تاريخ الوفاة الصحيح كما ورد، وسيرد، هو ١٢٥٩/ ١٨٤٣.

(١٢٩) انظر: أحمد، *فهرس مخطوطات مكتبة الأوقاف العامّة في الموصل*، ج ٧، ص ١٧٣، مدرسة الصائغ الحلبيّ. وورد ذكرها أيضًا في كتاب *مخطوطات الموصل* لداوود جلبي الموصليّ، ص ١٦٢.

مجموع ١٢٣/ ١٨، وهي في ٧٣ ورقة. عبد الله بن مصطفى الشهير بدملوجيّ زاده المتوفّى سنة ١٢٥٩هـ. أوّلها: «إنّ أحسن ما يُستعان به في الأمور الحسان، وأَولى ما يُستوجب به نعم المنان حمد من وفّق من شاء للبحث والتحرير...». أتمّها سنة ١٢٥٠هـ. الناسخ عليّ بن ذياب سنة ١٣٠٩هـ على نسخة المؤلّف.(١٣٠) والمجموع يضمّ ثلاث رسائل: أولاها تكملة الحاشية الشاهية لسعد الله بن إسماعيل، وثانيتها حاشية الدملوجيّ، وثالثتها الفوائد الفناريّة على الرسالة الأثيريّة تأليف شمس الدين محمّد بن حمزة الفناريّ المتوفّى سنة ٧٣٣هـ.

٤. *الدرر المنثورة في الحياض الثلاثة المشهورة*، التيموريّة – ٣٢٥ مجاميع، نُسخت سنة ١٢٨٠هـ. وعدد أوراقها ٢٠ ورقة، (١٩أ – ٣٩أ)

بداية الرسالة (١٩أ):

الدرر المنثورة في الحياض الثلاثة المشهورة. بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله الذي أفاض من حياض آلائه وإنعامه على أفئدة قلوب العلماء، وأنزل من أقطار سماء حكمه وإلهامه ما روى به المستعدّين الأذكياء... أمّا بعد: فيقول أضعف عباد الله العليّ شمس الدين عبد الله بن مصطفى الموصليّ الشهير بابن الدملوجيّ أصلح الله شأنه، وصانه عمّا شانه: لمّا استشكل فهم مسائل الحوض المربّع والمثلّث والمدوّر على بعض إخواننا وتعسّر، لما فيها من الضرب والحساب، وليس لهم به معرفة على وجه الصدق والصواب، أردت الخوض في تبيين ما أبهم من هذا المرام وتفصيح ما أغمض تحت مجاري الأقدام، فجمعت ما أنعم الله عليّ في هذه الورقات، ليجدها من يطلبها حاضرة بين يديه عند الحاجات، وسمّيتها بالدرر المنثورة في الحياض الثلاثة المشهورة، ورتّبتها على مقدّمة وثلاث مقالات وخاتمة. أمّا المقدّمة ففي تفسير ألفاظ تعين على المقصود، وأمّا المقالات الثلاث فأوّلها في الحوض المربّع، وثانيها في المثلّث، وثالثها في المدوّر، وأمّا الخاتمة ففي تقرير بعض الأدلّة والبراهين، ذلك مستعينًا بالله المجيب، عليه توكّلت وإليه أنيب. المقدّمة....

(١٣٠) أحمد، *فهرس مخطوطات مكتبة الأوقاف العامّة في الموصل*، ج ٨، ص ١٨٣.

آخر الرسالة (٣٩أ):

هذا آخر ما أردت تأليفه وجمعه، وخاتمة ما قصدت ترتيبه ووصفه، مع اعترافي بأنّه – كما قيل – من سقطات المتاع، وما يوجب أن يُباع ولا يُبتاع، وأسأل الله حسن الخاتمة في كلّ الأمور، وتحويل كلّ معسور إلى ميسور، وأحمده على أن منَّ على من يشاء. ذلك وإتمامه خامس وعشرين من شهر ذي الحجّة المحرّم سنة ثلاثة وخمسين ومائتين بعد الألف، وأنا الفقير عبد الله بن مصطفى الشهير بالدملوجيّ.

وورد أيضًا في هامش ورقة (٣٩أ) ما يلي: «وقد وقع الفراغ من تسويد هذه الرسالة الشريفة في نصف جمادى الآخر سنة ثمانين بعد المائتين والألف على رسالة المؤلّف رحمه الله المومى إليه».

٥. *بيان الشكل المربّع المرسوم في كتاب الفرائض*، التيموريّة – ٣٢٥ مجاميع، نُسخت سنة ١٢٨٠هـ، الورقات (٣٩ب – ٤٤ب).

بداية الرسالة (٣٩ب):

في بيان الشكل المربّع المرسوم في كتاب الفرائض. بسم الله الرحمن الرحيم، وبه ثقتي. الحمد لله الذي رفع رتبة العلماء الأعلام – مع تفاوتهم في الفضل – على غيرهم من الأنام بجعلهم ورثة الأنبياء الكرام، ونصبهم لتبيين ما أشكل وخفي من مسائل الإسلام. والصلاة والسلام على سيّدنا محمّد خاتم أصحاب الفرائض والأحكام، وعلى آله وأصحابه ذوي الوجوه النيّرة في حالك الظلام، والتابعين لهم بإحسان من العصبات ذوي الأرحام. أمّا بعد: فيقول العبد المفتقر إلى لطف الله الأزليّ عبد الله بن مصطفى الموصليّ الشهير بابن الدملوجيّ الحنفيّ، عفى عنهم المولى وعاملهم باللطف الخفيّ: لمّا كان الشكل المربّع المرسوم في كتاب الفرائض، لتعدّد البطون المختلفة لذوي الأرحام ذا أربع جوانب، وكان ممكن التقرير والتوجيه من الجهات الأربع بأن يخرج من كلّ جانب من مسألة على المذهبَين المشهورَين للإمامَين الفاضلَين أبي يوسف والإمام محمّد رحمهما الله تعالى، وقد اقتصر الشارح العلّامة الشريف الجرجانيّ رحمه الله تعالى في استخراج المسألة منه على جانب واحد، أردت

بيان استخراج المسألة من باقي الجوانب، وتطبيقها على المذهبَين المشهورَين للإمامَين كما فعله الشارح تتميمًا لفوائده وتعميمًا لعوائده. فأقول مستعينًا بالله: الجانب الذي خرّج منه الشارح المسألة هو الجانب الذي وقع فيه ثلاثة بنين متوالية بعد تسع بنات متواصلة ورسمه هكذا....

آخر الرسالة:

وهذا [٤٤ب] ما وفّقنا الله لبيانه والحمد لله على امتنانه، وصلّى الله على سيّدنا محمّد وصحبه وآله. تمّت هذه الرسالة بقلم مؤلّفها خادم العلماء في الموصل الحدباء، عبد الله بن مصطفى الدملوجيّ نهار السبت ثالث عشر شهر محرّم الحرام سنة أربع وخمسين ومائتين وألف. وكان الفراغ من تسويدها على رسالة المؤلّف غرّة رجب الأصمّ سنة ثمانين ومائتين وألف مِن هجرة مَن له العزّ والشرف.

٦. *رسالة في بحث إيمان أبوَي النبيّ* ﷺ. التيموريّة – ٣٢٥ مجاميع، نُسخت سنة ١٢٨٠هـ، الورقات (٨٦أ – ١٨٠ب).

بدايتها (٨٦أ):

رسالة في بحث إيمان أبوَي النبيّ ﷺ. بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله الذي شرّف من شاء من الأنام فخصّه بالإيمان والهداية وحباه، وأذلّ من شاء منهم فحكم عليه بالضلالة والغواية وأشقاه، والصلاة والسلام على من اختير له الأصلاب الطيّبة، والأرحام الزكيّة من بين الأنام، سيّدنا محمّد المحفوظ نسبه العالي من دنس السّفاح والحرام، وعلى أصحابه وآله ومن استمسك بهديهم وكان يحبّه وآله. أمّا بعد، فقد وقع سؤال في إيمان أبوَي النبيّ ﷺ ونجاتهما فأحببت وأنا الفقير عبد الله الشهير بابن الدملوجيّ راجيًا بذلك أن أندرج به في سلك خدمة جنابه العالي على كلّ جناب من الخاصّ والعامّ، ذخرًا لي يوم يؤخذ بالنواصي والأقدام، بأنّ الذي يجب اعتماده واعتقاده وهو الذي أثبتته الأدلّة وندين الله به ونلقاه، أنّ والدَي النبيّ ﷺ من أهل التوحيد، وأنّهما ناجيان غير معذَّبَين، وأنّهما من خيار أهل الجنّة، وبيان ذلك أنّ...».

آخر الرسالة (١٨٠ب):

ولنختم بحمد الله تعالى مع الصلاة والتسليم على السيّد السند العظيم خاتم النبيّين، رجاء أن يختم لنا بالخاتمة الحسنة، وأن يبلّغنا المقام الأسنى فضلًا من الله وتوفيقًا، مع الذين أنعم الله عليهم من النبيّين والصدّيقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقًا. ربّنا توفّنا مسلمين وألحقنا بالصالحين وأدخلنا الجنّة آمنين غير خزايا ولا مفتونين، برحمتك يا أرحم الراحمين. وأحمد الله على أن منَّ بإنشاء ذلك وإتمامه في الموصل المحميّة عن كلّ بلاء وأذيّة بفضله وإنعامه حادي وعشرون من شهر جمادى الآخر سنة ستّة وخمسين ومائتين وألف من هجرة السيّد المكرّم ﷺ، وعلى آله الأطهار وصحابته الأخيار، والحمد لله أوّلًا وآخرًا، باطنًا وظاهرًا، آمين يا مجيب السائلين. وقد تمّت هذه النسخة الشريفة على نسخة المؤلّف في شهر محرّم الحرام سنة اثنين وثمانين ومائتين وألف مِن هجرة مَن له العزّ والشرف.

٧. *رسالة في حلّ شرب الدخان*، فرغ من تأليفها سنة ١٢٥٥هـ، وهي في خمس ورقات. دار الكتب المصريّة، مجاميع طلعت ٢٣١، الرسالة رقم ٢ (من ص ٢٦ إلى ص ٣٠).

بدايتها (ص ٢٦):

الحمد لله الذي أحلّ لنا ما نفع وأباحه، وحرّم علينا ما ضرّ وأزاحه... إنّ مسألة شرب الدخان المسمّى بالتوتن الذي حدث قبيل زماننا هذا وكان حدوثه بدمشق في سنة خمس عشر بعد الألف على ما قاله صاحب درّ المختار... واضطربت فيها فتوى علماء الإسلام من مفرط يفتي بالحرم....

آخرها (ص ٣٠):

فإنّ من قال بالإباحة عقلًا يجوز ورود الشرع الشريف في ذلك بعينه في الحظر فينقله من الحظر إلى الإباحة وما وضع العقل لا يجوز تغييره كشكر المنعم كذا في تحفة الوصول... هذا آخر ما أردنا إيراده».

٨. *تقريض التخميس*. وهو تقريض على تخميس قصيدة ذخر المعاد في معارضة بانت سعاد للبوصيريّ لقاسم بن يحيى الحمّاديّ الحمديّ الموصليّ آل محضر باشي المتوفّى سنة ١٢٥٥هـ، خمّسها لعبد الرحمن محمّد الصائغ سنة ١٢٤٩هـ. وعليها عدد من التقاريض، منها تقريض لعبد الله الدملوجيّ. والمجموع بأكمله، أي التخميس وتقريض الدملوجيّ،

علاوة على تقريضَين آخرَين في ٣٥ ورقة، برقم ٥٧/ ١٨ في مكتبة الأوقاف العامّة، «خزانة المدرسة الرضوانيّة».[١٣١]

٩. *حاشية على شرح الإسفراييني على الرسالة العضديّة*. وهي الرسالة الثالثة من مجموع ٨١/ ١٨، من مخطوطات مكتبة الأوقاف العامّة بالموصل، والمجموع في ١٩٩ ورقة، ويضمّ ثلاث رسائل: حاشية على شرح الرسالة العضديّة لعليّ القوشجيّ المتوفّى سنة ٨٧٩/ ١٤٧٤، وشرح الرسالة العضديّة لعصام الدين بن عرب شاه الإسفراييني المتوفّى سنة ٩٥١/ ١٥٤٤، ومن ثمّ حاشية الدملوجيّ.[١٣٢]

١٠. *مؤلَّف في أحكام الآبار*، قرّضه أكابر علماء عصره، مَن هُم مِن طبقته وطبقة شيوخه. ذكره أكرم عبد الوهّاب الموصليّ، وقال إنّ في حوزته نسخة منه بخطّ الشيخ الدملوجيّ.[١٣٣]

١١. *شرح شِباك توريث ذوي الأرحام*، في كتاب *مخطوطات الموصل* لداوود الجلبيّ الموصليّ الذي ذكر بعض الكتب التي كانت في مِلك فاروق أفندي الدملوجيّ، ومن بينها هذا الشرح، وهو في خمس صفحات، وقد أتمّه الدملوجيّ سنة ١٢٥٤هـ.[١٣٤]

١٢. *شرح بعض القصائد في مدح الخلفاء الراشدين* للمدّاح الموصليّ الملّا أسعد تلميذ الشيخ محمود بن عبد الجليل الخضريّ الموصليّ.[١٣٥]

وذكر أكرم الموصليّ أنّ للشيخ الدملوجيّ «في البحث والمناظرة والمنطق تعليقات وحواشٍ».[١٣٦]

هذا ما وقعنا عليه من معلوماتٍ تتعلّق بالشيخ الدملوجيّ وشيوخه وتلاميذه ومؤلّفاته بعد النظر في معظم المصادر والمراجع. ومع الأسف، هي معلومات قليلة مقارنةً بمنزلته العلميّة التي حازها في الموصل في وقته، على أمل أن يُستكشف المزيد من تفاصيل حياته بعد نشر

(١٣١) أحمد، *فهرس مخطوطات مكتبة الأوقاف العامّة في الموصل*، ج ٨، ص ١٣٥.
(١٣٢) أحمد، *فهرس مخطوطات مكتبة الأوقاف العامّة في الموصل*، ج ٨، ص ١٤٨.
(١٣٣) أكرم الموصليّ، *الإمداد شرح منظومة الإسناد*، ج ١٣، ص ١٣٤.
(١٣٤) داوود الجلبيّ الموصليّ، *مخطوطات الموصل*، ص ٢٩٥.
(١٣٥) أكرم الموصليّ، *الإمداد شرح منظومة الإسناد*، ج ١٣، ص ١١٧ و١١٩ و١٢٠.
(١٣٦) أكرم الموصليّ، *الإمداد شرح منظومة الإسناد*، ج ١٣، ص ١٣٤. ويقول في الهامش: «يُنظر تاريخ الموصل لسليمان الصائغ، ج ٢، ص ٢٤٢».

العائلة للوثائق والفرمانات العثمانيّة التي أشار إليها العديد من أبنائها، علاوة على نشر المزيد من الوثائق التاريخيّة والإجازات، كإجازة الشيخ شمس الدين الدملوجيّ لتلميذه أحمد الخيّاط، وأخرى لتلميذه عبد الله بن الصائغ الموصليّ، وفي مخطوطات الأوقاف العامّة في الموصل نسخة من هذه الإجازات، كما تشير فهارسها.(١٣٧)

كفّ المُعارِض ببراءة ابن عربيّ وابن الفارض

بيّنّا في السياق الفكريّ العامّ للموصل في القرن الثاني عشر/ الثامن عشر بروز بعض التيّارات السلفيّة التي وجّهت انتقاداتها لسلوكيّات بعض الصوفيّة المنحرفة. وبالفعل، اشتكى العديد من الصوفيّة من المتسلّقين والمدّعين الذين يخدعون الناس بادّعائهم الانتساب للصوفيّة وشوّهوا سمعتهم. وفي ضوء هذا، كتب عددٌ كبير من علماء الموصل رسائل عن الأولياء والصوفيّة، ومن هؤلاء الشيخ شمس الدين الدملوجيّ الذي وضع رسالة عنونها بـ *كَفّ المُعارِض ببراءة ابن عربيّ وابن الفارض*، ويظهر من عنوان رسالته موقفه من الشيخين محيي الدين ابن عربيّ الحاتميّ وعمر ابن الفارض (ت. ٦٣٢/ ١٢٣٤).

يستهلّ الدملوجيّ رسالته بسؤال عن حكم إيمان هذين الصوفيّين، وهو أمر يعود بنا إلى مسألة تكفيرهما التي بدأت مع ابن تيميّة واستمرّت حتّى يومنا هذا، وقد كُتب فيها عشرات الكتب ومئات الفتاوى.(١٣٨) يوضّح الدملوجيّ في جوابه ما استقرّ في مدرسة الشيخ الأكبر من رفض الحلول والاتّحاد، وهي مسألة حرص جميع أتباع ابن عربيّ على توضيحها في السياقات الجدليّة أو ضمن الشروح التي كُتبت على مؤلّفات الشيخ وتلاميذه. والمستغرب هو أنّ أوّل اقتباس في رفض فكرتي الحلول والاتّحاد هو من رسالة لبرهان الدين البقاعيّ (ت. ٨٨٥/ ١٤٨٠) كفّر فيها ابن الفارض؛ علمًا أنّ للبقاعيّ رسائل أخرى كفّر فيها ابن عربيّ أيضًا. لكن لا دليل على أنّ الشيخ الدملوجيّ قد اقتبس هذا القول الرافض للحلول والاتّحاد – وهو ما يتّفق عليه معظم أتباع الشيخ الأكبر – من رسالة البقاعيّ مباشرة، أو أنّه كان على

(١٣٧) أحمد، *فهرس مخطوطات مكتبة الأوقاف العامّة في الموصل*، ج ٧، ص ١٨١.

(١٣٨) أورد عثمان يحيى في *مؤلّفات ابن عربيّ: تاريخها وتصنيفها* [ترجمة أحمد الطيّب (القاهرة: الهيئة المصريّة للكتاب، ٢٠٠١)] حوالي ثلاثين كتابًا في الردّ على الشيخ الأكبر (ص ١٣٥–١٤٤)، فضلًا عن ١٣٨ فتوى ضدّ ابن عربيّ و٣٢ أخرى تؤيّده (ص١٤٥ وما يليها)، ومعظم ما ذكره منقول عن *القول المنبي عن ترجمة ابن عربيّ* للسخاويّ (ت. ٩٠٢/ ١٤٩٧).

معرفة بها، وغالب الظنّ أنّ المؤلّف اقتبسه من مؤلّفات لاحقة، لعلّها مؤلّفات عليّ القاريّ الهرويّ الحنفيّ الذي يعوّل المؤلّف كثيرًا عليها. ويلي هذا الاقتباس اقتباس أطول يؤكّد ضرورة اتّباع النبيّ عليه السلام في الأفكار والأعمال، والمستغرب هنا أيضًا أنّ الاقتباس من ابن تيميّة، الفقيه الحنبليّ الذي كفّر كلًّا من ابن عربيّ وابن الفارض، غير أنّ اسمَي ابن تيميّة والبقاعيّ لم يردا في نصّ الدملوجيّ مطلقًا.

لم تنته غرائب هذا النصّ عند ذلك، فعلى الرغم من أنّ عنوان الرسالة يتضمّن اسمَي الشيخَين ابن عربيّ وابن الفارض إلّا أنّ المؤلّف لم يقتبس من أعمالهما في تاريخ التصوّف والفكر الإسلاميّ، ولم يناقش أيًّا من أفكارهما، سواء تلك التي قد لاقت القبول أم تلك التي تعرّضت للنقد والمعارضة. أمّا الاقتباسات الشعريّة من ابن الفارض وابن عربيّ التي وردت في مواضع يسيرة في الكتاب، مرّتين أو ثلاث، فلم تؤخذ من مؤلّفاتهما، بل من أعمال أخرى لغيرهما. لكنّ مدارس الموصل ومكتباتها آنذاك كانت تحوي الكثير من كتب ابن عربيّ وأشعار ابن الفارض، وإنّ كتب الكثير من أعلام المدرسة الأكبريّة كانت متوفّرة حينها،[١٣٩] لماذا إذًا لم يرجع الشيخ الدملوجيّ لأيّ منها؟

هل هدَفَ الشيخ الدملوجيّ إلى الدفاع عن فكرة الولاية باقتباس تعاريف ومعلومات تتعلّق بالأولياء من دون مناقشة أيّ من المسائل الخلافيّة المتعلّقة بابن عربيّ وابن الفارض؟ يبدو أنّ هذا ما هدف إليه الدملوجيّ في رسالته هذه التي تبدأ ببعض النقول التي تمدح ابن عربيّ وابن الفارض وتدافع عنهما وتردّ دعاوى خصومهما، وهي نقول عن ابن كمال باشا، وابن حجر الهيتميّ، والسيوطيّ، والشعرانيّ، وملّا عليّ القاريّ الهرويّ.

(١٣٩) وقعنا بعد مراجعة سريعة لجزئين فقط (الخامس والسابع) من أجزاء الفهارس التسعة لمخطوطات الأوقاف العامّة في الموصل – والمقسّمة بحسب المدارس ومخطوطاتها، وهي مدارس قد أنشئت في القرن الذي عاش فيه الدملوجيّ – على هذه الأمثلة: نسختان من شرح الكاشانيّ (ت. ٧٣٠/ ١٣٣٠) على فصوص الحكم المعنون *مطلع خصوص الكلم* (ج ٧، ص ٣١)؛ و*شرح ديوان ابن الفارض* للبوريني (ت. ١٠٢٤/ ١٦١٥) (ج ٥، ص ٤٦ و١٨١، ج ٧، ص ٤٩)؛ و*شرح ديوان ابن الفارض* للنابلسيّ (ت. ١١٤٣/ ١٧٣١) (ج ٥، ص ٤٥)؛ و*شرح تائيّة ابن الفارض* للقيصريّ (ت. ٧٥١/ ١٣٥٠) (ج ٧، ص ٥٢)؛ و*شرح اصطلاحات الصوفيّة* للكاشانيّ (ت. ٧٣٠/ ١٣٣٠) (ج ٧، ص ٢٠٥)؛ وعلى كثير من كتب ابن عربيّ (ج ٥، ص ٧٧ و١٠٠ وج ٧، ص ٢٧٤ و٢٦٦ و٢٧١)، علاوة على رسائل الفكر الأكبريّ، لا سيّما رسائل النابلسيّ (ج ٧، ص ٨٤–٨٦ وج ٥، ص ٧٣ و٧٧–٧٨ و٩٥ و٢٤٣).

يتطرّق المؤلّف بعد ذلك إلى مسألة التكفير ويحذّر من خطورتها، ذلك أنّها تحكم بطرد شخص من رحمة الله الواسعة، فيورد عددًا من الاقتباسات التي تدعو للحذر منها. ثمّ يتناول مسألة الأولياء بذكر الكثير من القصص والنقول التي تتناول الفتوّة وأخلاق الصوفيّة، وبالتأكيد على اتّباع الكتاب والسنّة والتحذير من مدّعي الصوفيّة. وإنّ معظم الاقتباسات التي وردت في هذه المسائل مأخوذ من الرسائل الصوفيّة التي هي محلّ قبول وتقدير عند معظم الشيوخ، كـ*الرسالة القشيريّة*، أو *شرح الحكم العطائية* للشيخ أحمد زرّوق الفاسيّ.

تغلب إذًا على الرسالة النقول، ويمكن القول إنّها قائمة على اقتباسات في مسائل رفض الحلول والاتّحاد، وتقدير العلماء لابن عربيّ وابن الفارض، والتحذير من التكفير، ومسألة تقدير الأولياء واحترامهم. ولعلّ أبرز فكرتَين متعلّقتين بالتراث الأكبريّ في هذا النصّ هما: مسألة الدسّ في مؤلّفات الشيخ الأكبر، ومسألة حسن الظنّ بالشيخَين والنهي عن قراءة كتبهما. وقد أشار السيوطيّ (ت. ٩١١/ ١٥٠٥) إلى مسألة الدسّ في كتب الصوفيّة من دون أن يحيل إلى كتب ابن عربيّ مباشرةً، فيقول في *تنبيه الغبيّ*: «وهذا شرح التنبيه للجيليّ مشحون بغرائب لا تُعرف في المذهب، وقد اعتُذر عنه بأن لعلّ بعض الأعداء دسّ فيه ما أفسده حسدًا له».[١٤٠] إلّا أنّ الرأي الأبرز، والذي أكّد على مسألة الدسّ في مؤلّفات الشيخ الأكبر، هو قول الشعرانيّ (ت. ٩٧٣/ ١٥٦٥) في *اليواقيت والجواهر* إنّ «جميع ما في كتب الشيخ محيي الدين ممّا يخالف ظاهر الشريعة مدسوس عليه...»،[١٤١] وقد كرّر رأيه نفسه في *لطائف المنن والأخلاق* بقوله: «وليحذر أيضًا من مطالعة كتب الشيخ محيي الدين بن عربيّ رضي الله تعالى عنه لعلوّ مراقيها، ولما فيها من الكلام المدسوس على الشيخ لا سيّما الفصوص والفتوحات المكّيّة، فقد أخبرني الشيخ أبو طاهر عن شيخه عن الشيخ بدر الدين بن جماعة أنّه كان يقول: جميع ما في كتب الشيخ محيي الدين من الأمور المخالفة لكلام العلماء فهو مدسوس عليه، وكذلك كان يقول الشيخ مجد الدين صاحب *القاموس في اللغة*».[١٤٢] ويبدو أنّ فكرة الدسّ قد لاقت قبولًا بعد الشعرانيّ، وظلّت تتردّد حتّى عصر الدملوجيّ، بل حتّى وقتنا هذا.

(١٤٠) جلال الدين السيوطيّ، *تنبيه الغبيّ في تخطئة ابن عربيّ*، اعتنى به عبد الرحمن حسن محمود (القاهرة: مكتبة الآداب، ١٩٩٠)، ص ٢٣.

(١٤١) عبد الوهّاب الشعرانيّ، *اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر* (القاهرة: المطبعة الأزهريّة، ١٣٠٧هـ)، ص ٣.

(١٤٢) عبد الوهّاب الشعرانيّ، *لطائف المنن والأخلاق فى وجوب التحدّث بنعمة الله على الإطلاق المعروف بالمنن الكبرى*، تحقيق أحمد عزو عناية (دمشق: دار التقوى، ٢٠٠٤)، ص ٤٦٦.

وأما المسألة الأخرى، أي مسألة حسن الظنّ بالشيخَين والنهي عن قراءة كتبهما، فترجع إلى السيوطيّ الذي يقول: «والقول الفصل عندي في ابن عربيّ: طريقة لا يرضاها أهل العصر، لا من اعتقده، ولا من يحطّ عليه، وهي اعتقاد ولايته وتحريم النظر في كتبه».[١٤٣]

علاوة على السيوطيّ والشعرانيّ، فإنّ مصدر رسالة الدملوجيّ الأهمّ هو مؤلّفات ملّا عليّ بن سلطان القاريّ الهرويّ. وليس ذلك بالمستغرب، إذ يُعدّ الهرويّ أحد أبرز علماء الحنفيّة في العصر العثمانيّ، ومعظم مصادر الشيخ الدملوجيّ حنفيّة، وهو أمر متوقَّع من فقيه حنفيّ في الدولة العثمانيّة. لكن ما يثير الاستغراب هو أنّ للملّا عليّ القاريّ الهرويّ رسالة يكفّر فيها ابن عربيّ،[١٤٤] فهل كان الشيخ الدملوجيّ مطّلعًا على تاريخ الخلاف حول الشيخ الأكبر وأدبيّاته المتنوّعة من ردود وتكفير ونقد أو شروح ودفاع وتفسير؟ لا يناقش النصّ المحقّق هنا أيّ مسألة خلافيّة في الفكر الأكبريّ، بل يركّز على مسألة الأولياء التي ألّف فيها الكثير من أقرانه في الموصل في ذلك القرن كما أشرنا سابقًا.

لم يُطبع نصّ الدملوجيّ سابقًا ولم يُتداول أيضًا، ولعلّ هذا يعود إلى كثرة الكتب التي وُضعت في مسألة الأولياء في عصره، فضلًا عن أنّه كُتب في بداية صعود الفكر السلفيّ في العراق في منتصف القرن الثاني عشر/الثامن عشر. وقد انفرد حفيد ابن المؤلّف، فاروق ابن سعيد بن عبد الرحمن بن الشيخ عبد الله الدملوجيّ، بالاقتباس من هذا النصّ؛ إذ اقتبس منه في كتابه المعنون *تاريخ الأديان: الألوهيّة وتاريخ الآلهة*، وذلك في معرض حديثه عن موقف العلماء من شيوخ الصوفيّة، وقد ذكر مِن ضمن مَن دافع عن الصوفيّة الشيخ الدملوجيّ وكتابه، وقد نقل عنه ما يقارب الصفحة – من مواضع مختلفة –:

> جدّي الأكبر رئيس علماء الموصل عبد الله بن مصطفى بن يوسف بن سليمان الشهير بابن الدملوجيّ المتوفّى سنة ١٢٥٧هـ[١٤٥] في كتابه المسمّى *كفّ المعارض ببراءة ابن عربيّ وابن الفارض*، وممّا قاله فيهما: لو اطّلعنا عيانًا

(١٤٣) السيوطيّ، *تنبيه الغبيّ*، ص ٢٠.

(١٤٤) هي رسالة *مرتبة الوجود ومنزلة الشهود*، وقد طُبعت في مجموع رسائل ملّا عليّ القاريّ، المجلّد السادس، وكانت قد نُشرت سابقًا بطبعة حجريّة، ونشرتها دار المأمون للتراث بدمشق سنة ١٩٩٥ بعنوان *الردّ على القائلين بوحدة الوجود*.

(١٤٥) كذا جاء في النصّ، والصواب ما ذكرناه من أنّ وفاة الشيخ عبدالله الدملوجيّ كانت سنة ١٢٥٩/١٨٤٣.

ممّن علمنا بدايته وحسن سيرته ومحافظته على الشريعة إلى نهايته عند سلوكه إلى الله وفي الله واستغراقه في بحر التوحيد والعرفان واضمحلال ذاته ومحو صفاته بصفات الرحمن وغيبوبته عن كلّ ما سواه... ويقول عبد الله الدملوجيّ بكتابه المذكور عند تعريفه مقام جمع الجمع عندهم... ويقول في محلّ آخر: ولا يجب الاعتقاد بولاية كلّ من يدّعيه... ويقول أيضًا في محلّ آخر عند بحثه عن الشيوخ المتصوّفين: ومنها ما ابتدعه جهلة المنتسبين للشيخ أحمد الرفاعيّ... فقد أيّد جدّي الأكبر بفتواه هذه لزوم مطاردة المتصوّفين والمتمشيخين الذين اتّخذوا التصوّف والديانة الإسلاميّة رأس مال لأرباحهم وضلّوا وأضلّوا.(١٤٦)

على الرغم من أنّ النصّ قيد التحقيق يستند بشكل كبير إلى النقول والاقتباسات إلّا أنّ قائمة المصادر التي عاد إليها المؤلّف تكشف عن معرفة موسوعيّة متنوّعة يظهر فيها اطّلاعه على جانب كبير من التراث الإسلاميّ. وبهذا النصّ نقدّم للقارئ عَلَمًا جديدًا في تاريخ الفكر الإسلاميّ لم ينل ما يستحقّه من دراسة وبحث. وإن كان توجّه الدملوجيّ الفكريّ عقليًّا وأدبيًّا أكثر من كونه صوفيًّا، فغالب الظنّ أنّه وضع رسالته هذه غيرة على الأولياء، ورغبة في التأليف في موضوعٍ شغل العديد من علماء منطقته في ذلك العصر، الأمر الذي يكشف عن جوانب سياسيّة واجتماعيّة ودينيّة مهمّة في تاريخ العراق عامّة، وتاريخ الموصل في القرن الثاني عشر/ القرن الثامن عشر خاصّة.

وصف المخطوطات

استندنا في تحقيق نصّ *كَفّ الـمُعارِض ببراءة ابن عربيّ وابن الفارض* إلى نسختَين خطّيّتَين:

النسخة (د) في ٩٩ ورقة، وتشغل الورقات (٣-٨٥). هي أوراق مفردة، وفي كلّ ورقة

(١٤٦) فاروق الدملوجيّ، *تاريخ الأديان: الألوهيّة وتاريخ الآلهة* (بيروت: الأهليّة للنشر والتوزيع، ٢٠٠٤)، ص ٧٢٥، وليس في المؤلَّف إشارة إلى المخطوط أو مصدر الاقتباسات. يبدو أنّ هذه الطبعة هي إعادة تصوير لتلك التي أشار الزركليّ إلى أنّها في خمسة أجزاء؛ يقول: «فاروق الدملوجيّ (١٢٩٨-١٣٧٦/ ١٨٨١-١٩٥٧) باحث عراقيّ من أهل الموصل. له: تاريخ الآلهة - ط - خمسة أجزاء، وهذا هو الإسلام - ط»، الزركليّ، *الأعلام*، ج ٥، ص ١٢٩.

٢٠ سطرًا، وفي السطر نحو ٩ كلمات، والخطّ مزيج من النسخ والرقعة. وهذه النسخة ملك لعائلة الدملوجيّ، حصلت عليها سلمى سمر الدملوجيّ أستاذة العمارة الإسلاميّة في الجامعة الأميركيّة في بيروت من والدها الذي طلب منها أن تجد مَن يحقّقها. وكان الدكتور إحسان عبّاس قد وعد العائلة بتحقيقها لكنّه توفّي قبل إنجاز العمل.

وممّا ذكرته سلمى سمر الدملوجيّ أنّ والدها فيصل، وهو كبير إخوته، أعطاهم سنة ١٩٨١، في زيارة لبغداد، مخطوط جدّهم الأكبر الشيخ عبد الله الدملوجيّ. وقد كان بحوزته معظم وثائق العائلة منذ العهد العثمانيّ، وكان ضمنها مخطوط *كفّ المُعارض* ومخطوط *شرح العصام على الوضع* الذي فيه ملاحظة من جدّ سلمى سمر، فاروق، يُعلم فيها ولده فيصل أنّ المخطوط الأصليّ مفقود (أي شرح الدملوجي على شرح العصام)، وأنّ هذه نسخة عنه كان يرجو أن ينشرها في حياته. وقد أراد والدها فيصل أن ينظر بعض أهل الاختصاص في مخطوط *كفّ المعارض* وأن يعمل على نشره. وقد نُقل المخطوط الأصليّ إلى بيروت، وصُوّر – وهو النسخة (د) المستخدمة في هذا التحقيق – وقُدّم للدكتور إحسان عبّاس الذي كلّف أحد طلبته ومساعديه بنسخها وتحقيقها. ولكن ضاعت النسخة الأصليّة في الحرب اللبنانيّة، وتوفّي فيصل الدملوجيّ سنة ٢٠٠٦، وكذلك توفّي الدكتور إحسان عبّاس سنة ٢٠٠٣.

وقد تمّت رقمنة هذه النسخة في الجامعة الأميركيّة في بيروت بطلب من العائلة.

وقد كُتبت هذه النسخة بقلم عريض، وجاء في نهايتها مدح للمؤلّف بقلم سليمان وبعض الأبيات الشعريّة التي تهنّئه بولادة مصطفى، مع ذكر سنة نسخها (١٢٥٦هـ)، ثمّ يلي هذا صفحة لا علاقة لها بالرسالة، مكتوبة بخطّ فارسيّ جميل. وقد أُضيف بعض الزيادات والتصحيحات في الهامش، وأوردناها في أماكنها في المتن مع الإشارة إلى أنّها كُتبت في هامش المخطوط. كما وُضع سطر فوق بعض العبارات المهمّة للتأكيد عليها. ويبدو أنّ بعضهم قد قرأ الرسالة، ولم يتمكّن من قراءة بعض الكلمات أو فهمها، فوضع إشارات استفهام على بعض الكلمات بقلم رفيع مختلف عن قلم النصّ، ولم نشر لهذه العلامات لأنّها لا تقدّم أيّ معلومات إضافيّة للقارئ.

ورد في غلاف نسخة عائلة الدملوجيّ، أي (د) من *كفّ المعارض*: «قد وقف هذه النسخة عبد الله بن مصطفى آغا ابتغاءً لمرضاة الله تعالى، تقبّل الله تعالى منه».

هل هذه النسخة بخطّ الشيخ الدملوجيّ؟ ممّا يرجّح ذلك ورود ختم عبد الله دملوجيّ، وهو المرفق هنا. فضلًا عن ذلك فقد ورد في حاشية الورقة (٤) من هذه النسخة، عند ذكر المؤلّف لاسمه في المتن: «قال الفقير: اختلف صنيع المصنّفين، فبعضهم لم يذكر اسمه ولا نعته ورسمه خوفًا من السمعة والرياء، واكتفاءً بمن يعلم الجهر والخفاء. وبعضهم يبيّن ذكره ونعته ويعيّن رسمه وصفته، لا سيّما في العلوم النقليّة، ليصحّ الاعتماد على أقواله الجليّة، وليكون وسيلة إلى دعاء الأحبّاء في الأحوال المرضيّة. **فسلك العبد الضعيف هذا المسلك الشريف، فصرّح باسمه**، ليتوسّل إلى وسم من هذا المؤلّف باسمه، فيُعرف به بعد دروس ظلاله ورسمه». وهذا الأسلوب من التواضع يستخدمه المؤلّف عادة، في حين يسبغ النُسّاخ على المؤلّف عبارات التقدير والإجلال. إلّا أنّ هذه الدلائل غير كافية. فالعبارة قد تكون منسوخة من نسخة المؤلّف، والختم قد يكون أضيف لاحقًا. ومع غياب نسخة مؤكّدة بخطّ المؤلّف للمقارنة بها، لا يمكن الجزم بأنّها بخطّه. علاوة على ذلك، نجد أنّه ترد في حواشي هذه النسخة بعض الإضافات، ويليها «منه منه»، انظر مثلًا الصفحات: ٨، ١٥، ٣١، ٣٥، ٤١، ٦٦. وهذا التنبيه عادة ما يكون من النُسّاخ للتأكيد على أنّ التصحيح كان من المؤلّف أو من نسخة المؤلّف.

وعلى العموم فإنّ إثبات كون المخطوط بخطّ المؤلّف له أهمّيّة كبيرة عند توفّر عدد كبير من المخطوطات، وعند وجود اختلافات بينها تُحتّم التأكد من نصّ المؤلّف. وأمّا في حالة هذا النصّ فليس لدينا إلّا هذان المخطوطان، وليس بينهما فوارق كبيرة.

النسخة (ت) تيموريّة – مجاميع ٣٢٥، والرسالة تشغل الأوراق (٤٤ب – ٨٦أ)، وفي الصفحة الواحدة ٢١ سطرًا، وفي السطر الواحد نحو ١١ كلمة. كُتب النصّ بخطّ رقعة مع بعض تأثير النسخ. وفي النصّ حواشٍ أُلحقت بـ «منه» أو «صح». وقد تطابقت بعض العبارات التي كُتبت في الهامش في هذه النسخة مع العبارات التي وردت في هامش (د)، بينما بعض العبارات التي أُثبتت في هامش (د) جاءت في متن (ت). كما سُطّر فوق بعض العبارات المهمّة في النصّ، وقد ذُكر في آخرها أنّها نُسخت من نسخة المؤلّف، وأمّا تاريخ نسخها فهو التاسع عشر من شهر ذي القعدة سنة ثمانين ومائتين وألف، وناسخها مجهول.

عملنا في التحقيق

أوردنا النصّ بحسب قواعد اللغة العربيّة، وفي حال وجود أخطاء نحويّة أشرنا إليها في الهامش.

خرّجنا جميع الآيات والأحاديث النبويّة.

خرّجنا معظم النصوص على أصولها المطبوعة والمخطوطة.

زوّدنا العمل بمقدّمة تشرح السياق السياسيّ والفكريّ والاجتماعيّ الذي عاش فيه المؤلّف.

فضلًا عن التعريف بالمؤلّف وشيوخه وتلاميذه وأعماله، حاولنا التعريف ببعض أعلام عائلة المؤلّف أيضًا.

عرّفنا بمعظم الأعلام الواردة أسماؤهم في النصّ.

زوّدنا العمل بالفهارس الفنّيّة الضروريّة.

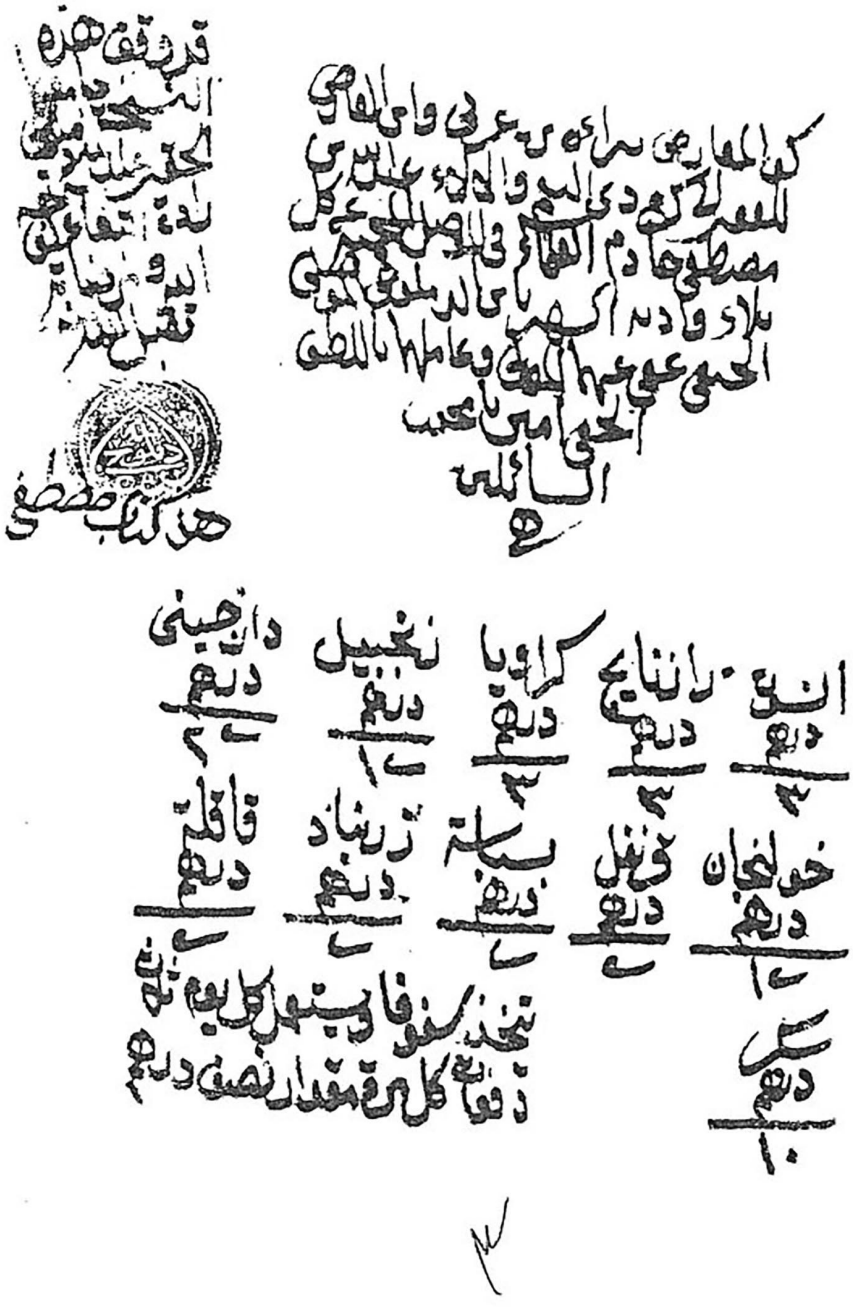

ورقة الغلاف – النسخة (د)

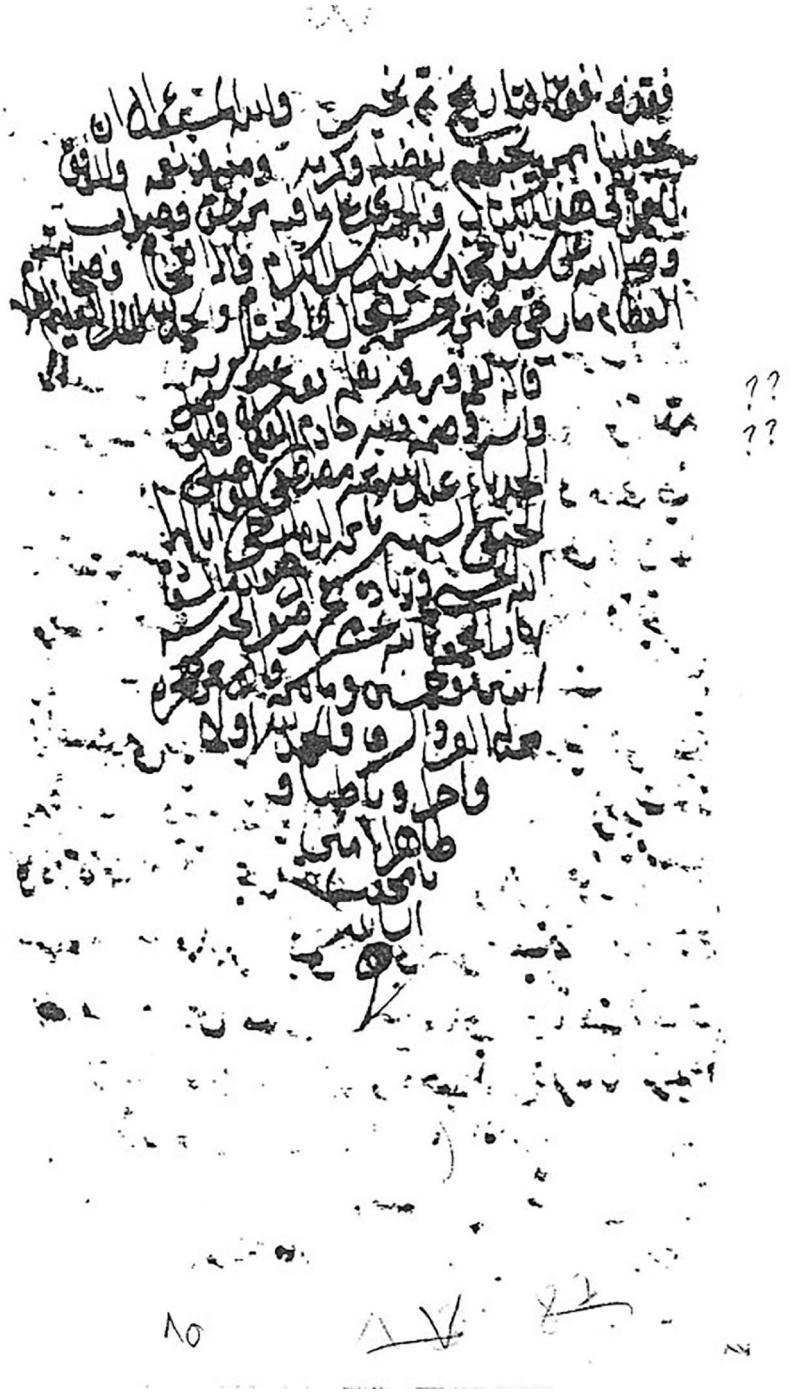

الورقة الأخيرة – النسخة (د)

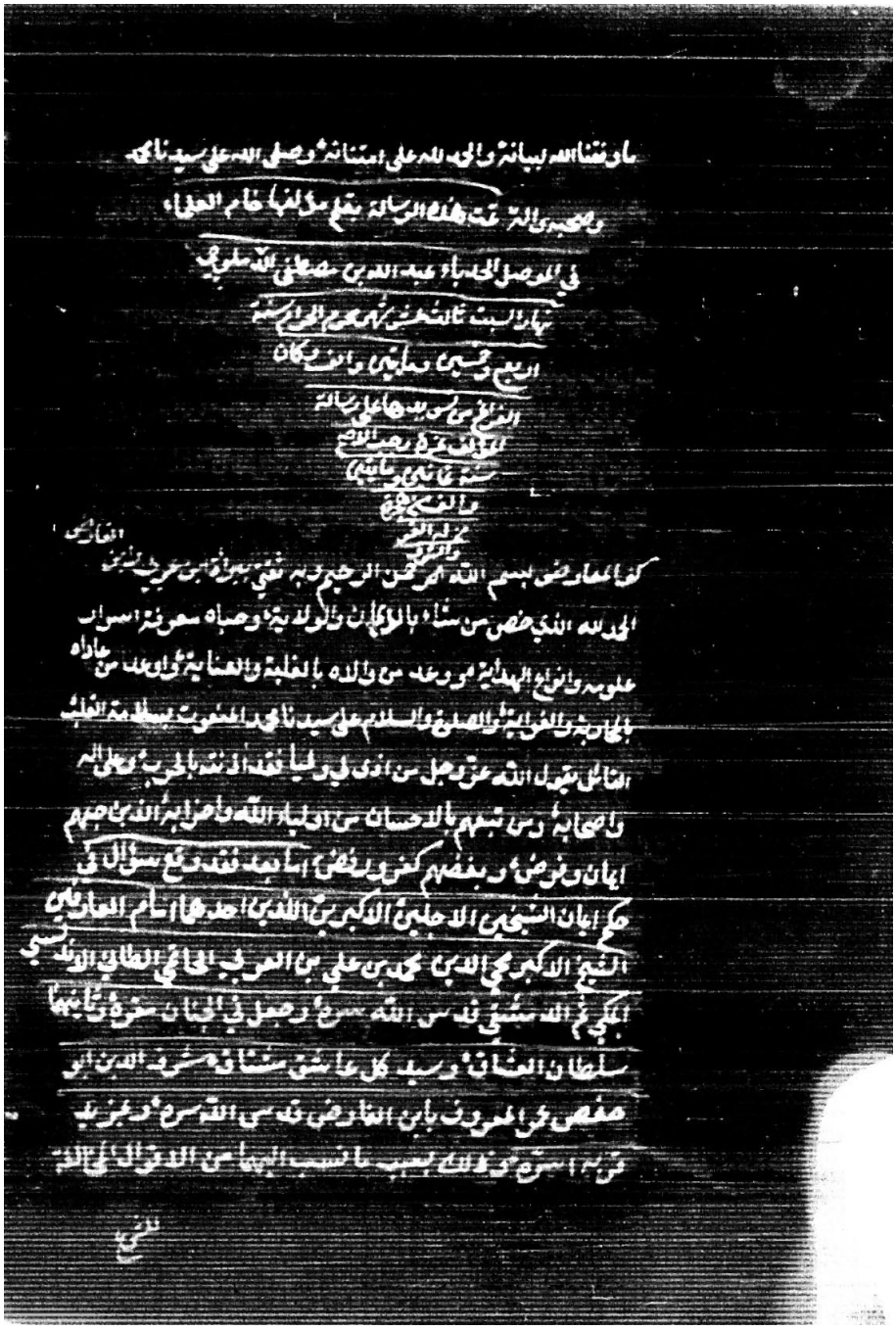

الورقة الأولى – النسخة (ت)

الورقة الأخيرة – النسخة (ت)

كفّ المُعارِض ببراءة ابن عربيّ وابن الفارض

عبد اللّه بن مصطفى الدملوجيّ الموصليّ الحنفيّ

(ت. ١٢٥٩/١٨٤٣)

[٣]

كفّ المُعارِض ببراءة ابن عربيّ وابن الفارض | للفقير إلى كرم ذي النِّعَمِ والآلاء عبد الله ابن | مصطفى، خادم العلماء في الموصل المحميّة عن كلّ | بلاء وأذيّة، الشهير بابن الدملوجيّ الموصليّ | الحنفيّ عفا عنهما المولى، وعاملهما باللطف | الخفيّ، آمين يا مجيب | السائلين | هـ

[٤] بسم الله الرحمن الرحيم[١]

الحمد لله الذي خصَّ من شاء بالإيمان وبالولاية، وحباه معرفةَ أسرار علومه وأنواعَ الهداية، ووعد من والاه بالغلبة والعناية، وأوعد من عاداه بالمحاربة والغواية. والصلاة والسلام على سيّدنا محمّد المنعوت بسلامة القلب، القائل: يقول الله عزَّ وجلَّ: «من آذى لي وليًّا فقد آذنته بالحرب».[٢] وعلى آله وأصحابه، ومن تبعهم بالإحسان، من أولياء الله وأحزابه، الذين حبّهم إيمان وفرض، وبغضهم كفر ورفض.

أمّا بعد:

فقد وقع سؤال في حكم إيمان الشيخين الأجلَّين الأكبرَين اللذين أحدهما إمام العارفين الشيخ الأكبر محيي[٣] الدين محمّد بن عليّ ابن العربيّ الحاتميّ الطائيّ الأندلسيّ المكّيّ ثمّ الدمشقيّ، قدَّس الله سرّه، وجعل في الجنان مقرَّه. وثانيهما سلطان العُشّاق، وسيّد كلّ عاشق مشتاق، شرف الدين أبو حفص عمر، المعروف بابن الفارض، قدَّس الله سرّه، وبمزيد قربه أَسَرَّه. وذلك بسبب ما نسب إليهما من الأقوال المخالفة للشرع الشريف.

فأجبت – وأنا الفقير عبد الله، وبابن الدملوجيّ شهير[٤] – بأنّه ينبغي أن يُعلم أوّلاً أنّ «أهل الإسلام مجمعون[٥] على أنّ مذهب الحلول، وكذا الاتّحاد، كفرٌ، وأهلُه كفرة، وأنّ ما صادم ظواهر الكتاب والسنّة بمذهب من مذاهب الكفرة، فهو كفرٌ، ومن اعتقد بما صادمهما فهو كافر مرتدّ عن الإسلام».[٦] وكلّ من تكلّم بما ظاهره الكفر، حُكِمَ بكفره، وَوُكِّل سريرتُه إلى

(١) (ت) + وبه ثقتي.

(٢) انظر: *صحيح البخاريّ*، تحقيق مجموعة من العلماء (بيروت: دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ)، ج ٨، ص ١٠٥، باختلاف يسير: «مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ».

(٣) في (ت) تُكتب دائمًا: محي. ولن نشير لهذا الاختلاف.

(٤) حاشية في هامش (د) بخطّ المؤلّف/ الناسخ مفادها: قال الفقير: اختلف صنيع المصنّفين، فبعضهم لم يذكر اسمه ولا نعته ورسمه خوفًا من السمعة والرياء، واكتفاءً بمن يعلم الجهر والخفاء. وبعضهم يبيّن ذكره ونعته ويعيّن رسمه وصفته، لا سيّما في العلوم النقليّة، ليصحّ الاعتماد على أقواله الجليّة، وليكون وسيلة إلى دعاء الأحبّاء في الأحوال المرضيّة. فسلك العبد الضعيف هذا المسلك الشريف، فصرّح باسمه، ليتوسّل إلى وسم من هذا المؤلّف باسمه، فيُعرف به بعد دروس ظلاله ورسمه.

(٥) (ت) مجموعون.

(٦) هذا اقتباس من رسالة لبرهان الدين البقاعيّ، وعنوانها: *صواب الجواب للسائل المرتاب المجادل المعارض في كفر ابن الفارض*، وهي محقَّقة في رسالة ماجستير – مع نصَّين آخرَين للبقاعيّ – في=

الله تعالى، كما نقل الإجماعَ على ذلك الإمام أبو عليّ عن ابن خليل السَّكُونيّ.[٧] وكذلك أجمع علماء المسلمين على بكرة أبيهم على أنَّ:

> مَن ظنَّ أنّه لأحد [٥] من أولياء الله تعالى طريقًا إلى الله تعالى غير متابعة محمّد، ﷺ، باطنًا وظاهرًا، فهو كافر. ومن احتجَّ في ذلك بقصّة موسى ﷺ مع الخضر عليه السلام كان غالطًا من وجهين:
>
> أحدهما: أنّ موسى، ﷺ، لم يكن مبعوثًا إلى الخضر عليه السلام، ولا كان يجب على الخضر متابعته؛ فإنّ موسى ﷺ، كان مبعوثًا إلى بني إسرائيل. وأمّا محمّد ﷺ، فرسالته عامّة لجميع الثَّقَلَين، الجنّ والإنس. ولو أدركه مَن هو أفضل مِن الخضر عليه الصلاة والسلام، كإبراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة[٨] والسلام، وجب عليهم اتّباعه، فكيف بالخضر؟ سواء كان نبيًّا أو وليًّا. ولهذا قال الخضر عليه السلام لموسى عليه الصلاة والسلام: «إنّي على علم من علم الله علّمنيه لا تعلمه أنت، وأنت على علم من علم الله علّمكه الله لا أعلمه».[٩] وليس لأحد من الثقلين الذين بلغتهم رسالة

=قسم العقيدة بكلّيّة الدعوة وأصول الدين في الجامعة الإسلاميّة بالمدينة المنوّرة، تحقيق محمّد مسلم إبراهيم، سنة ١٤٢٢-١٤٢٣هـ. والتوثيق من هذه الرسالة، ص ٥٧٩.

(٧) أبو عبد الله محمّد بن خليل السكونيّ (ت. قبل القرن السابع الهجريّ)، له كتاب *أربعون مسألة في أصول الدين*، وله شرح على *العقيدة المرشدة* لابن تومرت، وكتاب *التمييز لما أودعه الزمخشريّ من الاعتزال في تفسيره للكتاب العزيز*، توفّي قبل أن يتمّه وأتمّه ابنه عمر. انظر ترجمته في: *الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة* لعبد الملك المراكشيّ، تحقيق إحسان عبّاس (بيروت: دار الثقافة، ١٩٦٥)، ج ٥، ص ٦٣٦. وأمّا أبو عليّ فغالبًا هو ابنه أبو عليّ عمر بن محمّد السكونيّ (ت. ٧١٧هـ)، مؤلّف كتاب: *لحن العوامّ فيما يتعلّق بعلم الكلام*. وللمزيد من المعلومات حوله، انظر: عبد اللطيف تلوان، *أبو عليّ السكونيّ وآراؤه الكلاميّة* (بيروت: دار المقتبس، ٢٠١٩). وقوله في الأعلى مقتبس من رسالة البقاعيّ *صواب الجواب*، إذ ورد فيها في الصفحة ٥٨١: «وكلّ من تكلّم بما ظاهره الكفر، حكمنا بكفره، ووكلنا سريرته إلى الله تعالى، كما ادّعى الإجماع على ذلك الإمام أبو عليّ عمر بن عمر بن خليل السَّكُونيّ».

(٨) في (ت) كتبت: الصلوة، وهي كتابة قرآنيّة صحيحة، ولن نشير لهذا الاختلاف.

(٩) انظر: *مسند أحمد*، تحقيق شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد وآخرين (بيروت: مؤسّسة الرسالة، ١٤٢١/ ٢٠٠١)، ج ٣٥، ص ٤٤؛ و*صحيح البخاريّ*، ج ١، ص ٣٥ وج ٤، ص ١٥٤ وج ٦، ص ٨٨ و٩١؛ و*صحيح مسلم*، تحقيق محمّد فؤاد عبد الباقي (القاهرة: دار إحياء الكتب العربيّة - بيروت:=

محمّد ﷺ أن يقول له مثل هذا.

الثاني: أنّ ما فعله الخضر، عليه السلام، لم يكن مخالفًا للشريعة، بل كان موافقًا لها، لكنّ موسى، ﷺ، لم يكن له علمٌ بالأسباب التي تبيح ذلك، فلمّا بيَّنها له، وافقه على ذلك؛ فإنَّ خَرْقَ السفينة، ليغرق من[١٠] فيها، لمصلحة أهلها، خوفًا من الظالم أن يأخذها، إحسان إليهم، وذلك جائز. وقَتْلُ الضَّالّ جائز، وإن كان صغيرًا، أو[١١] من كان تكفيره لأبويه لا يندفع إلّا بقتله جاز قتله، ولهذا قال ابن عبّاس،[١٢] رضيَ الله عنهما، لنجد[ة] [١٣] الحروريّ،[١٤] لمّا سأله عن قتل الغلمان: إن علمت منهم ما علمه الخضر من ذلك الغلام فاقتلهم، وإلّا فلا تقتلهم. رواه البخاريّ.[١٥]

وأمّا الإحسان إلى اليتيم بلا عوض، والصبر على الجوع، فهو من صالح الأعمال. فلم يكن في ذلك شيءٌ يخالف شريعة[١٦] الله.[١٧]

=دار إحياء التراث العربيّ، ١٤١٢/ ١٩٩١)، ج ٤، ص ١٨٤٧؛ *وسنن الترمذيّ*، تحقيق بشّار عوّاد معروف (بيروت: دار الغرب الإسلاميّ، ١٩٩٨)، ج ٥، ص ١٦١؛ *والسنن الكبرى للنسائيّ*، حقّقه وأخرج أحاديثه حسن عبد المنعم شلبي (بيروت: مؤسّسة الرسالة، ١٤٢١/ ٢٠٠١)، ج ١٠، ص ١٦٣.

(١٠) ورد في النصّ: ممّا.

(١١) (ت) و.

(١٢) أبو العبّاس عبد الله بن عبّاس بن عبد المطّلب الهاشميّ القرشيّ (ت. ٦٨هـ)، ابن عمّ الرسول.

(١٣) ورد في (د)، (ت) نجد، والأصحّ ما أثبتناه، وسيرد فيما بعد: نجدة.

(١٤) نَجْدَة بن عامر الحنفيّ الحَرُوريّ (ت. نحو ٦٩هـ)، من بني حنيفة، من كبار أصحاب الثورات في صدر الإسلام، رأس فرقة النجديّة، له أخبار كثيرة.

(١٥) أبو عبد الله محمّد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاريّ (ت. ٢٥٦هـ)، الإمام الحافظ، صاحب *الجامع الصحيح* والتصانيف. لم يرد هذا الحديث في *صحيح البخاريّ*، وإنّما ورد في *مسند أحمد*، ج ٤، ص ٤٢٢-٤٢٣ وج ٥، ص ٣١٠؛ *وصحيح مسلم*، ج ٣، ص ١٤٤٥؛ *والسنن الكبرى* للنسائيّ، ج ٨، ص ٢٤، باختلاف.

(١٦) (ت) شرع الله هذا.

(١٧) من عبارة: «مَن ظنَّ أنّه لأحد من أولياء الله تعالى»، إلى هذا الموضع نقل المؤلّف - ببعض التصرّف - مِن: ابن تيميّة، *الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان*، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط (دمشق: مكتبة البيان - الطائف: مكتبة المؤيّد، ١٩٨٥)، ص ١٤٠-١٤٢. ونجد أنّ الأرناؤوط - وهو من علماء الحديث - يقول عن حديث قتل الغلمان إنّه لم يرد في *صحيح البخاريّ*، بينما نصّ ابن=

فيجب، بل يتعيّن على أرباب الكمال أن يقتدوا به، عليه الصلاة والسلام، في جميع الأفعال، (فإنّ بركة الصفاء في الأحوال إنّما تكون بقدر المتابعة؛ ألا يُرى أنّ فتح العين في الصلاة مع كونه سبب التفرقة خيرٌ من غمضها مع تصوُّر الحضور والجمعيّة؟).[١٨]

[٦] «وليس لأحد أن يضع عقيدة ولا عبادة من عند نفسه، بل عليه أن يتَّبع ولا يبتدع، ويقتدي ولا يبتدي».[١٩] وفي الحديث تأويل ثانٍ، وهو: أنّ المراد من العلم المنفيّ في الجانبين الحكمُ والعملُ، وهو الذي مشى عليه سراج الدين البلقينيّ[٢٠] حيث قال في شرحه لهذا الحديث ما نصُّه: «وقد يُشكل، فإنّ العلم المذكور في الجهتين، كيف لا ينبغي علمه؟ ثمّ قال: وجواب هذا: حمل العلم على تنفيذه. والمعنى: لا ينبغي لك أن تعلمه لتعمل به؛ لأنّ العمل به لمقتضى الشرع، ولا ينبغي لي أن أعلمه فأعمل بمقتضاه؛ لأنّه منافٍ لمقتضى الحقيقة. ثمّ قال: فعلى هذا لا يجوز للوليِّ التابعِ للنبيّ، ﷺ، إذا اطّلع على حقيقة أن ينفِّذ ذلك بمقتضى الحقيقة، وإنّما عليه أن يُنفِّذَ الحكم الظاهر.[٢١] انتهى.

قال الشيخ تقيّ الدين السُّبْكيّ[٢٢] في تفسيره: ما فعله الخضر من قتل الغلام، لكونه

=تيميّة، وهو مطابق لما ورد في المتن أعلاه، يذكر عبارة «رواه البخاريّ»، ممّا يؤكّد أنّ الدملوجيّ كان ينقل نصّ ابن تيميّة بشكل حرفيّ بدون التحقّق من المصادر الحديثيّة الواردة فيه.

(١٨) ما بين قوسين كُتب في هامش (د). وبعدها صح صح. وفي (ت) ورد في المتن.

(١٩) هذا السطر من: *مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيميّة*، جَمْع عبد الرحمن قاسم وابنه محمّد (المدينة المنوّرة: طباعة مجمع الملك فهد، ٢٠٠٤)، ج ١١، ص ٤٩٠، في رسالة: «سئل عن المرشدة كيف كان أصلها وتأليفها وهل يجوز قراءتها».

(٢٠) أبو حفص سراج الدين عمر بن رسلان الكنانيّ، العسقلانيّ الأصل، ثمّ البُلقينيّ المصريّ الشافعيّ (ت. ٨٠٥هـ)، مجتهد حافظ للحديث، من العلماء بالدين.

(٢١) لم نجده في شرح البلقينيّ المسمّى *الإفهام لما في البخاريّ من الإبهام*، وقد ورد الاقتباس منسوبًا للبلقينيّ في الكثير من المصادر، منها رسالة السيوطيّ *تأييد الحقيقة العليّة* (بيروت: دار الكتب العلميّة، ٢٠٠٦)، ص ٧–٨؛ ورسالة السيوطيّ، *الباهر في حكم النبيّ ﷺ بالباطن والظاهر*، تحقيق محمّد خيري قيرباش أوغلو (القاهرة: دار السلام، ١٩٨٧)، ص ١٥. ويجدر بالذكر أنّ السيوطيّ تلميذ البلقينيّ. ورد كذلك الاقتباس منسوبًا للبلقينيّ في كتاب *سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد* لمحمّد بن يوسف الصالحيّ الشاميّ (ت. ٩٤٢هـ)، تحقيق عبد المعزّ عبد الحميد الجزّار (القاهرة: وزارة الأوقاف، ١٩٩٥)، ج ١١، ص ٧٧. وفي هذا النصّ يحدّد بقوله: «قال شيخ الإسلام البلقينيّ في شرح البخاريّ».

(٢٢) أبو الحسن تقيّ الدين عليّ بن عبد الكافي السُّبكيّ الأنصاريّ الخزرجيّ (ت. ٧٥٦هـ)، شيخ الإسلام في عصره، وأحد الحفّاظ المفسّرين.

طبع كافرًا، فهو مخصوص بذلك، لأنّ المعلوم من الشريعة أنّه لا يجوز قتل صغير، لا سيّما بين أبوَين مؤمنَين، ولو فرضنا أنّ بعض الأولياء أطلعه الله على حال فتًى،[٢٣] كما أطلع الخضر، لم يجز قتله على ما تقتضيه الشريعة، وإن كان قد ورد عن ابن عبّاس لمّا كتب نجدة الحروريّ إليه يسأله عن قتل الصبيان، فكتب إليه ابن عبّاس، رضي الله عنهما: إن كنتَ الخضر، تعرف المؤمن من الكافر، فاقتلهم. فإنّما قصد ابن عبّاس، رضي الله عنهما، بذلك دفع[٢٤] محاجّة نجدة، وإحالته على شيءٍ لا يمكن؛ فقطع[٢٥] طمعه عن الاحتجاج بقصّة الخضر. وليس مقصوده أنّه إن حصل ذلك يجوز القتل، فهذا ممّا لا تقتضيه الشريعة؛ لأنّ الكفر ليس بناجز الآن، بل فيما بعد. فكيف يُقتل بسبب لم يحصل؟ وللقطع بأنّ المولود لا يوصف بكفر حقيقيّ ولا إيمان حقيقيّ، [٧] وإنّما يحمل قصّة الخضر على أنّ ذلك كان شرعًا مستقلًّا عند من يرى أنّ الخضر نبيّ. انتهى كلام السبكيّ.[٢٦]

وفي الحديث تأويل ثالث، وهو: أنّ المنفيّ في الجانبين علم الجميع، وعلى ذلك مشى حافظ العصر أبو الفضل ابن حجر[٢٧] في شرح البخاريّ، فقال: قوله «لا ينبغي لك أن تعلمه»، أي جميعَه. وكذا قوله: «لا ينبغي لي أن أعلمه»، أي جميعه. قال: وتقدير ذلك معتبر؛

(٢٣) (ت) صبي.

(٢٤) (ت) – دفع.

(٢٥) (ت) وقطع.

(٢٦) للسبكيّ تفسير بعنوان *الدرّ النظيم في تفسير القرآن العظيم*، وهو غير مطبوع. والاقتباس الموجود في المتن أعلاه يتكرّر في بعض الحواشي والتفاسير، وعلى الأغلب أنّ مصدرها هو حاشية الخفاجيّ على تفسير البيضاويّ، إذ هو أقدم مصدر وجدناه يقتبس رأي السبكيّ بشكل صريح. انظره في: *حاشية الشهاب المسمّاة عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاويّ* (بيروت: دار صادر)، ج ٦، ص ١٢٨. وعن حاشية الخفاجيّ ينقل سليمان بن عمر العجيليّ الشافعيّ (ت. ١٢٠٤هـ) في كتابه *الفتوحات الإلهيّة بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفيّة*، إذ يقول: «وفي *الشهاب* قال الإمام السبكيّ: ما فعله الخضر من قتل الغلام...»، (بيروت: دار الكتب العلميّة، ٢٠١٨)، ج ٤، ص ٤٤٨، تفسير سورة الكهف، الآيتان ٨١ و٨٢. وانظر أيضًا: تفسير جمال الدين القاسميّ (ت. ١٩١٤م) المسمّى *محاسن التأويل*، تصحيح محمّد فؤاد عبد الباقي (القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي، ١٩٥٧)، ص ٤٠٨٩.

(٢٧) أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن عليّ بن حجر الكنانيّ العسقلانيّ (ت. ٨٥٢هـ)، من أئمّة العلم والتاريخ.

لأنّ الخضر كان يعرف من الحكم الظاهر ما لا غنًى بالمكلَّف عنه، وموسى كان يعرف من الحكم الباطن ما يأتيه بطريق الوحي.[٢٨] انتهى.

وقال القرطبيّ[٢٩] في شرح مسلم:[٣٠] قوله: إنّ لي عبدًا بمجمع البحرين هو أعلم منك، أي بأحكام وقائع مفصَّلة، وحُكم نوازل معيّنة، لا مطلقًا، بدليل قول الخضر لموسى: إنّك على علم علّمكه الله لا أعلمه أنا، وأنا على علم علّمنيه الله لا تعلمه أنت. قال: وعلى هذا فيصدق على كلّ واحد منهما أنّه أعلم من الآخر بالنسبة إلى ما يعلمه كلّ واحدٍ منهما، ولا يعلمه الآخر.[٣١] انتهى.

وقد اُختصَّ نبيُّنا، ﷺ، بأن يحكم بالظاهر مرّةً وبالباطن أخرى، خصوصيّة اختصَّ بها من بين سائر الأنبياء، وفضيلة آتاه الله إيّاها.

قال الحافظ ابن دِحْية:[٣٢] اختُصَّ النبيّ، ﷺ، بأنّه كان له قتل من اتّهمه بالزنا من غير بيِّنة، ولا يجوز ذلك لغيره.[٣٣] انتهى.

ومن الأحاديث الدالّة على حكمه بالحقيقة ما أخرجه ابن أبي شيبة[٣٤] وأبو يعلى[٣٥]

(٢٨) أحمد بن عليّ بن حجر العسقلانيّ، *فتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري*، تحقيق عبد القادر شيبه الحمد (طُبع على نفقة الأمير سلطان بن عبد العزيز آل سعود، ٢٠٠١)، ج ٨، ص ٢٧٩.

(٢٩) أبو العبّاس أحمد بن عمر بن إبراهيم الأنصاريّ القرطبيّ (ت. ٦٥٦هـ)، فقيه مالكيّ، من رجال الحديث.

(٣٠) أبو الحُسين مُسلم بن الحَجّاج بن مُسلم القشيريّ النيسابوريّ (ت. ٢٦١هـ)، الإمام الحافظ، صاحب *الصحيح*.

(٣١) أحمد بن عمر القرطبيّ، *المفهم لما أشكل من كتاب تلخيص مسلم*، تحقيق محيي الدين مستو وآخرين (دمشق: دار ابن كثير، ١٩٩٦)، ج ٦، ص ١٩٥، باختلاف طفيف لا يغيّر المعنى.

(٣٢) أبو الخطّاب مجد الدين عمر بن حسن بن دِحْية الكلبيّ (ت. ٦٣٣هـ)، أديب ومؤرّخ، حافظ للحديث.

(٣٣) مجد الدين أبو الخطّاب بن دحية، *نهاية السول في خصائص الرسول*، تحقيق عبد الله عبد القادر الفادني (قطر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلاميّة، ١٩٩٥)، ج ٢، ص ٣٣٧.

(٣٤) أبو بكر عبد الله بن محمّد بن أبي شَيْبة العبسيّ، مولاهم، الكوفيّ (ت. ٢٣٥هـ)، حافظ للحديث.

(٣٥) أبو يَعْلى أحمد بن عليّ التميميّ الموصليّ (ت. ٣٠٧هـ)، ثقة حافظ، من علماء الحديث.

والبزّار[٣٦] في مسانيدهم، والبيهقيّ[٣٧] في دلائل النبوّة، عن أنسٍ،[٣٨] رضي الله عنه، أنّه قال: ذكروا رجلًا عند النبيّ، ﷺ، فذكروا قوّته في الجهاد واجتهاده في العبادة، فإذا هم بالرجل مقبل، فقال النبيُّ، ﷺ:[٣٩] إنّي لأرى في وجهه سفعةً من الشيطان. فلمّا دنا سلَّم، ثمّ ذهب فاختطَّ[٤٠] مسجدًا، ووقف يصلّي. فقال رسول الله، ﷺ: من يقوم إليه فيقتله؟ فقام أبو بكر،[٤١] فانطلق، فوجده يصلّي، [٨] فرجع، فقال: وجدته يصلّي، فهبت أن أقتله. فقال رسول الله، ﷺ: أيُّكم يقوم إليه فيقتله؟ فقام عمر،[٤٢] فصنع كما صنع أبو بكر. فقال رسول الله، ﷺ: أيُّكم يقوم إليه فيقتله؟ فقال عليّ:[٤٣] أنا. قال: إن أدركته. فذهب، فوجده قد انصرف، فرجع. فقال رسول الله، ﷺ: هذا أوّل قرن خرج من أمّتي، لو قتلته ما اختلف اثنان من أمّتي.[٤٤] فهذا من الحكم بالحقيقة؛ لأنّه، ﷺ، اطّلع على ما يؤول إليه أمره آخرًا، ولم[٤٥] يكن إذ ذاك بدٌّ منه لمحذور.[٤٦] ولهذا توقّف أبو بكر وعمر في قتله.

ومن حكمه، ﷺ، بالشريعة والحقيقة معًا، قوله في الولد المدَّعى: «هو لك يا عبد الله

(٣٦) أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البَزّار (ت. ٢٩٢هـ)، حافظ، من العلماء بالحديث، صاحب *المسند*.

(٣٧) أبو بكر أحمد بن الحسين بن عليّ البَيْهَقيّ الخِسْروجِرْدِيّ (ت. ٤٥٨هـ)، من أئمّة الحديث.

(٣٨) أبو ثُمامة (وورد أبو حمزة) أنس بن مالك النجّاريّ الخزرجيّ الأنصاريّ (ت. ٩٣هـ)، صاحب رسول الله وخادمه.

(٣٩) (د) – وسلم.

(٤٠) (ت) فاحتط.

(٤١) أبو بكر الصدّيق، عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر بن كعب التيميّ القرشيّ (ت. ١٣هـ)، أوّل الخلفاء الراشدين.

(٤٢) أبو حفص عمر بن الخطّاب القرشيّ العدويّ (ت. ٢٣هـ)، ثاني الخلفاء الراشدين.

(٤٣) أبو الحسن عليّ بن أبي طالب بن عبد المطّلب الهاشميّ القرشيّ (ت. ٤٠هـ)، رابع الخلفاء الراشدين.

(٤٤) لم نهتدِ إلى هذا الحديث في *مسند ابن أبي شيبة*، وإنّما ورد في *مسند البزّار*، تحقيق عادل بن سعد وآخرين (المدينة المنوّرة: مكتبة العلوم والحكم، ١٩٨٨–٢٠٠٩)، ج ١٤، ص ٦٠؛ و*مسند أبي يعلى*، تحقيق حسين سليم أسد (دمشق: دار المأمون للتراث، ١٤٠٤/ ١٩٨٤)، ج ٦، ص ٣٤٠ وج ٧، ص ١٥٤ و١٦٨؛ و*دلائل النبوّة* للبيهقيّ، تحقيق عبد المعطي قلعجي (بيروت: دار الكتب العلميّة – القاهرة: دار الريّان للتراث، ١٤٠٨/ ١٩٨٨)، ج ٦، ص ٢٨٧–٢٨٨، بروايات مُختلفة.

(٤٥) (ت) فلم.

(٤٦) (د) المحذور.

ابن زمعة.[٤٧] الولد للفراش، وللعاهر الحجر،[٤٨] واحتجبي منه يا سودة».[٤٩] فلم تره سودة قطّ. فحكم بالولد للفراش على ظاهر الشرع، وأمر سودة أخته بالاحتجاب منه عملًا بالحقيقة، لاطّلاعه على باطن الأمر، وأنّها ليست بأخته في الباطن.[٥٠]

وأمّا سائر الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، فمنهم – وهو الغالب – من بُعث للحكم بالظاهر فقط دون الباطن، وإنْ عَلِمَهُ، كموسى، ﷺ. ولهذا أنكر على الخضر قتله الغلام؛ لأنّ مقتضى الشرع أن لا يُقتل إلّا بالغ ثبت كفره باعترافٍ أو بَيِّنة، ولم ينكر علمه به. وأجابه الخضر على إنكاره بقوله: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِىۚ﴾[٥١]، فذكر الفعل دون العلم. ومنهم من بُعث ليحكم بالباطن فقط دون الظاهر، وإن عَلِمَه، كالخضر هذا.[٥٢]

(٤٧) عبد بن زَمْعة بن قيس بن عبد شمس القُرَشيّ العامريّ، وأمّه عاتِكة بنت الأَحْنَف بن عَلْقَمة، وهو أخو سَوْدة بنت زَمْعة زوج النبيّ لأبيها، وأخوه لأبيه أيضًا عبد الرحمن بن زَمْعة ابن وليدة زَمْعة الذي تخاصم فيه مع سعد بن أبي وقّاص، كان من أشراف الصحابة، وأسلمَ يوم الفتح.

(٤٨) حاشية في هامش (د)، (ت) مفادها: قوله، ﷺ: «وللعاهر الحجر»، المراد بالحجر الرجم. وقيل ليس كذلك؛ لأنّه لا يرجم من الزنا إلّا المحصن. فإنّما الحجر الخيبة والخسران، أي لا حظّ له في النسب. منه منه.

(٤٩) سَوْدة بنت زَمْعة بن قيس (ت. ٥٤هـ)، من قريش، إحدى أزواج النبيّ. وانظر الحديث في: *صحيح البخاريّ*، ج ٣، ص ٥٤ و١٤٦ وج ٤، ص ٤ وج ٥، ص ١٥١ وج ٨، ص ١٥٣ وج ٩، ص ٧٢؛ *وصحيح مسلم*، ج ٢، ص ١٠٨٠؛ *وسنن ابن ماجه*، حقّقه شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد ومحمّد كامل قره بللي وعبد اللطيف حرز الله (بيروت: دار الرسالة العالميّة، ١٤٣٠/ ٢٠٠٩)، ج ٣، ص ١٦٩؛ *وسنن أبي داود*، حقّقه شعيب الأرنؤوط ومحمّد كامل قره بللي (بيروت: دار الرسالة العالميّة، ١٤٣٠/ ٢٠٠٩)، ج ٣، ص ٥٨٥؛ *والسنن الكبرى* للنسائيّ، ج ٥، ص ٢٨٨ و٢٨٩.

(٥٠) حاشية في هامش (د)، (ت) مفادها: كانوا في الجاهليّة يضربون الضرائب على الإماء، فيكتسبن بالفجور. وكانت السادة يأتونها أيضًا. فإذا جاءت بولد واستلحق الزاني أو السيّد، أُلحق به، وإن تنازعا عُرض على القائف. وكان عتبة قد صنع هذا الصنع بوليده زمعة، فوصّى أخاه حينما احتضر، وكان كافرًا. فلمّا كان عام الفتح أزمع على أن ينفّذ وصيّته وينتزعه، فأبى ذلك عبد ابن زمعة؛ فترافعا إلى رسول الله ﷺ، فحكم أنّ الولد للسيّد الذي وُلد على فراشه، وليس للزاني من فعله إلّا الوبال والنكال. وأبطل ما كانوا عليه في الجاهليّة من إثبات النسب بالزنا. وهذه الحاشية مقتبسة من ملّا عليّ القاري الهروي، *مرقاة المفاتيح*، وهو شرح على كتاب *مشكاة المصابيح* للخطيب التبريزيّ، تحقيق جمال عيتاني (بيروت: دار الكتب العلميّة، ٢٠٠١)، ج ٦، ص ٤٢٩.

(٥١) سورة الكهف: ٨٢.

(٥٢) (ت) – هذا.

وثانيًا بأنّ المدار في باب العقائد، بل في جميع الأحكام، على كلام الخواصّ من العلماء الأعلام الذين هم قدوة أهل الإسلام لقوله تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ﴾[٥٣] أي العلم ﴿إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾[٥٤] أي ما يجب أن يعلم.

[ثناء العلماء الأعلام على الشيخ الأكبر ابن عربي الحاتميّ]

وقد ثبت[٥٥] عن بعضهم القول بولايتهما. بل ذهب معظم علماء الشافعيّة، وكثير من [٩] أئمّتنا الحنفيّة إلى أنّهما مؤمنان، بل وليّان من أكابر الأولياء، رضي الله عنهم. واستثنوهما من الطائفة الحلوليّة. منهم الفاضل المحقّق، والكامل المدقّق، المولى الشهير بابن كمال الوزير،[٥٦] نوَّر الله مرقده، وفي غرف الجنان أرقده، حيث قال في رسالته في حقِّ الشيخ الأكبر محيي الدين:

> أيّها الناس، اعلموا أنّ الشيخ الأعظم والمقتدى الأكرم، قطب العارفين وإمام الموحّدين، محمّد بن عليّ [بن] العربيّ الطائيّ الحاتميّ الأندلسيّ، مجتهد كامل، ومرشد فاضل، له مناقب عجيبة، وخوارق عديدة، وتلامذة كثيرة مقبولة عند العلماء والفضلاء، ومن أنكر فقد أخطأ، وإن أصرَّ في إنكاره فقد ضلّ، يجب على السلطان تأديبه، وعن هذا الاعتقاد تحويله؛ إذ السلطان مأمور بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وله مصنّفات كثيرة، منها فصوصٌ حكميّة وفتوحات مكّيّة، بعض مسائلها معلوم اللفظ والمعنى، وموافق للأمر الإلهيّ والشرع النبويّ، وبعضها خفيّ عن إدراك أهل الظاهر دونَ أهل الكشف والباطن. فمن لم يطّلع على المعنى المرام، يجب عليه السكوت في هذا المقام، لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا﴾.[٥٧] انتهى.[٥٨]

---

(٥٣) سورة النحل: ٤٣؛ وسورة الأنبياء: ٧.

(٥٤) سورة النحل: ٤٣؛ وسورة الأنبياء: ٧.

(٥٥) (ت) وثبت.

(٥٦) شمس الدين أحمد بن سليمان بن كمال باشا (ت. ٩٤٠هـ)، تركيّ الأصل، مستعرب، قاضٍ، شيخ الإسلام، من العلماء بالحديث ورجاله.

(٥٧) سورة الإسراء: ٣٦.

(٥٨) تُعرف هذه الفتوى باسم فتوى ابن كمال باشا، وهي منشورة في عدد من النصوص. انظرها في نهاية=

ومنهم الدرّاكة الخبير والجهبذ الكبير القاضي زكريّا،[٥٩] أوحد علماء الشافعيّة، حيث قال في شرح الروض ردًّا على مصنّفه إسماعيل بن [١٠] المقري[٦٠] في قوله: «من شكّ في تكفير اليهود والنصارى وطائفة ابن عربيّ، فهو كافر»:

> وهذا من زيادته. وهو بحسب ما فهمه – كبعضهم – من ظاهر كلامهم. والحقّ أنّهم مسلمون أخيار، وكلامهم جارٍ على اصطلاحهم، كسائر الصوفيّة، وهو حقيقة عندهم في مرادهم، وإن افتقر عند غيرهم – ممّن لو اعتقد ظاهره عنده كفر – إلى تأويل؛ إذ اللفظ المصطلح حقيقة في معناه الاصطلاحيّ، مجاز في غيره. فالمعتقد عندهم لمعناه معتقد لمعنى صحيح. وقد نصَّ على ولاية ابن عربيّ جماعة علماء عارفون بالله، منهم: الشيخ تاج الدين بن عطاء الله،[٦١] والشيخ عبد الله اليافعيّ.[٦٢] ولا يقدح فيه وفي طائفته ظاهر كلامهم المذكور عند غير الصوفيّة، لما قلناه، ولأنّه قد يصدر عن العارف بالله تعالى إذا استغرق

=مقدّمة الدكتور بكري علاء الدين لتحقيقه كتاب الشيخ عبد الغنيّ النابلسيّ *الوجود الحقّ*، طبعة المعهد الفرنسيّ للدراسات العربيّة بدمشق، ١٩٩٥، ص ٨١. وانظر أيضًا في:

Éric Geoffroy, *Le Soufisme en Égypte et en Syrie: sous les derniers Mamelouks et les premiers Ottomans: orientations spirituelles et enjeux culturels*, études arabes, médiévales et modernes, 156. (Damas: Institut français d'études arabes de Damas, 1996), p. 511.

غير أنّ الفتوى في الحقيقة هي لشيخ الإسلام السابق على ابن كمال باشا، وهو قادريّ جلبيّ، أو عبدالكريم قادريّ، ولاحقًا أُحضرت لابن كمال باشا عندما أصبح شيخ الإسلام، ووافق عليها. انظر:

Noah H Taj, "Ibn Kamāl's Fatwa on Ibn ʿArabī: A Study and Translation", *Journal of the Muhyiddin Ibn ʿArabi Society*, 72 (2022), 37-64.

(٥٩) أبو يحيى زكريّا بن محمّد الأنصاريّ السُّنيكيّ المصريّ الشافعيّ (ت. ٩٢٦هـ)، شيخ الإسلام، قاضٍ مفسّر، من حفّاظ الحديث.

(٦٠) أبو محمّد شرف الدين إسماعيل بن أبي بكر المُقْري (ت. ٨٣٧هـ)، عالم وفقيه شافعيّ من أهل اليمن، له تصانيف كثيرة.

(٦١) أبو الفضل تاج الدين أحمد بن محمّد بن عبد الكريم، ابن عطاء الله السكندريّ (ت. ٧٠٩هـ)، متصوّف شاذليّ، من العلماء.

(٦٢) أبو السعادات عفيف الدين عبد الله بن أسعد بن عليّ اليافعيّ (ت. ٧٦٨هـ)، مؤرّخ وفقيه ومتصوّف، من شافعيّة اليمن.

في بحر التوحيد والعرفان، بحيث تضمحلّ ذاته في ذاته، وصفاته في صفاته، ويغيب عن كلّ ما سواه، عباراتٌ تُشعر بالحلول والاتّحاد، لقصور العبارة عن بيان حاله الذي ترقى[٦٣] إليه، وليس في شيءٍ منهما، كما قال العلّامة السعد التفتازانيّ[٦٤] وغيره.[٦٥] انتهى.

ومنهم شيخ الإسلام، عمدة الأنام، مفتي الإسلام والمسلمين، شهاب الملّة والدين، الأستاذ المعتبر أحمد ابن حجر الشافعيّ،[٦٦] رضي الله عنه، حيث قال في رسالة له في هذا المبحث:

ملخّص [١١] ما نعتقده في ابن عربيّ[٦٧] وابن الفارض وتابعيهما بحقّ، الجارين على طريقتهما من غاية إتقان علوم المعاملات والمكاشفات، ومن غاية الزهد والورع والتجرّد والانقطاع إلى الله تعالى في الفلوات، والدأب على العبادات ونسيان الخلق جملة واحدة، ومعاملة الحقّ ومراقبته في كلِّ نفس، كما تواتر كلُّ ذلك عن هذين الرجلين العظيمين، أنّهم طائفة أخيار، أولياء أبرار مقرَّبون، ومن رِقِّ الشرك أحرار، لا مِرْيَةَ في ذلك ولا شكّ، إلّا عند من لا بصيرة له. وكفاك حجّة على ولايتهما تصريحُ كثيرين من الأكابر بها، وبأنّهما من الأخيار المقرَّبين.[٦٨] انتهى.

وقال أيضًا، تغمّده الله برحمته، وأسكنه فسيح جنّته، في *التحفة*، في باب الردّة، عند قول المصنّف: «الردّة هي قطع الإسلام بنيّة، أو قول كفر»:

عن قصد ورويّة، فلا أثر لسبق لسان، أو إكراه، أو اجتهاد؛ وحكاية كفر حيث كان في ذلك مصلحةٌ، وشَطْحُ وَلِيٍّ حال غيبة، أو تأويله بما هو مصطلح عليه عندهم، وإن جهله غيرهم. ومن ثمّة زلَّ كثيرون في التهويل على محقّقي

(٦٣) (ت) يرقى.

(٦٤) أبو سعيد سعد الدين مسعود بن عمر التَّفْتَازانيّ (ت. نحو ٧٩٢هـ)، من أئمّة العربيّة والبيان والمنطق.

(٦٥) زكريّا الأنصاريّ، *أسنى المطالب في شرح روض الطالب وبهامشه حاشية الرمليّ تجريد الشوبريّ*، تحقيق محمّد الزهريّ الغمراويّ ([القاهرة]: المطبعة الميمنيّة، ١٣١٣هـ)، ج ٤، ص ١١٩.

(٦٦) أبو العبّاس شهاب الدين أحمد بن محمّد بن عليّ بن حجر الهَيْتَميّ السَّعديّ الأنصاريّ (ت. ٩٧٤هـ)، فقيه شافعيّ ومحدّث ومؤرّخ ومتكلّم مصريّ.

(٦٧) (ت) العربي.

(٦٨) شهاب الدين أحمد بن حجر الهيتميّ المكّيّ، *الفتاوى الحديثيّة* (بيروت: دار المعرفة، د.ت)، ص ٥٠. وكذلك كرّر الرأي نفسه في الصفحة ٣٣٥.

الصوفيّة بما هم بريئون منه. ويتردّد النظر فيمن تكلّم باصطلاحهم المقرّر في كتبهم، قاصدًا له مع جهله له. والذي ينبغي، بل يتعيّن، وجوب منعه منه. بل لو قيل بمنع غير المشتهر بالتصوّف، الصادق، من التكلّم بكلماتهم، مع نسبتها إليهم، غيرَ معتقد لظواهرها، لم يبعد؛ لأنّ فيه مفاسد لا تخفى.

وقول ابن عبد السلام:[٦٩] «يُعزَّر، وليّ [١٢] قال: أنا الله، ولا ينافي ذلك ولايته؛ لأنّه غير معصوم»، فيه نظر؛ لأنّه إن كان غائبًا فهو غير مُكلَّف، فلا يُعَزَّر، كما لو أُوِّل بمقبول، وإلّا فهو كافر. ويمكن حمله على ما إذا شككنا في حاله، فيُعزَّر حتمًا، ولا يحكم عليه بالكفر – لاحتمال عذره – ولا بعدم الولاية، لأنّه غير معصوم.

وقول القشيريّ:[٧٠] من شرط الوليّ الحفظ، كما أنّ من شرط النبيّ العصمة، فكلّ من للشرع عليه اعتراض مغرور مخادع. مراده أنّه إذا وقع منه مخالف على الندرة، بادر للتنقّل منه فورًا، لا أنّه يستحيل وقوع شيءٍ منه أصلًا.

قال بعض مشايخنا ممّن جمع بين التصوّف والعلوم العقليّة والنقليّة: لو أدركتُ أرباب تلك الكلمات لمنعتهم عن تدوينها، مع اعتقادي لحقيقتها؛ لأنّها مزلّة للعوامّ والأغبياء المدّعين للتصوّف. انتهى. وإنّما يتّجه أن لو لم يكن لهم غرض صحيح في تدوينها، كخشية اندراس اصطلاحهم، وتلك المفاسد يدرؤها أئمّة الشرع، فلا نظر إليها.[٧١] انتهى.

وقال أيضًا، والى الله تعالى على قبره وابلَ الرضوان، وأسكنه فراديس الجنان، في بعض كتبه، بعد أن نقل عن بعض الصوفيّة الجهلة القول بأنّ الولاية فوق رتبة النبوّة، وأنّ الوليّ قد يبلغ

(٦٩) أبو محمّد عزّ الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم السُّلَميّ الدمشقيّ (ت. ٦٦٠هـ)، شيخ الإسلام، الملقَّب بسلطان العلماء، فقيه شافعيّ بلغ رتبة الاجتهاد.

(٧٠) أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة القشيريّ النيسابوريّ الشافعيّ (ت. ٤٦٥هـ)، من أئمّة الصوفيّة، كان شيخ خراسان في عصره زهدًا وعلمًا بالدين، له مصنَّفات كثيرة منها *الرسالة القشيريّة*.

(٧١) شهاب الدين أحمد بن حجر الهيتميّ المكّيّ، *تحفة المحتاج بشرح المنهاج*، تعليق سيّد بن محمّد السناريّ (القاهرة: دار الحديث، ٢٠١٦)، ج ٤، ص ١٢٩–١٣٠.

حالة يسقط عنه فيها التكليف، فحكم[٧٢] بأنّ قتل واحد من هؤلاء خير من قتل مئة كافر لشدّة ضررهم في الدين: «وليس من أولئك العارفان العالمان المحقّقان الوليّان الكبيران المحيويّ ابن عربيّ والسراج [١٣] ابن الفارض وأتباعهما بحقّ، خلافًا لمن زلّ فيهم قدمه وطغى قلمه، إلّا أن يكون أراد بما قال الذبّ عن اعتقاد ظواهر عباراتهم المتبادرة عند من لا يحيط باصطلاحهما».[٧٣] انتهى.

ومنهم خاتمة الحفّاظ والمجتهدين جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن العلّامة كمال الدين الأسيوطيّ الشافعيّ،[٧٤] رحمه الله تعالى، حيث قال في رسالة له في هذا المبحث سمّاها *تنبيه الغبيّ بتبرئة ابن عربيّ*:

> والقول الفصل عندي في ابن عربيّ طريقةٌ لا يرضاها فرقتا أهل العصر، لا من يعتقد[ه] ولا من يحطّ عليه، وهي اعتقاد ولايته، وتحريم النظر في كتبه، فقد نُقل عنه هو أنّه قال: نحن قوم يُحرَّم النظر في كتبنا، وذلك أنّ الصوفيّة تواضعوا على ألفاظٍ اصطلحوا عليها، وأرادوا بها معاني[٧٥] غير المعاني المتعارفة منها. فمن حمل ألفاظه على معانيها المتعارفة بين أهل العلم الظاهر كفر أو كَفَّرَ. نصَّ على ذلك الغزالي[٧٦] في بعض كتبه، وقال: إنّه شبيه بالمتشابه في القرآن

(٧٢) (ت) وحكم.

(٧٣) شهاب الدين أحمد بن حجر الهيتميّ المكّيّ، *المنح المكّيّة في شرح الهمزيّة المسمّى أفضل القِرى لقرّاء أمّ القُرى*، تحقيق أحمد جاسم المحمّد وبوجمعة مكري (بيروت: دار المنهاج، ٢٠٠٥)، ص ٦٧٣. وقد ورد قول ابن حجر الهيتميّ في شرحه بيت البوصيريّ القائل:

والكرامـات منهـمُ مُعجـزاتٌ حازَهَـا مِـنْ نَوَالِـكَ الأوليـاءُ

إذ قال في الشرح: «واعلم أنّ من الكفر الصريح ما حُكي عن بعض الكرّاميّة أنّ الوليّ غير النبيّ قد يبلغ درجة النبوّة، وعن بعض المتصوّفة الجهلة أنّ الولاية فوق رتبة النبوّة، وأنّ الوليّ قد يبلغ حالة يسقط عنه فيها التكليف. قال الغزاليّ رحمه الله: وقتل واحد من هؤلاء خير من قتل مئة كافر، لأنّ ضرر أولئك في الدين أشدّ، وليس من أولئك العارفان العالمان...» كما ورد في المتن. ص ٦٧٣.

(٧٤) أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطيّ (ت. ٩١١هـ)، إمام حافظ ومفسّر وفقيه ومؤرّخ وأديب، له تصانيف كثيرة.

(٧٥) ورد في النصّ المطبوع: معان، والصواب ما أوردناه. مع ملاحظة أنّ المطبوع ليس محقّقًا بشكل علميّ.

(٧٦) أبو حامد زين الدين محمّد بن محمّد الغزاليّ الطوسيّ الشافعيّ الأشعريّ (ت. ٥٠٥هـ)، حجّة الإسلام، فقيه وأصوليّ وفيلسوف ومتصوّف، من أعلام عصره، له نحو مئتي مصنَّف.

والسنّة، من حمله على ظاهره كفر. وله معنى سوى المتعارف منه، فمن حمل آيات الوجه واليد والعين والاستواء على معانيها الظاهرة المتعارفة كفر قطعًا.

والمتصدّي لتكفير ابن عربيّ لم يَخَفْ من سوء الحساب، وأن يقال له: هل ثبت عندك أنّه كافر؟ فإن قال: كُتبه دلّت على كفره. أَفَأَمِنَ أن يقال له: هل ثبت عندك بالطريق المقبول في نقل الأخبار أنّه قال هذه الكلمة بعينها وأنّه قصد بها معناها المتعارف؟ والأوّل لا سبيل إليه لعدم سند يعتمد عليه في حمل ذلك، ولا عبرة بالاستفاضة. [١٤] وعلى تقدير ثبوت أصل الكتاب عنه، فلا بدَّ من ثبوت كلِّ كلمة، لاحتمال أن يُدَسَّ في الكتاب ما ليس من كلامه، من عدوٍّ أو ملحدٍ. وهذا شرح التنبيه للجيليّ[٧٧] مشحونٌ بغرائب لا تُعرف في المذهب. وقد اعتُذِرَ عنه بأنّه نقلُ بعضِ الأعداء، دَسَّ فيه ما أفسده، حسدًا له. والثاني: هو أنّه قصد بهذه الكلمة كذا، لا سبيل إليه أيضًا. ومن ادّعاه كفر؛ لأنّه من أمور القلب التي لا يطّلع عليه[٧٨] إلّا الله.

وقد سأل بعض أكابر العلماء بعض الصوفيّة في عصره: ما حملكم على أن اصطلحتم على هذه الألفاظ التي يُستشنع ظاهرها؟ فقال: غَيْرةً على طريقنا هذا أن يدّعيه من لا يحسنه، ويدخل فيه من ليس من أهله.

والمتصدّي للنظر في كتب ابن عربيّ أو إقرائها، لم ينصح نفسه ولا غيره، بل ضرَّ نفسه وضرَّ المسلمين كلّ الضرر، لا سيّما إن كان من القاصرين في علوم الشرع والعلوم الظاهرة، فإنّه يَضِلّ و[٧٩] يُضِلّ. وعلى تقدير أن يكون المقرئ لها عارفًا، فليس من طريقة القوم إقراء المريدين كتبَ التصوّف، ولا يؤخذ هذا العلم من الكتب. وما أحسن قول بعض الأولياء لرجل، (وقد سأله أن يقرأ عليه تائيّة ابن الفارض، فقال: دع عنك هذا)،[٨٠] من جاع جُوعَ القوم وسهر سَهَرَهُمْ رأى ما رأوا. والواجبُ على السّبَّاب المستفتي عنه التوبةُ والاستغفارُ

(٧٧) صائن الدين عبد العزيز بن عبد الكريم بن عبد الكافي الجيليّ (ت. بعد ٦٢٩هـ)، فقيه شافعيّ، شارح *التنبيه*.

(٧٨) كذا في الأصل، والصواب: إمّا «الذي» إشارة إلى القلب، أو «عليها» إشارة إلى أمور القلب.

(٧٩) (ت) أو.

(٨٠) ما بين قوسين ساقط في (ت).

والخضوعُ والإنابةُ إليه، حذرًا من أن يكون آذى وليًّا لله تعالى، فيُؤْذِنَه بحرب. فإن امتنع من ذلك، وصمّم، فتكفيه عقوبة الله تعالى عن عقوبة المخلوقين. وماذا عسى أن يصنع به الحاكم أو غيره؟ هذا جوابي في ذلك، والله أعلم.[٨١] انتهى.[٨٢]

قال الفقير: قوله من جاع جوع القوم... إلى آخره، يؤيّده أنّ كلام [١٥] هؤلاء القوم، رضي الله عنهم، مبنيّ على التجوّز والتوسّع والإشارات الخفيّة والإيماء إلى المعاني تارةً من بُعْد وتارةً من قُرْب؛ لأنّهم لم يخاطبوا بكلامهم الفلاسفة وأصحاب المنطق، وإنّما خاطبوا من يعرف أوضاعهم ويعرف أغراضهم.[٨٣] ولهذا خفي على كثيرٍ من أكابر العلماء كثيرٌ من مقاصدهم لأنّ ذلك يحتاج إلى ذوقٍ خاصّ في معرفة دقائق كلامهم، ولا دخل فيه لمعرفة العلوم والكتب. وكم رأينا من فاضل لا يحسن شيئًا من اصطلاحهم، فضلًا عن أن يفهم معاني كلامهم، ومن عامّيٍّ منهم يتكلّم في معاني كلامهم بما يعجز عنه فحول العلماء، وما أليقَ بالحال قول من قال: الحائك يعرف الثوب أحسن من البزّاز.[٨٤]

هذا، ومنهم عمدة المتأخّرين وشيخ الإسلام والمسلمين عليُّ بن سلطان بن محمّد القاري،[٨٥] عليه رحمة الملك الباري، حيث قال في شرحه على [الـ]فقه الأكبر لأبي حنيفة[٨٦] رضي الله عنه، بعد أن قرّر أنّ ما نقل عن بعض الكرّاميّة من جواز كون الوليّ أفضل من النبيّ كفرٌ وضلالةٌ وإلحادٌ وجهالةٌ، ووجّه بعض أقوال بعض الصوفيّة أنّ الولاية أفضل

(٨١) السيوطيّ، *تنبيه الغبيّ*، ص ٢٠-٢٦.

(٨٢) (ت) - انتهى.

(٨٣) ورد في *الأمالي* للشريف المرتضى: «لأنّهم لم يخاطبوا بشعرهم الفلاسفة أصحاب المنطق، وإنّما خاطبوا من يعرف أوضاعهم ويفهم أغراضهم». (القاهرة، مطبعة السعادة، ١٩٠٧)، ص ١٣.

(٨٤) حاشية في هامش (د)، (ت) مفادها: القائل هو المتنبّي لسيف الدولة، وقد اعترض عليه في بعض أشعاره: أيّها الأمير، الحائك يعرف الثوب أحسن من البزّاز. ثمّ أجابه عن اعتراضه بما لم يمكنه ردّه، منه منه.

(٨٥) نور الدين عليّ بن سلطان بن محمّد المُلّا الهرويّ القاري (ت. ١٠١٤هـ)، فقيه حنفيّ وصوفيّ، من صدور العلم في عصره.

(٨٦) أبو حنيفة النعمان بن ثابت، التيميّ بالولاء، الكوفيّ (ت. ١٥٠هـ)، العالم الفقيه، إمام الحنفيّة، أحد الأئمّة الأربعة عند أهل السنّة.

من النبوّة وأنّ بداية[٨٧] الولاية نهاية النبوّة، بأنّ المراد بالأوّل أنّ ولاية النبيّ أفضل من نبوّته، وأنّ المراد بالثاني أنّ الولاية ما تُستَحَقُّ إلّا بعد قيام صاحبها بجميع ما تقرَّر من عند صاحب النبوّة. وأمّا ما حُكي عن ابن عربيّ من خلاف ذلك، فَحُسْنُ الظنّ به أنّه من المفتريات عليه المنسوبات إليه.[٨٨] انتهى.

ومنهم العارف الغارف من بحار المعارف الشيخ عبد الوهّاب الشعرانيّ،[٨٩] قَدَّس الله سرَّه وبمزيد قربه أسرّه، حيث قال في طبقاته: «أجمع المحقِّقون [١٦] من أهل الله تعالى على جلالته في سائر العلوم، كما تشهد كتبه. وما أنكر من أنكر عليه إلّا لدقّة فهم كلامه، لا غير؛ فأنكروا على من يطالع كتبه من غير سلوك طريق الرياضة، خوفًا من حصول شبهة في اعتقاده يموت عليها ولا يهتدي إلى تأويلها على مراد الشيخ».[٩٠] انتهى.

ومنهم خاتمة المحقِّقين وشيخ الإسلام والمسلمين صاحب *الدرّ المختار*،[٩١] والى الله على ضريحه عظيم الأنوار، حيث قال في شرحه *تنوير الأبصار*:

> وقد أثنى صاحب *القاموس* عليه،[٩٢] فكتب: اللهمّ أنطقنا بما فيه رضاك، الذي أعتقده وأدين الله به، أنّه كان، رضي الله عنه، شيخ الطريقة حالًا وعلمًا، وإمام الحقيقة حقيقةً ورسمًا، ومحييَ رسوم المعارف فعلًا واسمًا. شعر: [من البسيط]
>
> إذا تَغَلْغَلَ فكرُ المرءِ في طَرَفٍ من علمِه غَرِقَتْ فيه خواطِرُهُ

(٨٧) (ت) دراية، وهو خطأ ظاهر.

(٨٨) عليّ بن سلطان القاري الهروي، *مِنَح الروض الأزهر في شرح الفقه الأكبر*، تعليق وهبي سليمان غاوجي (بيروت: دار البشائر الإسلاميّة، ١٩٩٨)، ص ٣٥٠-٣٥١.

(٨٩) أبو المواهب (وورد أبو محمّد) عبد الوهّاب بن أحمد بن عليّ الشَّعْرانيّ (ت. ٩٧٣هـ)، فقيه ومحدّث زاهد، من علماء المتصوّفة.

(٩٠) عبد الوهّاب الشعرانيّ، *الطبقات الكبرى*، تحقيق أحمد عبد الرحيم السايح وتوفيق عليّ وهبة (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينيّة، ٢٠٠٥)، ج ١، ص ٣٢٩.

(٩١) محمّد بن عليّ بن محمّد الحِصْنيّ المعروف بعلاء الدين الحَصْكَفيّ (ت. ١٠٨٨هـ)، مفتي الحنفيّة في دمشق، كان فقيهًا وأصوليًّا ومحدّثًا ومفسّرًا ونحويًّا.

(٩٢) أبو طاهر مجد الدين محمّد بن يعقوب الفيروزآباديّ الشيرازيّ (ت. ٨١٧هـ)، من أئمّة اللغة والأدب، صاحب *القاموس المحيط*.

عبابٌ لا تكدِّره الدلاء، وسحاب تتقاصى عنه الأنواء. كانت دعوته تخرق السبع الطباق، وتُغْرق بركاته فتملأ الآفاق. وأنّى أصفه، وهو يقينًا فوق ما وصفته، وناطق بما كتبته، وغالب ظنِّي أنّي ما أنصفته. شعر:[٩٣] [من البسيط]

وما عليَّ إذا ما قلتُ معتقَدي ... دعِ الجهولَ يَظُنَّ العدلَ عدوانا
واللهِ واللهِ[٩٤] [والله] العظيمِ ومن ... أقامَه حجَّةً لله برهانا
إنّ الذي قُلت بعضٌ من مناقبه ... ما زدت إلّا لعلّي زدت نقصانا

إلى أن قال: ومن خواصّ كتبه أنّ من واظب[٩٥] على مطالعتها انشرح صدره لفكِّ المعضلات وحلِّ المشكلات.

وقد أثنى عليه العارف عبد الوهّاب الشعرانيّ سيّما في كتابه *تنبيه الأغبياء* [١٧] *على قطرةٍ من بحر علوم الأولياء*، فعليك به، وبالله التوفيق.[٩٦] انتهى.

ومنهم قاضي القضاة العلّامة سراج الدين الهنديّ الحنفيّ، أوحد أئمّة الحنفيّة.[٩٧]
ومنهم الشيخ وليّ الدين محمّد بن أحمد الملّويّ، أوحد علماء الشافعيّة.[٩٨]

(٩٣) في (د) كلمة «شعر» مكرّرة.
(٩٤) كذا في الأصل، ويجب أن تتكرّر كلمة «الله» ثلاث مرّات ليستقيم الوزن.
(٩٥) (ت) واضب.
(٩٦) محمّد بن عليّ بن محمّد بن عبد الرحمن الحنفيّ الحصكفيّ، *الدرّ المختار شرح تنوير الأبصار وجامع البحار لمحمّد بن عبد الله التمرتاشيّ*، تحقيق عبد المنعم خليل إبراهيم (بيروت: دار الكتب العلميّة، ٢٠٠٢)، ص ٣٤٧. والنقل عن صاحب القاموس إشارة للفيروزآباديّ وفتواه في ابن عربيّ مشهورة. انظرها في رسالته *الاغتباط في الردّ على ابن الخيّاط*، ضمن مجموع النور الأبهر في الدفاع عن الشيخ الأكبر، جمع أحمد فريد المزيدي (القاهرة: دار كرزة، ٢٠٠٧)، ص ٣٨٨.
(٩٧) سراج الدين عمر بن إسحق الغزنويّ (ت. ٧٧٣هـ)، من كبار علماء الحنفيّة في عصره، قدم مصر ودرس فيها، وولي قضاء العسكر وقضاء القضاة، له *التوشيح في شرح الهداية*، *والغرّة المنيفة في ترجيح مذهب أبي حنيفة*، *والشامل*، *وزبدة الأحكام في اختلاف الأئمّة*، *وشرح بديع النظام*، *وشرح المغني للخبّازيّ في أصول الفقه*، *وشرح الزيادات في فروع الحنفيّة*، *وشرح عقيدة الطحاويّ*، وله شرح على تائيّة ابن الفارض. الزركليّ، *الأعلام*، ج ٥، ص ٤٢.
(٩٨) وليّ الدين محمّد بن أحمد بن إبراهيم العثمانيّ الديباجيّ المنفلوطيّ الشافعيّ (ت. ٧٧٤هـ)، إمام عالم زاهد، له اشتغال في الفقه، والأصلَين، والتصوّف، والمنطق، سافر إلى الروم، وعاد، وكان بيده عدّة وظائف. عبد الباسط الملطيّ، *نيل الأمل في ذيل الدول*، تحقيق عمر عبد السلام التدمريّ (بيروت: المكتبة العصريّة، ٢٠٠٢)، ج ٢، ص ٤٤.

ومنهم أبو ذرّ أحمد بن عبد الله العجميّ.[٩٩]
ومنهم أبو عبد الله محمّد بن سلامة التوزريّ المغربيّ.[١٠٠]
ومنهم شمس الدين محمّد بن أحمد الصوفيّ، المعروف بابن نجم.[١٠١]
ومنهم نجم الدين الباهيّ.[١٠٢]
ومنهم علاء الدين أبو الحسن بن سلام الدمشقيّ الشافعيّ، أجلّ أئمّة الشافعيّة بالشام.[١٠٣]
ومنهم العلّامة قاضي القضاة شمس الدين البساطي المالكيّ.[١٠٤]

(٩٩) أحمد بن عبد الله العجميّ المعروف بأبي ذرّ (ت. ٧٨٠هـ). قدم مصر وأقام مدّة ثمّ رجع إلى القدس حيث توفّي، كان يعرف علم الحروف، ويدرس كتب ابن عربيّ، وله اشتغال في المعقول وذكاء، وكان كثير التقشّف. ابن العماد الحنبليّ، *شذرات الذهب في أخبار من ذهب*، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا (بيروت: دار الكتب العلميّة، ٢٠١٢)، ج ٧، ص ٣.

(١٠٠) (د) التوريزي. وهو أبو عبد الله محمّد بن سلامة التوزريّ المغربيّ ثمّ الكركيّ، نزيل القاهرة. مهر في الأصول والمعقول والتصوّف، كان داعية إلى مقالة ابن عربيّ ووقعت له مع البلقينيّ منازعات؛ وكانت له منزلة كبيرة عند السلطان الظاهر برقوق في القاهرة. انظر ترجمته في: شمس الدين محمد السخاويّ، *الضوء اللامع لأهل القرن التاسع* (بيروت: دار الجيل، د.ت)، ج ٧، ص ٢٥٥.

(١٠١) ورد في النسختين: ابن نجيم، وهو خطأ. وقد ورد في *تنبيه الغبيّ*: ابن نجم. وهو محمّد بن أحمد ابن محمّد بن عليّ بن سليمان الشمس المصريّ الصوفيّ (ت. ٨٠١هـ)، نزيل مكّة، ويُعرف بابن النجم. سمع بمصر من قاضيها أبي البقاء السبكيّ، وصحب يوسف العجميّ، وصار من مريديه، ونظر في كتب الصوفيّة وغيرها من كتب العلم، ومال لابن عربيّ وكتب بخطّه كتبًا وفوائد. وجاور بمكّة نحو ثمانية عشر عامًا، وتأهّل بها وولد له، وسمع الحديث بها من بعض شيوخ السخاويّ بالسماع والإجازة، وتعبّد كثيرًا واشتُهر، ثمّ انتقل إلى المدينة فسكنها عامين وأشهرًا، ثمّ توفّي بها ودُفن بالبقيع. انظر: السخاويّ، *الضوء اللامع*، ج ٧، ص ٧٨.

(١٠٢) نجم الدين محمّد بن محمّد بن محمّد بن عبد الدائم الباهيّ الحنبليّ (ت. ٨٥٢هـ)، سمع على العرضيّ وجماعة، وأفتى ودرس، وشارك في العلوم. قال الحافظ ابن حجر: كان أفضل الحنابلة بالديار المصريّة، وأحقّهم بولاية القضاء. جلال الدين السيوطيّ، *حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة*، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم (القاهرة: دار إحياء الكتب العربيّة – عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٩٦٧)، ج ١، ص ٤٨٣.

(١٠٣) أبو الحسن علاء الدين عليّ بن عبد الله بن محمّد بن الحسين بن عليّ بن إسحق بن سلام بن عبد الوهّاب الدمشقيّ الشافعيّ (ت. ٨٢٩هـ). وُلد سنة ٧٥٥ أو ٧٥٦هـ، وتفقّه على ابن قاضي شهبة وغيره من علماء عصره، ثمّ رحل إلى القاهرة ودرس مع علمائها. ثمّ عاد للتدريس في دمشق، وكان حسن المحاضرة، يُنسب إلى نصرة مقالة ابن العربيّ، مات في طريق عودته من الحجّ، فدُفن في البقيع.

(١٠٤) شمس الدين محمّد بن أحمد بن عثمان البساطيّ المالكيّ، قاضي القضاة (ت. ٨٤٣هـ). وُلد سنة ٧٦٠هـ، وأخذ عن مشايخ عصره وارتحل للقاهرة، «ومن جملَة من أَخذ عَنهُ المغربيّ المالكيّ=

وغيرهم من العلماء العاملين، وكبراء الصالحين العارفين، ممّا لا يحصى، لبعدهم عن أن يستقصى.[١٠٥]

فهؤلاء أئمّة الطريقة وأرباب الشريعة والحقيقة، ومَن بعدهم في هذا الأمر لهم تِبْع. وكلُّ ما[١٠٦] خالف ما اعتمدوه واعتقدوه فهو مردود ومبتدَع. فالمرجع ليس إلّا إليهم؛ لأنّهم المجتهدون والمعوَّل عليهم دون من سواهم، فلو وجدوا فيهما أو في اعتقادهما شبهةً، ما أثنوا عليهما ولا مدحوهما. فليكن لك يا أخي أسوةٌ حسنة فيهم؛ لأنّهم السادة الكبراء[١٠٧] المجمَع على إصابتهم وجلالتهم. أكانوا متّهمين في هذا الإقرار بفضل هذين الإمامين؟ لا والله العزيز الغفّار. ولا تظنَّ أنّهم لم يطّلعوا على أقوالهما التي استدلَّ بها المخالفُ على كفرهما، بل وقفوا عليها ووجّهوها بالتوجيهات المرضية التي لا يردّها منصف، على ما سبقت الإشارة إليها.

قال صاحب *درّ المختار* في كتابه *تنوير الأبصار*: [١٨] «وفي المعروضات المزبورة[١٠٨] من قال عن *فصوص الحكم* للشيخ محيي الدين العربيّ إنّه خارج عن الشريعة، صنّفه لإضلال الخلق، ومن طالعه ملحد. ماذا يلزمه؟ أجاب: نعم، فيه كلمات تباين الشريعة، لكنّا تيقَّنّا أنّ بعض اليهود افتراها على الشيخ؛ فيجب الاحتياط بترك مطالعة تلك الكلمات. وقد ورد أمر سلطانيّ بالنهي؛ فيجب الاجتناب من كلّ وجه».[١٠٩] انتهى.

[حسن الظنّ بالمسلم وتأويل كلام الصالحين]

قال الفقير: وإنّما وجب الاجتناب من كلّ وجه، لما تقرّر في هذا الكتاب أيضًا من أنّ

=ولازمه نحو عشر سنين والعزّ بن جماعة وابن خلدون، وعلى سائر علماء المعقول والـمنقول في ذلك العصر، وبرع في الفقه والأصلَين والعربيّة واللغة والمعاني والبيان والمنطق والحكمة والجبر والمقابلة والطبّ والهيئة والهندسة والحساب وصار فريد عصره». السخاويّ، *الضوء اللامع*، ج ٧، ص ٥.

(١٠٥) جميع الأسماء السابقة وردت في رسالة السيوطيّ *تنبيه الغبيّ*، ورسالة السيوطيّ فيها زيادة تعريف بكلّ منهم، ويبدو أنّ المؤلّف أخذ بعض الأسماء فقط، بدون بقيّة المعلومات.

(١٠٦) (ت) وكلما.

(١٠٧) في (د) ورد: الكراء، وهو خطأ واضح.

(١٠٨) في المطبوع: المذكورة، غير أنّ النصّ المطبوع غير محقَّق بشكل علميّ.

(١٠٩) الحصكفيّ، *الدرّ المختار شرح تنوير الأبصار*، ص ٣٤٧، بتصرّف بسيط غير مخلّ.

أمر الأمير، وهو السلطان أو نائبه، متى صادف فعلًا يُجْتَهَدُ فيه، بأن قال بصحّته أحد الأئمّة، نَفَذَ أمره؛ لأنّ طاعته فيما وافق الشرع واجبه. هذا، وأمّا استبعاد نسبة تلك الأقوال المخالفة للشرع الشريف إلى اليهود، لا إلى الشيخ، فاستبعاد لغير بعيد، كما لا يخفى.

هذا، وقال الحافظ الأسيوطيّ: «تظاهرت النصوص والنقول على وجوب تحسين الظنّ بالمسلم، وفتح باب التأويل لما أشكل من كلامه وأبهم، خصوصًا من اشتُهر بالصلاح، وبدا منه الخير ولاح، وغدا ذكره وراح، وشاع خبره في البطاح، وكان في إقليم الإسلام بين العلماء الأعلام والملوك والأمراء والأعيان والكبراء».[١١٠] انتهى.

فإن قلت: إنّما يُؤَوَّل كلام المعصومين على ما قال القونويّ[١١١] أوحد علماء الشافعيّة، مع أنّ هؤلاء ليسوا بمعصومين، قلتُ: قال الإمام الأسيوطيّ في رسالته:

> قلتُ هذا منقوض بأمرين، أحدهما أنّ القونويّ قد فعل خلاف ذلك في كتابه *شرح التعرّف*، فنقل في ابن عربيّ وغيره كلمات ظاهرها [١٩] المنافاة للشرع، ثمّ قوّاها وخرَّجها على أحسن المحامل. فهذا منه إمّا دليل على بطلان ما نقل عنه من عدم التأويل أو رجوع عنه. والثاني أنّ كلام القونويّ لو ثبت أنّه قاله ولم يقل خلافه في *شرح التعرّف*، مُعارَض بقول من هو أجلُّ منه، وهو شيخ الإسلام، وليّ الله تعالى، الشيخ محيي الدين النوويّ،[١١٢] فإنّه نصّ في كتابه *بستان العارفين* على خلاف قول القونويّ، فقال – بعد أن حكى عن ابن الخيَّة[١١٣] حكايةً ظاهرها الإنكار – ما نصّه: قلت: قد يتوهّم من يتشبّه

(١١٠) *شرح مقامات جلال الدين السيوطيّ*، تحقيق سمير محمود الدروبي (بيروت: مؤسّسة الرسالة، ١٩٨٩)، ج ٢، ص ٩١٤. والكلمة الأولى من نصّ السيوطيّ في مقاماته هي: تظافرت. والجدير بالذكر أنّ المقامة التي ورد فيها هذا الاقتباس سمّاها السيوطيّ: «مقامة تُسمّى قمع المعارض في نصرة ابن الفارض».

(١١١) أبو الحسن علاء الدين عليّ بن إسماعيل بن يوسف القونويّ (ت. ٧٢٩هـ)، قاضي القضاة وفقيه من الشافعيّة.

(١١٢) أبو زكريّا محيي الدين يحيى بن شرف الحِزاميّ الحورانيّ النوويّ الشافعيّ (ت. ٦٧٦هـ)، علّامة بالفقه والحديث.

(١١٣) وردت القصة في بستان العارفين منسوبة لأبي الخير الأقطع التِّيناتيّ؛ وهو أبو الخير الأقطع التِّيناتيّ (ت. ٣٤٧هـ)، قيل إنّ اسمه عبّاد (وورد حمّاد) ابن عبد الله، مغربيّ الأصل، سكن تِينات وهي قرية على أميال من المصّيصة، كان شيخًا صوفيًّا زاهدًا كبير الشأن، له كرامات وفراسة حادّة. وانظر=

بالفقهاء، ولا فقه عنده، أن ينكر على ابن الخيَّة هذا، وهذه جهالةٌ وغباوةٌ ممّن يتوهّم ذلك، وجسارة[١١٤] منه على أن يقال[١١٥] الظنون في أفعال أولياء الرحمن، فليحذر العاقل من التعرّض بشيء من ذلك. بل حقّه إذا لم يفهم حِكَمَهُم المستفادة ولطائفهم المستجادة أن يتفهّمها ممّن يعرفها. وكلّ شيء رأيته من هذا النوع ممّا يتوهّم من لا تحقيق عنده أنّه مخالف، ليس مخالفًا، بل يجب تأويل أقوال أولياء الله تعالى. هذا كلام النوويّ، رحمه الله تعالى. انتهى كلام الإمام الأسيوطيّ.[١١٦]

وهو صريح[١١٧] في وجوب تأويل ما أشكل من كلام الإمامين العارفين. وحينئذٍ لا يجوز لأحد الذهاب إلى كفرهما نظرًا إلى ظاهر كلامهما، بل يجب على كلّ أحد أن يعتقد أنّهما ماتا مؤمنَين، بل وليَّين، اقتداءً بأولئك السادة الأخيار المعتقدين ولايتهما، فإنّهم أحقّ بالاتّباع؛ لنظرهم في ذلك إلى حقيقة كلامهما وباطنه، واطّلاعهم عليها، بخلاف من يعتقد ضلالتهما [٢٠] فإنّه ناظرٌ إلى ظاهر كلامهما. ولأنّهم هم السواد الأعظم، فإنّ الكلّ من عوامّ الناس شرقًا وغربًا، والغالب من خواصّهم، يعتقدون إيمانهما، بل ولايتهما. وقد قال نبيُّنا المكرَّم،[١١٨] صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم: «إذا اختلف الناس فعليكم بالسواد الأعظم».[١١٩] وفي حديث

=القصة في: محيي الدين يحيى بن شرف النووي، *بستان العارفين*، تحقيق محمّد الحجّار (بيروت: دار البشائر، ٢٠٠٦)، ص ٣٧٤.

(١١٤) ورد في (د)، (ت) وخسارة.

(١١٥) ورد في (د)، (ت) يقال، ولعلّها: يظنّ. وفي نصّ السيوطيّ وردت: وجسارة منه على إرسال الظنون.

(١١٦) السيوطيّ، *تنبيه الغبيّ*، ص ص ٤٤-٤٦.

(١١٧) (ت) كالصريح.

(١١٨) (ت) الأكرم.

(١١٩) انظر: *المنتخب من مسند عبد بن حميد*، تحقيق مصطفى العدوي (الرياض: دار بلنسية للنشر والتوزيع، ١٤٢٣/ ٢٠٠٢)، ج ٢، ص ٢٤٣؛ *وسنن ابن ماجه*، ج ٥، ص ٩٦؛ *ومسند الشامّيين* للطبرانيّ، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفيّ (بيروت: مؤسّسة الرسالة، ١٤٠٥/ ١٩٨٤)، ج ٣، ص ١٩٦؛ *والكامل في ضعفاء الرجال* لأبي أحمد بن عديّ الجرجانيّ، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعليّ محمّد معوّض بالاشتراك مع عبد الفتّاح أبو سنة (بيروت: دار الكتب العلميّة، ١٤١٨/ ١٩٩٧)، ج ٨، ص ٣٨؛ *وحلية الأولياء* لأبي نُعيم الأصبهانيّ ([القاهرة]: مطبعة السعادة، ١٣٩٤/ ١٩٧٤)، ج ٩، ص ٢٣٨، باختلاف يسير.

آخر: «الجماعة رحمة، والفرقة عذاب».[١٢٠] ولذا قيل: المذهب يستفاد من السواد الأعظم. ولأنّهم هم المصيبون في ذلك، كيف ولا يسكن قلبُ[١٢١] تقيٍّ إلّا بذلك؟ وقد صحَّ أنّ البِرَّ ما اطمأنَّت به النفس، وأنّ قلب المؤمن يضطرب عند الحرام ولا يسكن.

[الأولياء ووصفهم]

ولأنّه قد ثبت أنّهما من أصحاب الحقائق والأحوال، بل حقَّق ذلك جملةُ من أتى بعدهما من الرجال، فكيف يُلتَفَتُ إلى إنكار منكر؟ فإن كان للعلم حرمة، فللعلماء أيضًا حرمة. لكن ينبغي لمن اعتقد فيهما الإيمان، بل الولاية، أن لا يعتقدهما فيهما على سبيل الجزم والقطع، بل لأنّ الأصل أنّهما كانا مؤمنَين، بل وليَّين؛ لثبوت انقطاعهما إلى الله تعالى، والتزامهما السُنَّة، على ما نُقل. فإنَّ الوليَّ، على ما قيل، يُعرف منه إيثار الحقّ، والإعراض عن الخلق، والتزام السنّة بالصدق.

قال أبو عليّ الجرجانيّ،[١٢٢] رحمة الله عليه: الوليّ هو الفاني في حاله، الباقي في مشاهدة الحقّ، تولّى الله سياسته، فتوالت عليه أنوار التولّي، لم يكن له عن نفسه إخبار، ولا مع غير الله قرار.[١٢٣]

وروى الثعلبيّ[١٢٤] وغيره عن عليّ، رضي الله عنه، أنّه قال في وصف أولياء الله تعالى:

(١٢٠) انظر: *مسند أحمد*، ج ٣٠، ص ٣٩٠ و٣٩٢ وج ٣٢، ص ٩٥-٩٦؛ *والسنّة* لابن أبي عاصم، تحقيق محمّد ناصر الدين الألبانيّ (بيروت: المكتب الإسلاميّ، ١٤٠٠هـ)، ج ١، ص ٤٤ وج ٢، ص ٤٣٥؛ ومسند *البزّار*، ج ٨، ص ٢٢٦؛ ومسند *الشهاب القضاعيّ*، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفيّ (بيروت: مؤسّسة الرسالة، ١٤٠٧/ ١٩٨٦)، ج ١، ص ٤٣.

(١٢١) (ت) - قلب.

(١٢٢) أبو عليّ الجرجانيّ (من علماء القرن الرابع الهجريّ)، اختُلف في اسمه ولعلّ الأقرب إلى الصواب أنّه الحسن بن يحيى بن نصر الجرجانيّ، إمام من أهل السنّة، له عدّة تصانيف منها *نظم القرآن*. ولعلّ المقصود أبو عليّ الحسن بن عليّ الجوزجانيّ (من علماء القرن الرابع الهجريّ)، من كبار مشايخ خُراسان، له عدّة تصانيف، تكلّم في علوم الآفات والرياضات والمجاهدات، وربّما في شيء من علوم المعارف والحكم. وفي *الرسالة القشيريّة* التي ورد فيها هذا النصّ يرد: أبو عليّ الجوزجانيّ. انظر توثيق هذا النصّ في الحاشية التالية.

(١٢٣) عبد الكريم بن هوازن القشيريّ، *الرسالة القشيريّة*، تحقيق عبد الحليم محمود ومحمود بن الشريف (القاهرة: مطابع مؤسّسة دار الشعب، ١٩٨٩)، ص ٤٣٩.

(١٢٤) أبو إسحاق أحمد بن محمّد بن إبراهيم الثعلبيّ (ت. ٤٢٧هـ)، مفسّر، من أهل نيسابور، له اشتغال بالتأريخ.

صفر الوجوه من السهر، عمش العيون من البكا، خمص البطون من الطوى، يبس الشفاه من الذوى.[١٢٥]

وفي الإشارة عن الله تعالى: إنّما سُمِّيَتِ الأولياء أولياء، لأنّهم يَلُوني دون من سواهم من خلقي.[١٢٦]

وقيل إنّ إبراهيم بن أدهم[١٢٧] قال لرجل: أتحبّ أن تكون لله وليًّا؟ فقال: نعم. فقال: لا ترغب في [٢١] شيء من الدنيا والآخرة، وفرِّغ نفسك لله، وأقبل بوجهك عليه، ليُقبل عليك ويواليك.[١٢٨]

وقال يحيى[١٢٩] في صفة الأولياء: هم عباد تسربلوا بالأنس بعد المكابدة، واعتنقوا الروح بعد المجاهدة، بوصولهم إلى مقام الولاية.[١٣٠]

وقال سهل[١٣١] رحمه الله تعالى:[١٣٢] الوليّ الذي توالت أفعاله على الموافقة.[١٣٣]

وقيل: علامة الوليّ ثلاثة: شغله بالله، وفراره إلى الله، وهمّه في الله.[١٣٤]

ويقال:

> من صفة الوليّ أن لا يكون له خوف؛ لأنّ الخوف ترقُّب مكروه يحلّ في المستقبل، أو انتظار محبوب يفوته في المستأنف، والوليّ ابن وقته، ليس له مستقبل فيخاف شيئًا. وكما لا خوف له، لا رجاء له؛ لأنّ الرجاء انتظار محبوبٍ

(١٢٥) أبو إسحق أحمد بن محمّد الثعلبيّ، *الكشف والبيان في تفسير القرآن المسمّى تفسير الثعلبيّ*، تحقيق سيّد كسروي حسن (بيروت: دار الكتب العلميّة، ٢٠٠٤)، تفسير سورة يونس، ج ٣، ص ٢٩١.

(١٢٦) أحمد بن زرّوق الفاسيّ، *شرح الحكم العطائيّة*، تحقيق عبد الحليم محمود (القاهرة: مطابع دار الشعب، ١٩٨٥)، ص ١٩١.

(١٢٧) أبو إسحاق إبراهيم بن أدهم بن منصور التميميّ البَلْخيّ، وقيل العِجْليّ (ت. نحو ١٦٠هـ)، زاهد وعالم مشهور، ثقة.

(١٢٨) القشيريّ، *الرسالة القشيريّة*، ص ٤٣٨.

(١٢٩) أبو زكريّا يحيى بن معاذ الرازيّ (ت. ٢٥٨هـ)، واعظ زاهد من علماء المتصوّفة.

(١٣٠) القشيريّ، *الرسالة القشيريّة*، ص ٤٣٨.

(١٣١) أبو محمّد سهل بن عبد الله بن يونس التُّسْتَريّ (ت. ٢٨٣هـ)، أحد أئمّة الصوفيّة وعلمائهم.

(١٣٢) (ت) – تعالى.

(١٣٣) القشيريّ، *الرسالة القشيريّة*، ص ٤٣٩.

(١٣٤) القشيريّ، *الرسالة القشيريّة*، ص ٤٣٩.

يحصل أو مكروه يُكشَف، وذلك في الثاني من الوقت. وكذلك لا حزن له؛ لأنّ الحزن من حزونة الوقت. ومن كان في ضياء الرضاء وبرد الموافقة، فأنّى يكون له حزن. قال الله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[١٣٥]. [١٣٦]

قال الإمام القشيريّ في رسالته:

فإن قيل: فما معنى الوليّ؟ قيل: يحتمل أمرين، أحدهما: أن يكون فعيلًا مبالغة من الفاعل، كالعليم والقدير وغيره؛ فيكون من توالت طاعاته من غير تخلّل معصية. ويجوز أن يكون فعيلًا بمعنى مفعول، كقتيل بمعنى مقتول، وجريح بمعنى مجروح، وهو الذي يتولّى الحقّ سبحانه حفظه وحراسته على الإدامة والتوالي، فلا يخلق له الخذلان الذي هو قدرة العصيان، ويديم توفيقه الذي هو قدرة الطاعة. قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[١٣٧]. [١٣٨] انتهى.

والأصل إبقاء ما كان على ما كان، ما لم يُسْتَيْقن خلافه، [٢٢] نظير ما نعتقده في الأئمّة الأربعة، وفي مثل أبي يزيد البسطاميّ[١٣٩] والجنيد البغداديّ،[١٤٠] رضوان الله تعالى عليهم أجمعين. وإنّما لم نقطع؛ لأنّه لمّا احتمل تغيير حالهما عند الموت تُرك القطع.

فإن قُلتَ: فهل يجوز لنا تقليد هؤلاء العلماء في ذلك القول مع ثبوت ذهاب بعض من العلماء إلى كفرهما بسبب ما صدر منهما من الأقوال المخالفة للشرع الشريف؟

قُلتُ: نعم، لما تقرَّر في كتب الفقه من أنّه يجوز التقليد في المطالب الدينيّة لأئمّة المسلمين ومجتهدي الدين ممّن هو من أهل النظر والاجتهاد والعدالة كهؤلاء العلماء الأخيار، فإنّهم من أهل الاجتهاد ومن الأئمّة المقتدى بهم؛ لأنّهم من الفقه بالمحلّ الأعلى، بحيث بلغوا رتبة الاجتهاد. وإذا لم يكن هؤلاء العلماء من أهل الاجتهاد فمن أهله؟ فهم مجتهدو السلف

(١٣٥) سورة يونس: ٦٢.
(١٣٦) القشيريّ، *الرسالة القشيريّة*، ص ٤٤٠.
(١٣٧) سورة الأعراف: ١٩٦.
(١٣٨) القشيريّ، *الرسالة القشيريّة*، ص ٤٣٦.
(١٣٩) أبو يزيد (ويُقال بايزيد) طيفور بن عيسى البِسْطاميّ (ت. ٢٦١هـ)، زاهد صوفيّ مشهور، لُقّب بسلطان العارفين، له أخبار وتصانيف كثيرة.
(١٤٠) أبو القاسم الجُنيد بن محمّد بن الجُنيد البغداديّ الخزّاز (ت. ٢٩٨هـ)، من مشاهير الصوفيّة.

الصالح، ومن يَتَّبع غير سبيلهم فهو فاجر طالح. ولأنّهم هم المصيبون في ذلك على ما سبق من الأدلّة الدالّة على ذلك، ولأنّه قد وجب الأخذ بقولهم في الأحكام والعمل بها فيما بيننا وبين الله تعالى، والاعتماد عليهم في التحريم والتحليل وقطع الأيدي وقتل الأنفس وغير ذلك من عظائم الأمور، فكيف لا يؤخذ بقولهم في هذين[١٤١] الإمامين؟

هذا، وقد قال الإمام الشافعيّ،[١٤٢] رضي الله عنه: إنّ الله لا يعذّب على فعل اختلف العلماء فيه.[١٤٣] وقال الإمام ابن عبد السلام: إنّ الله تبارك وتعالى لم يوجب على أحدٍ أن يكون حنفيًّا أو شافعيًّا أو مالكيًّا أو حنبليًّا، وإنّما الواجب عليهم اتّباع الكتاب المنزل والنبيّ المرسل. ومن اقتدى بقول عالم فقد سقط عنه الملام.[١٤٤] انتهى.

(١٤١) في (د)، (ت) ورد: هؤلاء.

(١٤٢) أبو عبد الله محمّد بن إدريس الشافعيّ الهاشميّ القُرَشيّ المطّلبيّ (ت. ٢٠٤هـ)، أحد الأئمّة الأربعة عند أهل السنّة، وإليه نسبة الشافعيّة كافّة.

(١٤٣) ذكره منسوبًا للشافعيّ ابن حجر الهيتميّ في *كفّ الرعاع عن محرّمات اللهو والسماع*، تحقيق عادل عبد المنعم أبو العبّاس (القاهرة: مكتبة القرآن)، ص ٩٢. وكذلك في كتاب محمّد الشاذليّ التونسيّ (ت. ٨٨٢هـ)، *فرح الأسماع برخص السماع*، تحقيق محمّد الشريف الرحمونيّ (القاهرة: الدار العربيّة للكتاب، ١٩٨٥)، ص ٨٥. وكذلك أبو عيسى المهديّ الوزّانيّ في كتابه *النوازل الجديدة الكبرى فيما لأهل فاس وغيرهم من البدو والقرى* المسمّاة بالمعيار الجديد *الجامع المعرب عن فتاوى المتأخّرين من علماء المغرب*، تحقيق محمّد السيّد عثمان (بيروت: دار الكتب العلميّة)، ج ٤، ص ٢١٣. وقد ذكر المقدسيّ في كتابه *أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم* قولًا مشابهًا ونسبه لسفيان بن عيينة، فقال: «وقال سفيان بن عيينة: إنّ الله تعالى لا يعذّب أحدًا على ما اختلف فيه العلماء»، (ليدن: بريل، ط ٢، ١٩٠٦)، ص ٣٨. وذكر نجم الدين الغزّيّ في كتابه *إتقان ما يحسن من الأخبار الدائرة على الألسن*: «لا يعذّب الله بمسألة اختلف فيه، أو لا يعذّب الله من عمل بمسألة قال بها عالم»، ليس بحديث، ويشبه أن يكون من كلام بعض السلف. نجم الدين محمّد بن محمّد الغزّيّ الدمشقيّ، *إتقان ما يحسن من الأخبار الدائرة على الألسن*، تحقيق خليل بن محمّد العربيّ (القاهرة: الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، ط ١، ١٩٩٥)، رقم (٢٣٧٨)، ص ٧١٨.

(١٤٤) ورد القول المنسوب لابن عبد السلام في عدد من المصادر منها كتاب المهديّ الوزّانيّ المذكور في الحاشية السابقة: *النوازل الجديدة الكبرى*، ص ٤٧١؛ و*فرح الأسماع برخص السماع*، ص ٨٦. وانظر مناقشة ابن عبد السلام لمسألة التقليد في كتاب: عزّ الدين بن عبد السلام، *قواعد الأحكام في مصالح الأنام*، مراجعة طه عبد الرؤوف سعد (القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية، ١٩٩٤)، ج ٢، ص ١٥٩–١٦٠. وأغلب الظنّ أنّ مصدر الدملوجيّ هو رسالة الملّا عليّ القاري، *فتح الأسماع في شرح السماع*، ضمن مجموع رسائل العلّامة الملّا عليّ القاري، تحقيق عدد من المحقّقين (إستنبول: دار اللباب، ٢٠١٦)، ج ٣، ص ١٤٧. فالدملوجيّ يستند بشكل كبير إلى مؤلّفات ملّا عليّ القاري=

وقد ذكر بعض أولياء الله تعالى أنّه كوشف له أنّ الله تعالى لا يعذّب مَن عمل في المسألة بقول إمام مجتهد من الذين يجوز تقليدهم.[١٤٥] انتهى.

وبالجملة يجب علينا اتّباعُ ما رجّحوه وما صحَّحوه، كما لو أفتوا في حياتهم. بل يجوز الاعتماد على كتبهم المعتبرة، ولا يُشْتَرَط اتّصال السند إلى مصنّفها، على ما قاله في فتاوى الصيرفيّة.[١٤٦]

[٢٣] (وأمّا ثانيًا، فاحتمال أن يكون وقوع ذلك منهما زلّة قلم وعثرة قدم، حصل لهما بعده الانتباه، كما هو شأن الملحوظين من أولياء الله تعالى. وقد سئل سيّد الطائفة جنيد البغداديّ: هل العارف يزني؟ فأطرق مليًّا، ثمّ قال: ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾[١٤٧].[١٤٨] مع احتمال أن لا يكون ذلك من كلامهما، أو لا يكون المفهوم الظاهر من مرامهما، أو تابا إلى الله تعالى حال اختتامهما، فالتسليم أسلم، والله أعلم).[١٤٩]

قال الفقير: وههنا دليل عقليّ يؤيّد ما اختاره هؤلاء الأئمّة الأخيار، يحسن أن نذكره، وهو أنّ فحول علماء الأمّة جعلوا زهد النبيّ ﷺ وسيرته من المعجزات الباهرة الدالّة على نبوّته، ﷺ. ولهذا يُحكى عن بعض سلاطين الكفرة المعدودين من الحكماء المتأهّلين، أنّه سأل من تجّار الحجاز عن سيرة نبيّنا، ﷺ، فوصفه – مع كفرهم – بالزهد والعدل والصلابة في الدين والرفق مع المؤمنين، فقال: حسبي بهذا،[١٥٠] وأسلم بذلك. فبلغ ذلك إلى النبيّ، ﷺ، فلم ينكره، بل دعا له. فثبت حسن ذلك الاستدلال بالعقل والتقرير عند الفطن الخبير والناقد البصير.

=الذي كان من أبرز مؤلّفي الحنفيّة في العصر العثمانيّ، وقد اقتبس من رسالة القاري *فتح الأسماع* عدّة مرّات.

(١٤٥) ورد الاقتباس نفسه، بدون توضيح نسبته، في كتاب *القول السديد في بعض مسائل الاجتهاد والتقليد* لمحمّد بن عبد العظيم المكّيّ المورويّ (ت. ١٠٦١هـ)، تحقيق جاسم بن محمّد الياسين وعدنان ابن سالم الروميّ (الكويت: دار الدعوة، ١٩٨٨)، ص ١١٧.

(١٤٦) *الفتاوى الصيرفيّة* لمجد الدين أسعد بن يوسف بن عليّ الصيرفيّ البخاريّ (ت. ١٠٨٨هـ)، فقيه حنفيّ. مخطوط.

(١٤٧) سورة الأحزاب: ٣٨.

(١٤٨) القشيريّ، *الرسالة القشيريّة*، ص ٥٦٦.

(١٤٩) هذه الفقرة المحصورة بين قوسين مكتوبة بخطّ المؤلّف في هامش (د) وبعدها: صح صح صح.

(١٥٠) (ت) بذا.

ولا يخفى أنّ ما هو جدير بكونه مُثبتًا للنبوّة، خليقٌ بأن يُثبَت به الإيمان، بل الولاية التي هي من فروعها. ومن له أدنى إنصاف وتَتَبُّع لا ينكر نهج[١٥١] هذين الإمامين، وحسن ما كانا عليه من الورع والتجرّد والانقطاع إلى الله تعالى، والدَّأب على العبادات، كما لا يخفى على من تتبّع سيرهما.

[مسألة التكفير]

وممّا يسهِّل عليك ذلك المذهب أنّ الكفر أمرٌ هائل عظيم الخطر، حتّى إنّ بعض العلماء لم يذهب إلى الحكم بكفر القائل بأنّ مرتبة الولاية فوق رتبة النبوّة، مع ذهاب جمهور العلماء إلى كفره، حتّى قال الغزالي، رحمه الله تعالى: قتل واحد منهم خيرٌ من قتل ألف كافر.[١٥٢] بل قال ذلك البعض: غاية أمر ذلك القائل التخطئة، وذلك لما له من الشبهة القويّة، وهي قوله، ﷺ، في الخبر الصحيح: إنّ لله عبادًا ليسوا بأنبياء ولا شهداء، يغبطهم النبيُّون والشهداء؛ لقرب مقعدهم [٢٤] من الله تعالى. وإن أُجيب عنه بأنّ من شأن الإنسان أن يتمنّى ما رآه حسنًا، وإنْ كان له مثل ذلك أو خير.[١٥٣]

(١٥١) (د) نهد. وهو زلّة قلم.

(١٥٢) يقول الغزالي في التفرقة بين الإسلام والزندقة: «ومن جنس ذلك ما يدّعيه بعض من يدّعي التصوف أنه قد بلغ حالة بينه وبين الله تعالى، أسقطت عنه الصلاة، وأحلّت له شرب الخمر والمعاصي، وأكل مال السلطان. فهذا ممن لا شك في وجوب قتله، وإن كان في الحكم بخلوده في النار نظر. وقتل مثل هذا أفضل من قتل مائة كافر، إذ ضرره في الدّين أعظم، وينفتح به باب من الإباحة لا ينسد. وضرر هذا، فوق ضرر من يقول بالإباحة مطلقًا، فإنّه يمنع عن الإصغاء إليه ظهور كفره». أبو حامد الغزالي، *التفرقة بين الإسلام والزندقة* (السعودية: دار المنهاج، ٢٠١٧)، ص ٨٦.

(١٥٣) كذا في الأصل، والنصّ مضطرب. وهو مقتبس من رمضان بن محمّد الشهير برمضان أفندي (كان حيًّا قبل سنة ١٠١٧هـ) في شرحه على شرح السعد على العقائد النسفيّة، إذ يقول تعليقًا على قول السعد: «ولا يبلغ وليّ درجة الأنبياء لأنّ الأنبياء معصومون...»، يقول رمضان أفندي: «فإن قلت: ورد في الخبر الصحيح أنّه قال عليه الصلاة والسلام: إنّ من عباد الله أناسًا ما هم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة لقرب مقعدهم من الله. فقالوا: يا رسول الله من هم وما أعمالهم لعلّنا نحبّهم. قال عليه الصلاة والسلام: قوم تحابّوا بروح الله بغير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها بينهم، والله إنّ وجوههم لنور وإنّهم لعلى منابر من نور ولا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس. ويُفهم منه كون الوليّ أفضل من النبيّ، أجيب بأنّ شأن الإنسان أن يتمنّى ما رآه حسنًا وإن كان مثله أو خير منه». رمضان بن محمّد الشهير برمضان أفندي، *شرح رمضان أفندي=*

هذا، ومن كفَّر إنسانًا فقد حكم عليه بأنّه مطرود من رحمة الله الواسعة، وأنّ عاقبته الخزي الأبديّ. ولا يجوز الإقدام على هذا الحكم إلّا بعد نصٍّ صريح لا يعارضه نصٌّ آخر. وأنّى لك في هذين الشيخين الوليَّين، على ما ذهب إليه الجمهور، مع أنّ أئمّة الدين قالوا: الخطأ في الإفتاء بكفر أحد أعظم إثمًا من الخطأ في الإفتاء بعدم كفر ألف إنسان. ويدلّ عليه حديث: «لأَن يُخطئ الإمام في العفو خير له من أن يُخطئ في العقوبة».(١٥٤)

قال صاحب *الدرّ* في كتابه: «واعلم أنّه لا يُفتى بتكفير مسلم ما أمكن حمل كلامه على محمل حسن، أو كان في كفره حديث،(١٥٥) ولو كان ذلك رواية ضعيفة، كما حرَّره في *البحر*، وعزاه في *الأشباه* إلى *الصغرى*. وقال أيضًا: - وغيره -: إذا كان في المسألة وجوه توجب التكفير وواحد يمنعه، فعلى المفتي الميل إلى ما يمنعه تحسينًا للظنّ بالمسلم».(١٥٦)

وقال صاحب الصرّة نقلًا عن الصغرى:(١٥٧)

=*على شرح السعد على العقائد النسفيّة*، تحقيق محمّد هادي الشمرخيّ الماردينيّ (تركيا: مكتبة سيدا، ٢٠١٢)، ص ٥٠٣. وانظر الحديث المذكور في: *مصنّف ابن أبي شيبة*، تحقيق كمال يوسف الحوت (الرياض: مكتبة الرشد، ١٤٠٩هـ)، ج ٧، ص ٤٥؛ و*مسند أحمد*، ج ٣٧، ص ٥٣٠ و٥٣٢ و٥٤١؛ و*مسند البزّار*، ج ١٦، ص ٢٦٧؛ و*مسند أبي يعلى*، ج ١٢، ص ٢٣٣؛ و*المعجم الكبير* للطبرانيّ، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفيّ (القاهرة: مكتبة ابن تيميّة، ١٤٠٤/ ١٩٨٣)، ج ٣، ص ٢٩٠ وج ١٢، ص ١٣٤ وج ٢٠، ص ١٦٨، بروايات مُختلفة.

(١٥٤) انظر: *مصنّف ابن أبي شيبة*، ج ٥، ص ٥١٢؛ و*سنن الترمذيّ*، ج ٣، ص ٨٥؛ و*سنن الدارقطنيّ*، حقّقه وضبط نصّه وعلّق عليه شعيب الأرنؤوط وحسن عبد المنعم شلبي وعبد اللطيف حرز الله وأحمد برهوم (بيروت: مؤسّسة الرسالة، ١٤٢٤/ ٢٠٠٤)، ج ٤، ص ٦٢؛ و*المستدرك على الصحيحين* للحاكم النيسابوريّ، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا (بيروت: دار الكتب العلميّة، ١٤١١/ ١٩٩٠)، ج ٤، ص ٤٢٦؛ و*السنن الكبرى* للبيهقيّ، تحقيق محمّد عبد القادر عطا (بيروت: دار الكتب العلميّة، ١٤٢٤/ ٢٠٠٣)، ج ٨، ص ٤١٣ وج ٩، ص ٢٠٧، باختلاف يسير.

(١٥٥) (ت) خلاف.

(١٥٦) الحصكفيّ، *الدرّ المختار شرح تنوير الأبصار* ص ٣٤٥.

(١٥٧) *الفتاوى الصغرى* لأبي محمّد حسام الدين عمر بن عبد العزيز المعروف بالصدر الشهيد (ت. ٥٣٦هـ)، من أكابر الحنفيّة، من أهل خراسان. بوَّبها نجم الدّين يوسف بن أحمد الخاصّيّ وكتب عليها ابن عابدين حاشية. وقد حُقّق جزء من *الفتاوى الصغرى* في رسائل جامعية. عيد نهار عيد الدهام، *الفتاوى الصغرى لحسام الدين عمر بن عبد العزيز بن مازه البخارى بترتيب يوسف ابن أحمد أبي بكر الخوارزمي من كتاب الوكالة إلى أول كتاب الجنايات* (الأردن: جامعة العلوم=

الكفر شيء عظيم، فلا أجعل المؤمن كافرًا. متى وجدت رواية أنّه لا يكفر. انتهى.

وفي الفتاوى: إذا أطلق الرجل كلمة الكفر عمدًا، لكنّه لم يعتقد الكفر، قال بعض أصحابنا: لا يكفَّر؛ لأنّ الكفر متعلّق بالضمير، ولم يعقد الضمير على الكفر. وقال بعضهم يكفر، وهو الصحيح عندي؛ لأنّه استخفّ بدينه. انتهى.

وفي التاتارخانيّة لا يكفر بالمحتمل؛ لأنّ الكفر نهاية في العقوبة، فيستدعي نهاية في الجناية، ومع الاحتمال لا نهاية. انتهى.

قال في البحر:[١٥٨] والحاصل أنّ من تكلّم بكلمة الكفر هازلًا أو لاعبًا كفر عند الكلّ، ولا اعتبار باعتقاده، كما صرّح به قاضيخان[١٥٩] في فتاويه.[١٦٠] ومن تكلّم بها خطأً أو مكرهًا [٢٥] لا يكفر عند الكلّ. ومن تكلّم بها عامدًا عالمًا، كفر بها عند الكلّ. ومن تكلّم بها اختيارًا جاهلًا بأنّها كفر ففيه اختلاف. والذي[١٦١] تحرّر أنّه لا يُفتى بتكفير مسلم أمكن حمل كلامه على محمل حسن، أو كان في كفره اختلاف، ولو رواية ضعيفة. فعلى هذا، فأكثر ألفاظ التكفير المذكورة لا يُفتى بالتكفير بها. ولقد ألزمت نفسي أن لا أفتي بشيءٍ منها.[١٦٢] انتهى.

=الإسلامية العالمية، كلية الدراسات العليا، رسالة ماجستير، ٢٠١٥)؛ سميرة أحمد محمد أبو عزة، *الفتاوي الصغرى لحسام الدين عمر بن مازه بترتيب الخوارزمي الخاصي، (ت. ٥٣٦هـ- ١١٤١م): من بداية الكتاب إلى نهاية كتاب الإجارة* (الأردن: جامعة العلوم الإسلامية العالمية، كلية الدراسات العليا، رسالة دكتوراة، ٢٠١٥).

(١٥٨) صاحب *البحر* هو زين الدين بن إبراهيم بن محمّد، الشهير بابن نُجَيم (ت. ٩٧٠هـ)، فقيه حنفي مصريّ، من العلماء، له تصانيف.

(١٥٩) الحسن بن منصور بن أبي القاسم محمود البخاريّ الحنفيّ، المعروف بقاضيخان أو فخر الدين الأُوزْجَنْدِيّ (ت. ٥٩٢هـ)، فقيه علّامة، شيخ الحنفيّة، صاحب التصانيف.

(١٦٠) (د) فتاوى، (ت) فتاواه.

(١٦١) (ت) فالذي.

(١٦٢) ابن نجيم الحنفيّ المصريّ، *البحر الرائق شرح كنز الدقائق* (وكنز الدقائق لأبي البركات النسفيّ)، تحقيق زكريّا عميرات (بيروت: دار الكتب العلميّة، ١٩٩٧)، ج ٥، ص ٢١٠، مع بعض الاختصار. وعلى الرغم من أنّ المؤلّف ذكر في منتصف الاقتباس: «قال في البحر»، إلّا أنّ ما ورد قبلها منقول من *البحر الرائق* أيضًا.

وقال الشهاب بن حجر في التحفة: تنبيه ثانٍ: ينبغي للمفتي أن يحتاط في أمر التكفير ما أمكنه لعظم خطره، وغلبة عدم قصده، [لا] سيّما من العوامّ. وما زال أئمّتنا على ذلك قديمًا وحديثًا.(١٦٣) انتهى.

وقال الرافعيّ(١٦٤) من أئمّة الشافعيّة في *العزيز*(١٦٥) والنوويّ في *الروضة والمجموع* وغيرهما: إنّ المفتي إذا سئل عن لفظ يحتمل الكفر وغيره لا يقول هو مهدور الدم، أو مباح، أو يُقتل، أو غير ذلك، بل يقول: يُسْأل عن مراده، فإن فَسَّره بشيء، عُمل به. انتهى.

فانظر – وفّقك الله تعالى – إلى هذه النقول، تجد المنكرين قد ركبوا متن عمياء، وخبطوا خبط عشواء. كيف لا، وغالب أئمّة الدين من علماء الإسلام والمسلمين سلفًا وخلفًا لم يُخرجوهما عن الإسلام، بل حكموا لهما به، وبالدفن في مقابر المسلمين، وحرمة دمائهما وأموالهما، وغير ذلك من الإرث منهما ولهما، وغيره.

والحاصل أنّه لا ينبغي الركون إلى القول بكونهما كافرَين، لما بيَّنَّا، ولما فيه من الخطر العظيم؛ وذلك لتضمّنه القدح والطعن في كثير من أئمّة الدين القائلين بإيمانهما، بل في المتقدّمين والمتأخّرين من الفقهاء وغيرهم من الناس، خاصّهم وعامّهم. وهذا أمر عظيم، لا يُقدم عليه عاقل، ولا يتفوّه به لبيب فاضل. [٢٦] قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾.(١٦٦) وقال رسول الله، ﷺ: «قال الله عزّ وجلّ: من عادى لي وليًّا فقد آذنته بالحرب».(١٦٧) أي أعلمته بأنّي محاربه. وفي

(١٦٣) ابن حجر الهيتمي، *تحفة المحتاج*، ج ٤، ص ١٣٤.

(١٦٤) أبو القاسم عبد الكريم بن محمّد بن عبد الكريم الرافعيّ القزوينيّ (ت. ٦٢٣هـ)، فقيه، من كبار الشافعيّة.

(١٦٥) وهو كتاب *فتح العزيز في شرح الوجيز للغزالي*، ويُسمّى *الشرح الكبير* للرافعيّ، طُبع في ١٣ مجلّدًا؛ وكتاب النوويّ *روضة الطالبين وعمدة المفتين*، طُبع في ١٢ مجلّدًا.

(١٦٦) سورة الأحزاب: ٥٨.

(١٦٧) مرّ سابقًا ص [٤].

لفظ: «فقد بادرني[١٦٨] بالمحاربة».[١٦٩] وفي آخر: «فقد استحلّ محاربتي».[١٧٠] أخرجه البخاريّ، رضي الله عنه. قال ابن عبّاس، رضي الله عنهما: وحرب الله هي النار. وروى أنس رضي الله عنه أنّه قال: «كان رجل مع رسول الله، ﷺ، على بعير، فلعن بعيره، فقال النبيّ، ﷺ: يا عبد الله لا تسر معنا على بعير ملعون».[١٧١] فانظر، إن لم تكن مكفوف البصيرة إلى مروءته، ﷺ، كيف تَضَجَّر من شتم دابّة لا تتألّم من الشتم، فما ظنّك بتضجّره من شتم وإيذاء أولياء الله تعالى. ولا شتم، بل ولا أذى، أعظم من أن يقال في حقّهما إنّهما كافران، وإن كان ذلك لا يضرّهما. فإنّهم عن قصد السبيل لا يزولون، وممّا يقولون مبرَّؤون. إلّا أنّهم لمّا:

> ستر الله أنوار سرائرهم التي يتحقّق بها الأولياء والعارفون من أحوال المنازلات ومنازلات الأحوال، وحقائق المعارف ومعارف الحقائق بكثائف الظواهر التي هي أوصاف البشريّة، اندفع عنهم الجاهل من أجلها، كما اندفع الكفّار عن الأنبياء بذلك، إذ قالوا: ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾.[١٧٢] وقالوا: ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى

(١٦٨) (ت) بارزني.

(١٦٩) انظر: *معالم السنن* للخطّابيّ البُستيّ، تحقيق محمّد راغب الطبّاخ (حلب: المطبعة العلميّة، ١٣٥١/ ١٩٣٢)، ج ٣، ص ٢٩٨، بلفظ «من آذى لي وليًّا فقد بادرني بالمحاربة»؛ *والزهد* لأحمد ابن حنبل، وضع حواشيه محمّد عبد السلام شاهين (بيروت: دار الكتب العلميّة، ١٤٢٠/ ١٩٩٩)، ص ٥٤، بلفظ «(...) واعلم أنّه من أهان لي وليًّا، أو أخافه، فقد بارزني بالمحاربة وبادأني...»؛ *والمعجم الأوسط* للطبرانيّ، تحقيق طارق بن عوض الله بن محمّد وعبد المحسن بن إبراهيم الحسينيّ (القاهرة: دار الحرمين، ١٤١٥/ ١٩٩٥)، ج ١، ص ١٩٢، بلفظ «من أهان لي وليًّا، فقد بارزني بالمحاربة».

(١٧٠) انظر: *مسند أحمد*، ج ٤٣، ص ٢٦١؛ *ومسند البزّار*، ج ١٨، ص ١٣٧، بلفظ «من أذلَّ لي وليًّا، فقد استحلَّ محاربتي...».

(١٧١) انظر: *الصمت* لابن أبي الدنيا، تحقيق أبي إسحاق الحوينيّ (بيروت: دار الكتاب العربيّ، ١٤١٠هـ)، ص ٢٠٨؛ *ومسند أبي يعلى*، ج ٦، ص ٣٠٥؛ *والدعاء* للطبرانيّ، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا (بيروت: دار الكتب العلميّة، ١٤١٣هـ)، ص ٥٧٧؛ *والأحاديث المختارة* للمقدسيّ، دراسة وتحقيق عبد الملك بن عبد الله بن دهيش (بيروت: دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٠/ ٢٠٠٠)، ج ٦، ص ١٧٥ و١٧٦.

(١٧٢) سورة المؤمنون: ٣٣.

ٱلْأَسْوَاقِ﴾.[١٧٣] إلى غير ذلك. وما سترها الحقُّ، جلّ وعلا، بذلك، إلّا غيرةً عليها وصيانةً لها عن المدّعين بوجود الاستعداد، وإجلالًا لها عن الابتذال والاشتهار؛ لأنّ ما كان من العزيز لا يكون إلّا عزيزًا. وما يحصل به الإكرام والتخصيص إذا صار [٢٧] مبتذلًا، بطل سرّ الاختصاص.[١٧٤]

[عودة لمسألة الولاية]

قال في *لطائف المنن*: فأولياء الله[١٧٥] كهف الإيواء، فقليل من يعرفهم. قال، وقد سمعته – يعني شيخه أبا العبّاس المرسيّ –،[١٧٦] يقول: معرفة الوليّ أصعب من معرفة الله تعالى؛ لأنّ الله تعالى ظاهر بكماله وجماله، ومتى تعرف مخلوقًا مثلك، يأكل كما تأكل ويشرب كما تشرب؟[١٧٧]

وقال أبو يزيد البسطاميّ: أولياء الله عرائس، ولا يرى العرائس إلّا المتَّقون، وهم مخلَّدون عنده في حجاب الأنس، لا يراهم أحد في الدنيا ولا في الآخرة.[١٧٨]

وسُمع أبو بكر الصيدلانيّ[١٧٩] – وكان رجلًا صالحًا – يقول: كنت أُصلح اللوح على قبر أبي بكر الطمستانيّ،[١٨٠] أنقر فيه في مقبرة الحيرة كثيرًا، وكان يُقْلَع[١٨١] ذلك اللوح ويُسْرَق،

(١٧٣) سورة الفرقان: ٧.
(١٧٤) زرّوق، *شرح الحكم العطائيّة*، ص ١٨٨.
(١٧٥) (ت) + تعالى.
(١٧٦) «يعني شيخه أبا العبّاس المرسيّ» ليست في نصّ ابن عطاء الله، وإنّما أضافها الدملوجيّ توضيحًا للسياق. وأبو العبّاس المُرسيّ (ت. ٦٨٦هـ) هو شهاب الدين أحمد بن عمر المُرسيّ، فقيه متصوّف، من أهل الإسكندريّة.
(١٧٧) ابن عطاء الله السكندريّ، *لطائف المنن في مناقب الشيخ أبي العبّاس*، تحقيق عبد الحليم محمود (القاهرة: دار المعارف، سلسلة ذخائر العرب ٨٢، ٢٠٠٦)، ص ١٠٨.
(١٧٨) القشيريّ، *الرسالة القشيريّة*، ص ٤٣٨.
(١٧٩) لعلّه أبو بكر الصيدلانيّ المروزيّ (ت. ٤٢٧ هـ)، من علماء الشافعيّة ورواة الحديث.
(١٨٠) أبو بكر الطَّمَسْتانيّ الفارسيّ (ت. بعد ٣٤٠هـ)، من أعيان مشايخ الطريق، صحب إبراهيم الدبّاغ وغيره.
(١٨١) (ت) يقع.

ولم يُقلع[١٨٢] من غيره من القبور، وكنت أتعجّب منه، فسألت الأستاذ أبا عليّ الدقّاق[١٨٣] يومًا عن ذلك، فقال: إنّ ذلك الشيخ آثر الخفاء[١٨٤] في الدنيا، وأنت تريد أن تشهر قبره باللوح الذي تصلحه فيه. وإنّ الحقّ سبحانه يأبى إلّا إخفاء قبره، كما آثر هو ستر نفسه.[١٨٥]

وقال يحيى بن معاذ: الوليّ ريحان الله في الأرض، يشمُّه الصدّيقون، فتصل رائحته إلى قلوبهم، فيشتاقون إلى مولاهم، ويزدادون عبادة على نقاوة أخلاقهم.[١٨٦]

وقال أبو يزيد البسطاميّ: حُظوظ كرامات الأولياء، مع تباينها، من أربعة أسماء، وقيام كلّ فريق منهم باسم منها، وهو: هو الأوّل والآخر، والظاهر والباطن. فمن لم يفتر عنها بعد ملابستها، بل فني فيها، فهو الكامل والتامّ. ومن كان حظّه من اسمه الظاهر، لاحظ عجائب قدرته. ومن كان حظّه من اسمه الباطن، لاحظ ما جرى في السرائر من أنواره. ومن كان حظّه من [٢٨] اسمه الأوّل كان شغله بما سبق. ومن لاحظ اسمه الآخر، كان مرتبطًا بما يستقبله. وكلٌّ كوشف على قدر طاقته، إلّا من تولّاه الحقُّ سبحانه ببرّه، وقام عنه بنفسه.[١٨٧] انتهى.

قال الإمام أبو القاسم القشيريّ في رسالته: وهذا الذي قاله أبو يزيد يشير إلى أنّ الخواصّ من عباده ارتقوا عن هذه الأقسام؛ فلا العواقب هم في ذكرها، ولا السوابق هم في فكرها، ولا الطوارق هم في أسرها. وكذا أصحاب الحقائق يكونون محوًا عن نعوت الخلائق. قال الله تعالى: ﴿وَتَحۡسَبُهُمۡ أَيۡقَاظٗا وَهُمۡ رُقُودٞۚ﴾.[١٨٨] انتهى.

وإلى جميع ما ذكرنا أشار ابن عطاء الله في حكمه حيث قال: ستر أنوار السرائر بكثائف الظواهر إجلالًا لها أن تبتذل بوجود الإظهار، ويُنادى عليها بلسان الاشتهار.[١٨٩] (فسبحان من حجب أهل المعرفة عن جميع خلقه، حجبهم عن أبناء الدنيا بأستار الآخرة، وعن أبناء

(١٨٢) (ت) يقع.

(١٨٣) أبو عليّ الحسن بن عليّ بن محمّد الدقّاق (ت. نحو ٤٠٥هـ)، النيسابوريّ الأصل، الزاهد العارف، شيخ الصوفيّة، صحب أبا القاسم النصراباذيّ وكان من شيوخ أبي القاسم القشيريّ.

(١٨٤) (ت) الجفاء.

(١٨٥) القشيريّ، *الرسالة القشيريّة*، ص ٤٣٨.

(١٨٦) القشيريّ، *الرسالة القشيريّة*، ص ٤٣٩.

(١٨٧) القشيريّ، *الرسالة القشيريّة*، ص ٤٣٩.

(١٨٨) سورة الكهف: ١٨.

(١٨٩) زرّوق، *شرح الحكم العطائيّة*، ص ١٨٨.

الآخرة بأستار الدنيا. الوليّ في ستر حاله أبدًا، والكون كلّه ناطق عن ولايته، والمدّعي ناطق به، والكون كلّه ينكر عليه. ولله سبحانه عبادٌ ضنَّ بهم عن العامّة وأظهرهم للخاصّة، فلا يعرفهم إلّا مثلهم أو محبٌّ لهم. ولله عبادٌ ضنَّ بهم عن العامّة والخاصّة، وعبادٌ أظهرهم للعامّة والخاصّة. ولله عبادٌ يظهرهم في البداية ويسترهم في النهاية. ولله عبادٌ يسترهم في البداية ويظهرهم في النهاية. ولله عبادٌ لا يظهر حقيقة ما بينه وبينهم إلى الحفظة ومن سواهم).[١٩٠]

وبالجملة إنّ الأولياء مستورون عن الأعيان، لا يُعرفون إلّا بكشف الحجب والأستار، فلا وصول للوليّ إلّا بالله تعالى: لأنّه في حجاب الغيرة. قال في *لطائف المنن*: وإذا أراد الله أن يُعرِّفك وليًّا من أوليائه طوى عنك وجود بشريّته، وأشهدك وجود خصوصيّته.[١٩١] قال ابن عطاء الله في الحكم: «سبحان من لم يجعل الدليل على أوليائه إلّا من حيث الدليل عليه، ولم يوصل إليهم إلّا من أراد أن يوصله إليه». هذا، والمراد بالوصول هنا، – على ما قاله شارحه أبو العبّاس الفاسيّ المعروف بزرّوق –:[١٩٢]

> معرفة الوليّ على وجه يقتضي القيام بحقّ حرمته، والوقوف عند أمره ونهيه، والتعلّق بحاله وهمّته. ولا شكّ أنّ ذلك مفتاح الوصول؛ لأنّه يوجب الاهتمام

(١٩٠) هذه العبارة المحصورة بين قوسين وردت في هامش (د) بخطّ المؤلّف، ووردت في متن (ت). وجميع ما فيها مقتبسات مختلفة من مصادر سابقة. فقوله: «فسبحان من حجب أهل المعرفة عن جميع خلقه، حجبهم عن أبناء الدنيا بأستار الآخرة، وعن أبناء الآخرة بأستار الدنيا» يُنسب لذي النون المصريّ وورد في مصادر متعدّدة، منها: *مرآة الزمان في تاريخ الأعيان وبذيله ذيل مرآة الزمان* لابن الجوزيّ (بيروت: دار الكتب العلميّة، ٢٠١٣)، ج ٩، ص ٥٥٥؛ وقوله: «الوليّ في ستر حاله أبدًا، والكون كلّه ناطق عن ولايته، والمدّعي ناطق به، والكون كلّه ينكر عليه» ورد في *طبقات الصوفيّة* للسلميّ، تحقيق مصطفى عطا (بيروت: دار الكتب العلميّة)، ص ٢١٨؛ وقوله: «ولله سبحانه عبادٌ ضنَّ بهم عن العامّة وأظهرهم للخاصّة، فلا يعرفهم إلّا مثلهم أو محبٌّ لهم. ولله عبادٌ ضنَّ بهم عن العامّة والخاصّة، وعبادٌ أظهرهم للعامّة والخاصّة. ولله عبادٌ يظهرهم في البداية ويسترهم في النهاية. ولله عبادٌ يسترهم في البداية ويظهرهم في النهاية. ولله عبادٌ لا يظهر حقيقة ما بينه وبينهم إلى الحفظة ومن سواهم» ورد في *تفسير ابن عجيبة المسمى البحر المديد في تفسير القرآن المجيد*، تحقيق أحمد عبد الله القرشي رسلان (القاهرة: الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، ١٩٩٩)، تفسير سورة إبراهيم، الآية ١٠، ج ٣، ص ٤٩.

(١٩١) ابن عطاء الله، *لطائف المنن*، ص ١٨٠.

(١٩٢) أبو العبّاس أحمد بن أحمد بن محمّد البُرْنُسِيّ الفاسيّ، الشهير بزَرُّوق (ت. ٨٩٩هـ)، فقيه مالكيّ ومحدّث صوفيّ، له عدّة شروح للحكم العطائيّة.

من الوليّ بمن يقع له ذلك، فيشتغل قلبه به، فيكرمه مولاه بنظره له ممّن تعلّق به ذلك، فيتولّاه بإحسانه إكرامًا لعبده، وراحةً له من [٢٩] شغل قلبه بغيره، فإنّه يغار على قلوب أوليائه أن يظهر فيها غيره. ولهذا يقول الناس لأهل الخير خاطرك، أي ليكن لك بي اهتمام، لعلّ الله تعالى أن يكرمك بقضاء حاجتي، لمكان اهتمامك.[١٩٣] انتهى.

والحاصل، إنّ من عادى واحدًا من أولياء الله تعالى، أو أزرى به، أو انتقصه، أو سبّه، فقد نصب نفسه لحرب الله تعالى.

هذا، وقد قال أبو تراب النخشبيّ:[١٩٤] إذا أَلِف القلب الإعراض عن الله تعالى، صحبته الوقيعة في أولياء الله تعالى.[١٩٥]

[ابتلاء الأولياء]

وأظنُّ أنّ الحكمة في الطعن في هذين الإمامين الفاضلين أن يثبت لهما الإرث للأنبياء على الوجه الأكمل. ففي الحديث: «أشدّ الناس بلاءً الأنبياء. ثمّ الأمثل (فالأمثل)»،[١٩٦] أي الأشبه فالأشبه من العلماء والأصفياء، والأفضل فالأفضل من الصلحاء والأولياء. ثمّ)[١٩٧] البلاء،[١٩٨] وإن أطلق على المنحة، لكنّ المراد به هنا، بقرينة السياق، المحنة؛ فإنّ أصله الاختبار. لكن لمّا كان اختبار الله تعالى لعباده تارةً بالمحنة وتارةً بالمنحة أُطلق عليهما. وبالأنبياء ما يشمل الرسل، وذلك لتضاعف أجرهم وتكامل فضائلهم، وليظهر للناس صبرهم ورضاهم، فيُقتدى بهم، ولئلّا يفتتن الناس بدوام صحّتهم، فيعبدوهم.[١٩٩] وبالأمثل فالأمثل الأشرف فالأشرف، والأعلى فالأعلى.

(١٩٣) زرّوق، *شرح الحكم العطائية*، ص ١٩٢.

(١٩٤) أبو تراب عسكر بن الحُصَين النَّخْشَبيّ (ت. ٢٤٥هـ)، شيخ عصره في الزهد والتصوّف.

(١٩٥) القشيريّ، *الرسالة القشيريّة*، ص ٤٤٠.

(١٩٦) انظر: *مسند أحمد*، ج ٣، ص ٧٨ و٨٧ و١٢٨–١٢٩ و١٥٩؛ و*سنن ابن ماجه*، ج ٥، ص ١٥٢؛ و*سنن الترمذيّ*، ج ٤، ص ١٧٩ و١٨٠؛ و*مسند البزّار*، ج ٣، ص ٣٥٣؛ و*السنن الكبرى* للنسائيّ، ج ٧، ص ٤٦ و٤٧، باختلاف يسير.

(١٩٧) ما ورد بين قوسين ورد في هامش (د) بخطّ المؤلّف.

(١٩٨) (ت) والبلاء.

(١٩٩) معظم الفقرة مقتبس من: محمّد عبد الرؤوف المناويّ، *فيض القدير شرح الجامع الصغير من كلام البشير النذير*، تحقيق أحمد عبد السلام (بيروت: دار الكتب العلميّة، ٢٠٠١)، ج ١، ص ٦٦٢.

قال القرطبيّ: أحَبَّ الله تعالى أن يبتلي أصفياءه تكميلًا لفضائلهم ورفعةً لدرجاتهم. وليس ذلك نقصًا في حقِّهم ولا عذابًا، بل كمال ورفعة، مع رضاهم بجميل ما يجريه. وقال الجيلانيّ،(٢٠٠) قدّس الله سرّه العزيز: إنّما كان الحقُّ يديم على أصفيائه البلاء والمحن، ليكونوا دائمًا بقلوبهم في حضرته، ولا يغفلوا؛ لأنّه يحبّهم ويحبّونه، فلا يختارون الرخاء؛ لأنّ فيه بعدًا عن محبوبهم. وأمّا البلاء [٣٠] فقيد للنفوس يمنعها من الميل لغير المطلوب. فإذا دام البلاء ذهبت الأهوية وانكسرت القلوب، فوجدوا الله أقرب إليهم من حبل الوريد، كما قال تعالى في بعض الكتب الإلهيّة: «أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلي»،(٢٠١) أي على الكشف منهم والشهود، وإلّا فهو عند كلّ عبد، انكسر قلبه أم لا.(٢٠٢) انتهى.

وفي تاريخ ابن عساكر(٢٠٣) أنّ سبب قطع يد العارف أبي الخير الأقطع المغربيّ(٢٠٤) أنّه عاهد الله أن لا يتناول لشهوة نفسه شيئًا يشتهي، فرأى يومًا كمام شجرة زعرور، فأعجبه، فقطع غصنًا، فذكر عهده، فتركه، فرآه صاحب الشرطة، فظنّه لصًّا، فقطع يده، فكان يقول: قطعت عضوًا، فقطع منّي عضوًا.(٢٠٥)

وقال ابن عطاء: خرجت زوجة القرشيّ من عنده، وهو وحده، فسمعت رجلًا يكلّمه، ثمّ

(٢٠٠) أبو محمّد محيي الدين عبد القادر بن موسى الحَسَنيّ الجيلانيّ، أو الكيلانيّ، أو الجيليّ (ت. ٥٦١هـ)، مؤسّس الطريقة القادريّة، من كبار الزهّاد والمتصوّفة.

(٢٠١) انظر: *الزهد* لأحمد بن حنبل، ص ٦٤؛ *والهمّ والحزن* لابن أبي الدنيا، تحقيق مجدي فتحي السيّد (القاهرة: دار السلام، ١٤١٢/ ١٩٩١)، ص ٥٦؛ *وقوت القلوب* لأبي طالب المكّيّ، تحقيق عاصم إبراهيم الكيّاليّ (بيروت: دار الكتب العلميّة، ١٤٢٦/ ٢٠٠٥)، ج ١، ص ٤٣٨ وج ٢، ص ٩٩ و٣٢٣؛ و*حلية الأولياء* لأبي نُعيم الأصبهانيّ، ج ٢، ص ٣٦٤ وج ٤، ص ٣١ وج ٦، ص ١٧٧، باختلاف.

(٢٠٢) المناويّ، *فيض القدير*، ج ١، ص ٦٦٣، حرف الهمزة، شرح حديث: «أشدّ الناس بلاء في الدنيا نبيّ أو صفيّ». وما ورد بعد ذلك عن حادثة قطع يد العارف أبي الخير المغربيّ، قد ورد بعد صفحتين، أي في ص ٦٦٥؛ وقصّة زوجة القرشيّ في ص ٦٦٤.

(٢٠٣) أبو القاسم ثقة الدين عليّ بن الحسن بن هبة الله بن عساكر الدمشقيّ الشافعيّ (ت. ٥٧١هـ)، المؤرّخ الحافظ الرحّالة، له *تاريخ دمشق*، ومصنّفات أُخرى كثيرة.

(٢٠٤) ورد التعريف به سابقًا.

(٢٠٥) انظر القصّة في *تاريخ دمشق* لابن عساكر، تحقيق محبّ الدين العمريّ (بيروت: دار الفكر، ١٩٩٨)، ج ٦٦، ص ١٦٣.

انقطع كلامه. فدخلت عليه، فقالت: ما عندك أحد، والآن سمعتُ كلامًا عندك. قال: الخضر أتاني بزيتونةٍ من أرض نجد، فقال: كُلْ هذه، ففيها شفاؤك. قلت: اذهب أنت وزيتونتك، لا حاجة لي فيها. وكان به داء الجذام.[٢٠٦]

قال المناويّ:[٢٠٧]

> قال ابن عربيّ: ههنا مسألةٌ يجب بيانها، هي أنّ الله يحبُّ أنبياءَه وأولياءَه. والمحبُّ لا يؤلم محبوبه، ولا أحدَ أشدُّ ألـمًـا ولا بلاءً منهم. فمن أين استحقّوا هذا، مع كونهم محبوبين له؟ قال: الله تعالى ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾،[٢٠٨] والبلاء لا يكون أبدًا إلّا مع المدّعي؛ فمن ادّعى فعليه الدليل على صدق دعواه، فلولا الدعوى ما وقع البلاء، ولمّا أحبَّ الله من عباده من أحبّ، رزقهم محبّته من حيث لا يعلمون، فوجدوا في نفوسهم حبّه، فادّعوه، فابتلاهم من حيث كونهم محبّين، وأنعم عليهم [٣١] من حيث كونهم محبوبين. فإنعامه دليل على صدق محبّته فيهم، وابتلاؤهم لما ادّعوه من حبّهم إيّاه، فافهم.[٢٠٩] انتهى.

والحاصل، إنّ الله تبارك وتعالى ابتلى هذين الإمامين بما ابتلاهما[٢١٠]، لما[٢١١] ذكرنا، وليتبيَّن أنّهما من جملة الأكابر الذين لم يَسلَموا من خوض الحسّاد والجاهلين فيهم، كما قال الشاعر: [من البسيط]

أو العَرانيــنَ تَلْقاهــا مُحسَّــدةً
ولا تَـرى للئـامِ النـاسِ حُسَّـادا[٢١٢]

---

(٢٠٦) ابن عطاء الله السكندريّ، *لطائف المنن*، ص ٨٢-٨٣.

(٢٠٧) زين الدين محمّد عبد الرؤوف الحدّاديّ ثمّ المُناويّ القاهريّ (ت. ١٠٣١هـ)، من كبار العلماء بالدين والفنون.

(٢٠٨) سورة المائدة: ٥٤.

(٢٠٩) المناويّ، *فيض القدير*، ج ١، ص ٦٦٤؛ والاقتباس باختصار من *الفتوحات المكّيّة* لابن عربيّ، (القاهرة، الطبعة الميمنية، ١٩١١)، ج ٢، ص ٣٤٥.

(٢١٠) ورد في (د)، (ت) ابتلاهم.

(٢١١) (ت) كما.

(٢١٢) ورد في هامش (د) و(ت) الفقرة التالية: العرنين [في الأصل العرانين] طرف الأنف. والجمع العرانين. وعرانين الناس: سادتهم. يقول: إنّما يُحسد السادة والكبراء، لعلوِّهم وشرفهم، ولا ترى أحدًا يحسد لئيمًا خسيسًا. قيل للمهلّبة ما أكثر حسّادك! فأنشد البيت. منه منه.

وإن أبيت إيمانهما لما نُسب إليهما من الأقوال المخالفة للشرع الشريف، الدالّة على الحلول وغيره، فعليك بالإمساك عن ذلك، وعدم الخوض فيه، إثباتًا ونفيًا؛ لما في إطلاق القول فيهما، والخوض خطر، وليس في السكوت خطر، فهو أَولى، ولأنّ الحجج من الطرفين ظنّيّة، وأدلّة الجانبين متحاذية، والسلامة لا يعدلها شيء. وليس ممّا كُلِّفنا به. بل هذه المسألة ليست بأكيدة في باب الاعتقاد. فلو لم يخطر ببال مسلم هذا المبحث، لا نفيًا ولا إثباتًا، لم يضرّه، ككثيرٍ من المسائل المذكورة في العقائد المسطورة.

قال الحافظ الأسيوطيّ: سئل شيخنا شيخ الإسلام بقيّة المجتهدين شرف الدين المناويّ[٢١٣] عن ابن عربيّ، فأجاب بما حاصله: إنّ السكوت عنه أسلم. وهذا هو اللائق بكلّ ورع يخشى على نفسه.[٢١٤] انتهى.

فينبغي لك أن تسكت عن الخوض في ذلك، تحسينًا للظنّ بالمسلمين. ولا تلتفت إلى ما قيل فيهم، فإنّه من قبيل: [من الكامل]

كضَرائـرِ الحَسـناءِ قُلْـنَ لِوَجهِهـا

حَسَـدًا وبَغيًـا إنّـهُ لَدَميـمُ[٢١٥]

وما أشكل عليك من كلامهما، يتعيّن عليك تأويله، كغيرهما من أئمّة الدين وقادة المسلمين، بالوجه القابل له. فإن لم يوجد له وجه، سَلِّم لهما، مع الاجتناب والإعراض عن ذلك الكلام وعدم اعتقاده. ولا [٣٢] تعترض عليهما بمجرّد الإيهام والإشكال، فإنّ من فتح باب الاعتراض على الأولياء من المشايخ والعلماء، والنظر في أحوالهم وأفعالهم، والبحث عنها، كان ذلك علامة حرمانه الخير وعدم فلاحه بزيادة العلم.[٢١٦] يدلّ على ذلك شأن موسى، ﷺ، وعالمه، نهاه عن الاعتراض عليه فيما يفعله بقوله: ﴿فَلَا تَسْـَٔلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ

(٢١٣) أبو زكريّا شرف الدين يحيى بن محمّد الحدّاديّ المُناويّ (ت. ٨٧١هـ)، فقيه شافعيّ وقاضي القضاة، من أهل القاهرة، وهو جدّ الشيخ محمّد عبد الرؤوف المُناويّ.

(٢١٤) السيوطيّ، *تنبيه الغبيّ*، ص ٢٠.

(٢١٥) البيت لأبي الأسود الدؤليّ في ديوانه، تحقيق محمّد حسن آل ياسين (القاهرة: دار ومكتبة الهلال، ١٩٩٨)، ص٤٠٣.

(٢١٦) ورد في *الفتاوى الحديثيّة* لابن حجر الهيتميّ: «من فتح باب الاعتراض على المشايخ، والنظر في أحوالهم وأفعالهم، والبحث عنها، فإنّ ذلك علامة حرمانه وسوء عاقبته، وإنّه لا ينتج قطّ». ص ٧٧.

لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾.[٢١٧] فاعترض عليه، حتّى قال: ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾[٢١٨] فناداه بالفراق بقوله: ﴿هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾.[٢١٩] فحُرِمَ بركةَ صحبته، وانقطعت بركة الزيادة من علمه، والخيرَ الذي جعله الله فيه ومعه. قال ابن عبّاس، رضي الله عنهما: قال أُبَيّ بن كعب[٢٢٠] رضي الله عنه: قال النبيّ، ﷺ: «يرحم الله موسى، لو كان صبر لقصّ علينا من أمرهما».[٢٢١]

ومن شؤم الاعتراض ما كان من أمر الخوارج، اعترضوا على عليٍّ بآرائهم حين أمرهم بالحكمين، فلم يستسلموا لأمره، ولم ينقادوا له، مع طواعيّتهم له، وقتالهم أعداءه، ومعرفتهم أنّه على الحقّ، ولذا قاتلوا أعداءه ومن خالفه، فأدَّاهم شؤم اعتراضهم إلى أن خرجوا عليه، وشهدوا على أنفسهم وعلى عليّ وأصحابه بالكفر، وقتلوا أخيار الناس، وفارقوا المسلمين، فمرقوا من الدين كما يمرق السهم من الرميّة، وصاروا كلاب النار وشرَّ قتلى تحت أديم السماء، على ما قاله أبو أمامة[٢٢٢] عن النبيّ ﷺ.[٢٢٣] ولعلّه لهذا قالوا – أي العلماء –:

(٢١٧) سورة الكهف: ٧٠.

(٢١٨) سورة الكهف: ٧٧.

(٢١٩) سورة الكهف: ٧٨.

(٢٢٠) أبو المنذر أُبَيّ بن كعب بن قيس (ت. ٢١هـ)، صحابيّ أنصاريّ، كان من كتّاب الوحي، شهد المشاهد كلّها مع النبيّ وكان يفتي على عهده، اشترك في جمع القرآن، له في الصحيحَين وغيرهما أحاديث.

(٢٢١) انظر: *صحيح البخاريّ*، ج ١، ص ٣٥ وج ٤، ص ١٥٤؛ و*صحيح مسلم*، ج ٤، ص ١٨٤٧ و١٨٥٠؛ و*سنن أبي داود*، ج ٦، ص ١٠٩؛ و*سنن الترمذيّ*، ج ٥، ص ١٦٢؛ و*السنن الكبرى* للنسائيّ، ج ٥، ص ٣٦٠ وج ١٠، ص ١٦١ و١٦٥، بروايات مُختلفة.

(٢٢٢) أبو أُمامة صُدَيّ بن عَجْلان بن وَهْب الباهِليّ (ت. ٨٦هـ)، صحابيّ، كثير الرواية، كان مع عليّ بن أبي طالب في صفّين، نزل حمص وهو آخر مَن مات مِن الصحابة بالشام.

(٢٢٣) انظر الحديث عن أبي أُمامة الباهليّ في: *مسند أحمد*، ج ٣٦، ص ٤٦٩–٤٧٠ و٥١٨–٥١٩ و٥٤٢ و٦٥٤؛ و*سنن الترمذيّ*، ج ٥، ص ٧٦؛ و*المعجم الكبير* للطبرانيّ، ج ٨، ص ٢٦٦ و٢٦٧ و٢٧١ و٢٧٢ و٢٧٣ و٢٧٤؛ و*المستدرك على الصحيحين* للحاكم النيسابوريّ، ج ٢، ص ١٦٣؛ و*السنن الكبرى* للبيهقيّ، ج ٨، ص ٣٢٥، باختلاف. ومعظم ما ورد من قصّة موسى والخضر وشؤم الاعتراض وأمر الخوارج، حتّى هذا الموضع، مقتبس من كتاب *روح البيان* لإسماعيل حقّي، إذ ورد فيه: «وأمّا الاعتراض على الأولياء والمشايخ من العلماء فإنّه يحرم الخير ويقطع بركة الصحبة وزيادة العلم. يدلّ على ذلك شأن موسى والخضر عليهما السلام، نهاه عن الاعتراض عليه فيما يفعل بقوله (فلا تسألني عن شيء حتّى أحدث لك منه ذكرًا)، فاعترض عليه فناداه الخضر بالفراق، فحرم بركة صحبته وانقطعت بركة الزيادة من علمه والخير الذي جعله الله معه. ومن شؤم الاعتراض ما كان=

من قال لشيخه – أي في السلوك والتربية – لِمَ، لم يُفْلح أبدًا (وأصل قائلها هو أبو سهل الصعلوكيّ.[٢٢٤]

> قال أبو عبد الرحمن السلميّ:[٢٢٥] خرجت في حياة الأستاذ أبي سهل الصعلوكيّ، وكان له قبل خروجي أيّام الجمعة بالغدوات مجلس دور القرآن والختم، فوجدته عند رجوعي قد رفع ذلك المجلس، وعقد لابن العقابيّ[٢٢٦] في ذلك الوقت مجلس القول، فداخلني من ذلك شيء، وكنت أقول في نفسي: قد استبدل مجلس الختم بمجلس القول. فقال لي يومًا: يا أبا عبد الرحمن، أيش يقول الناس بي؟ فقلت: يقولون: رفع مجلس القرآن، ووضع مجلس القول. فقال: من قال لأستاذه لِمَ، لا يُفْلح أبدًا.[٢٢٧] كذا في رسالة الإمام أبي القاسم القشيريّ).[٢٢٨]

=من أمر الخوارج، فاعترضوا على عليّ رضي الله عنه وخرجوا عليه، فخرجوا من الدين وصاروا كلاب النار، وشرّ قتلى تحت أديم الأرض». إسماعيل حقّي البرسويّ، *تفسير روح البيان* (بيروت: دار الفكر، ٢٠٠٨)، ج ٥، ص ٥٣٨، تفسير سورة الأنبياء، الآيات ٢٢–٢٤.

(٢٢٤) أبو سهل محمّد بن سليمان بن محمّد الصعلوكيّ الحنفيّ (من بني حنيفة) النيسابوريّ (ت. ٣٦٩هـ)، كان فقيهًا شافعيًّا وأديبًا وشاعرًا ومتكلّمًا ومفسّرًا صوفيًّا، أخذ عنه فقهاء نيسابور.

(٢٢٥) أبو عبد الرحمن محمّد بن الحسين بن محمّد بن موسى الأزديّ السُّلَميّ النيسابوريّ (ت. ٤١٢هـ)، من علماء المتصوّفة، صاحب التصانيف الكثيرة.

(٢٢٦) لم نهتدِ إليه. ولعلّ المقصود ابن الفَرْغانيّ، وهو أبو بكر محمّد بن موسى الواسطيّ، ويُعرف بابن الفَرْغانيّ (ت. بعد ٣٢٠هـ)، خراسانيّ الأصل، من علماء مشايخ الصوفيّة، صحب الجُنَيد والنُّوريّ. (ورد في نص *القشيريّة* أبو الغفاني، ص ٥٣٩. ولكن في *سير أعلام النبلاء* ترد العقابيّ (ويذكر أنّ الأصل الذي نقل عنه يوردها القعابيّ). شمس الدين محمّد بن أحمد الذهبيّ، *سير أعلام النبلاء*، تحقيق شعيب الأرنؤوط ومحمّد نعيم العرقسوسيّ (بيروت: مؤسّسة الرسالة، ١٩٨٢)، ج ١٧، ص ٢٥١. وأوردها الذهبيّ في *تاريخ الإسلام*: ابن العقابيّ. الذهبيّ، *تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام*، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٦)، ج ٩، ص ٣٦٨. وورد في *الطبقات الكبرى* للسبكيّ: ابن العقابيّ. عبد الوهاب السبكيّ، *طبقات الشافعية الكبرى*، تحقيق عبد الفتاح محمّد الحلو ومحمود محمّد الطناجيّ (القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، ١٩٦٤)، ج ٤، ص ١٤٦.

(٢٢٧) من قوله: «قال أبو عبد الرحمن السلميّ»، إلى هذا الموضع مقتبس من *الرسالة القشيريّة*، ص ٥٣٨–٥٣٩.

(٢٢٨) ما بين قوسين كتب في هامش (د)، (ت).

ومن فتح باب التأويل لهم، وأغضى عن أحوالهم، ووكل أمورهم إلى الله تعالى، واعتنى بحال نفسه وجاهدها بحسب طاقته، حصل له الوصول إلى مقاصده والظفر بمراده في [٣٣] أسرع زمن.[٢٢٩]

> قال الشيخ، قُدِّس سرّه، في كتابه[٢٣٠] روح القدس: «ولم أزل أبدًا بحمد الله أجاهد الفقهاء في حقّ السادة الفقراء حقّ الجهاد، وأذبُّ عنهم وأحمي، وبهذا فُتح لي. ومن تعرّض لذمّهم والأخذ فيهم على التعيين، فإنّه لا خفاء بجهله، ولا يصلح أبدًا».[٢٣١] انتهى. واحترز بقوله على التعيين من الأخذ فيهم على طريقة العموم من غير تخصيص واحدٍ بعينه، تنبيهًا على النوع الفاسد منهم، من غير خصوصيّة، ليعلم المكلّف أنّ فيهم الدخيل، فيتحذّر ويكون على يقظة، كما هو غالب عادة الفقهاء المتقدّمين، بخلاف فقهاء زماننا الذين يأخذون الكلام العامّ الصادر من الأوّلين، ويخصِّصون به فقراء زمانهم، ويتحكّمون فيهم لظنونهم السيّئة؛ ولذا قال فيمن يفعل كذلك إنّه لا خفاء بجهله، ولن يفلح أبدًا.[٢٣٢]

وبالجملة، هم أبواب الله تعالى، ومعرفتهم مفتاح تلك الأبواب، وأسنان ذلك المفتاح حفظ الحرمة، وحسن الخدمة، واتّساع الرحمة. فمن عاملهم بذلك فُتح له، وإلّا فهو على خطر.[٢٣٣]

قال الإمام القشيريّ في رسالته:

ويُحكى عن أبي الحسن العلويّ الهمدانيّ،[٢٣٤] قال: كنت ليلةً[٢٣٥] عند جعفر

(٢٢٩) هذه الفقرة مقتبسة من *الفتاوى الحديثيّة* لابن حجر الهيتميّ، ص ٧٧.

(٢٣٠) (ت) كتاب.

(٢٣١) محيي الدين ابن العربيّ، «روح القدس في محاسبة النفس»، في كتاب محمود غراب، *شرح رسالة روح القدس في محاسبة النفس* (دمشق، ط ٢، ١٩٨٥)، ص ١٠١.

(٢٣٢) والفقرة بأكملها من بداية قول الشيخ الأكبر، إلى هذا الموضع، مقتبس من عبد الغني النابلسيّ، *الحديقة الندّية في شرح الطريقة المحمّدّية*، طبعة حجرية (القاهرة: د.ن، ١٨٥٩)، ج ١، ص ١٢٩.

(٢٣٣) زرّوق، *شرح الحكم العطائيّة*، ص ١٩٢.

(٢٣٤) أبو الحسن محمّد بن أبي إسماعيل عليّ بن الحُسين العَلَويّ الحَسَنيّ الزَّيديّ الهمذانيّ، المعروف بالوصيّ (ت. ٣٩٣هـ)، واعظ صوفيّ، من الأشراف، صحب جعفر الخُلْديّ وسواه.

(٢٣٥) (ت) – ليلة.

الخلديّ،[٢٣٦] وكنت أمرتُ في بيتي أن يُعلَّق طيرٌ في التنّور، وكان قلبي معه، فقال لي جعفر: أَقِمْ عندنا الليلة، فتعلَّلتُ بشيء، ورجعت إلى منزلي. فأُخْرِجَ الطير من التنّور، ووُضع بين يديّ، فدخل كلب من الباب، وحمل الطير عند تغافل الحاضرين فأتى بالجواذب الذي تحته، فتعلّق به ذيل الخادمة، فانصبّ. فلمّا أصبحت دخلت على جعفر، فحين وقع بصره عليّ قال: من لم يحفظه قلوبُ المشايخ سُلِّط عليه [٣٤] كلبٌ يؤذيه.[٢٣٧] انتهى.

وقال في موضع آخر: «وحُكي أنّ شقيقًا البلخيّ[٢٣٨] وأبا تراب النخشبيّ قدما على أبي يزيد،[٢٣٩] فقدّم السفرة، وشابٌّ يخدم أبا يزيد، فقالا له: كُلْ معنا يا فتى. فقال: أنا صائم. فقال أبو تراب: كلْ ولك أجر صوم شهر. فأبى. فقال شقيق: كلْ ولك أجر صوم سنة. فأبى. فقال أبو يزيد: دعوا من سقط من عين الله. فأخذ ذلك الشابّ في السرقة بعده بسنة، وقُطعتْ يده».[٢٤٠] انتهى. وذلك لتوقّف الولاية على السلوك والمعاملة، وإن وُجِدَتْ تارة في ابتداء الوهلة من قوّة الجذبة التي هي النقلة من حال الغفلة والغيبة إلى الحضرة. والثاني مراد، والأوّل مريد. وإليهما يومئ قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ﴾.[٢٤١] بخلاف النبوّة، فإنّها أمر موهبيّ لا حكم كسبيّ، كما أشار إليه سبحانه وتعالى[٢٤٢] بقوله عزّ من قائل: ﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ﴾،[٢٤٣] ومحضُ عناية، ومجرّد فضل ورحمة، ﴿وَٱللَّهُ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ﴾.[٢٤٤]

نعم، لو اطَّلَعْنا عيانًا – ممّن علمنا بدايته وحسن سيرته ومحافظته على الشريعة – إلى

(٢٣٦) أبو محمّد جعفر بن محمّد بن نُصَير الخُلْديّ الخوّاص (ت. ٣٤٨هـ)، شيخ الصوفيّة ببغداد في أيّامه ومن أعلمهم بالحديث، صحب الجُنَيد وانتمى إليه.

(٢٣٧) القشيريّ، *الرسالة القشيريّة*، ص ٥٣٩.

(٢٣٨) أبو عليّ شقيق بن إبراهيم بن عليّ الأزديّ البَلْخِيّ (ت. ١٩٤هـ)، زاهد صوفيّ، من مشاهير المشايخ في خراسان.

(٢٣٩) أبو يزيد البِسْطاميّ؛ سبقت ترجمته.

(٢٤٠) القشيريّ، *الرسالة القشيريّة*، ص ٥٣٩.

(٢٤١) سورة الشورى: ١٣.

(٢٤٢) (ت) – سبحانه وتعالى، + قوله تعالى.

(٢٤٣) سورة الحجّ: ٧٥.

(٢٤٤) سورة البقرة: ١٠٥.

نهايته، عند سلوكه إلى الله وفي الله، واستغراقه في بحر التوحيد والعرفان، واضمحلال ذاته، ومحو صفاته بصفات الرحمن، وغيبوبته عن كلِّ ما سواه، بحيث لا يرى في الوجود إلّا الله تعالى، وهو مقام الجمع، والحالة التي يسمّونها الفناء في التوحيد، كما يشير إليه الحديث القدسيّ والكلام الأنسيّ: إنّ العبد لا يزال يتقرَّب إليَّ بالنوافل حتّى أحبّه، فإذا أحببته[٢٤٥] كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به، الحديث،[٢٤٦] على مخالف للشريعة من حلول أو اتّحاد أو غير [٣٥] ذلك، لقصور العبارة عن بيان حاله، وتعذُّر الكشف عنها بمقاله، كما نسب لذينك الإمامين اللذين كلامنا فيهما، لا نرضاه، ولا نقبله منه، بل نجتنبه غاية الاجتناب، ونعرض عنه غايةَ الإعراض. وكلّ صاح يعتقده، أو يقول مثل ذلك، فهو ضالٌّ كافرٌ، يستحقُّ غضب القهّار.[٢٤٧] ومن شكَّ في كفره فهو كافر. ولكن نُسلِّم له ما هو فيه من الأحوال، فلا نجري عليه حكم الجهلة، ولا حكم من ضَلَّ في تيه الإلحاد من البَطَلة؛ لاحتمال أن يكون صدور ذلك منه حالةَ السكر المعنويّ المضاهي للسكر الصوريّ، ولا اعتداد بقول: السكران كالمجنون، (أو زلّة قلم حصل له بعده[٢٤٨] الانتباه، كما هو شأن الملحوظين من أولياء الله تعالى. هذا[٢٤٩] على تقدير صدور ذلك عنه حالة الصحو. كما ذهب إلى ذلك الفاضل عليّ القاري، حيث قال في بعض رسائله: ولا تغتر بكلمات ابن عربيّ وأتباعه التي من شرّاح كلامه في كفريّات مرامه التي من جملتها أنّه سبحانه أوجد الأشياء، وهو عينها).[٢٥٠]

(٢٤٥) في هامش (د) ورد: أي: أظهرت له حبّي؛ فإنّ حبّه سبحانه قديم، غير حادث بعد تقرُّب عبده. وهذه العبارة وردت في متن (ت).

(٢٤٦) هذا الحديث جزءٌ من حديث «من عادى لي وليًّا فقد آذنته بالحرب» الذي مرّ سابقًا ص [٤] و[٢٦]. ونصّه الآتي: «(...) وما يزال عبدي يتقرَّب إليَّ بالنّوافل حتّى أحبّه، فإذا أحببته: كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينّه، ولئن استعاذني لأعيذنّه، وما ترددّت عن شيء أنا فاعله ترددّي عن نفس المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مساءته». انظر: *صحيح البخاريّ*، ج ٨، ص ١٠٥.

(٢٤٧) (ت) الجبار. وكتب على الهامش: القهار بدل.

(٢٤٨) (د) بعد.

(٢٤٩) (ت) – هذا.

(٢٥٠) هذه العبارات كُتبت في حاشية (د) وبعدها منه منه. وجملة: «كما ذهب إلى ذلك الفاضل عليّ القاري، حيث قال في بعض رسائله: ولا تغتر بكلمات ابن عربيّ وأتباعه التي من شرّاح كلامه في كفريّات مرامه التي من جملتها أنّه سبحانه أوجد الأشياء، وهو عينها» لم ترد في (ت).

[معنى الفناء]

هذا، قال الإمام الشعرانيّ في رسالة سمّاها *أجوبة أسئلة الجانّ*:

> وسألوني عن الاتّحاد، هل المراد به أن يرجع صورة العبد عين الحقّ، أم المراد غير ذلك؟ فأجبتهم: المراد بالاتّحاد في لسان القوم فناء مراد العبد في مراد الحقّ، فلا يصير للعبد مراد مع الحقّ أبدًا، إلّا بحكم التبعيّة. وأمّا عند أهل الاتّحاد[٢٥١] فهو زعمهم أنّ ذاتهم صارت ذات الله، وهذا كفر عظيم. وعبّاد الأوثان أخفُّ من هؤلاء، قالوا: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾[٢٥٢] فما تجرّأوا أن يجعلوها آلهة مستقلّة، وهؤلاء ادَّعوا أنّهم صاروا عين الحقّ. وهذا زورٌ وبهتان. وإذا كان سيّد المرسلين لم يقع له هذا الاتّحاد في أعلى مراتب قربه ليلة الإسراء، وإنّما كان من حضرة الحقّ الخاصّة، كقاب قوسين، فلم تتّصل دائرة خلقه بدائرة حقّه، فكيف يدّعي هذا الاتّحاد شخصٌ مطرود في حضرة إبليس، لعنه الله تعالى. والحكمة في ذلك أنّ الحقّ لا يتجلّى للأوهام إلّا في وجه العلوّ، مع أنّ المؤمن الكامل يعتقد أنّ الحقّ ليس في جهة، ومع ذلك يغلب على حكم إيمانه، حتّى وقع لجماعة من أهل الكشف، وقالوا: إنّ الحقّ في صورة واحدة، تعالى الله عن ذلك.[٢٥٣] انتهى.

وأقول: [٣٦] اعلم أنّهم قالوا: إنّ السالك يرى لنفسه في أوّل الأمر تأثيرًا واختيارًا، ثمّ يرى لنفسه أثرًا مستندًا إلى المؤثِّر الحقيقيّ، ثمّ يرى أنّ الإرادة إرادة الله تعالى، وهذا هو مقام الفناء بالله تعالى.

قال الفاضل الكامل الشهير بعليّ القاري، عليه رحمة الملك الباري، في بعض رسائله:

> اعلم أنّ الله سبحانه وتعالى أقرب إلى المريد من حبل الوريد، وفي كمال نوره اختفى جمال ظهوره، أو لضعف بصرك ونقصان نظرك وظلمة قلبك

(٢٥١) في نصّ الشعرانيّ المطبوع – وسيرد توثيقه في نهاية الاقتباس – ورد: الإلحاد، وهو أنسب للسياق.
(٢٥٢) سورة الزمر: ٣.
(٢٥٣) عبد الوهّاب الشعرانيّ، *كشف الحجاب والران عن وجه أسئلة الجان* (القاهرة: مطبعة حجازي، د.ت)، ص ٨، بتصرّف مع زيادات.

عن مشاهدة ربّك. فعليك بالتخلية والتحلية، لتصير مرآة قلبك قابلة للتجلية؛ فإنّ مثال الطالب والمطلوب في نظر أرباب القلوب كصورة حاضرة مع مرآةٍ حاصرة، فمتى صقلتها تجلّت فيها[٢٥٤] الصورة بارتجال الصورة إلى المرآة بالضرورة، لا بارتحال الصورة إلى المرآة، ولا بحركة المرآة إلى الصورة في الهيئات، ولكن بزوال الحجاب وارتفاع النقاب يتجلّى ربُّ الأرباب. ولكن هنا مَزَلَّة الأقدام لسالكي هذا المقام؛ فإنّه إذا ظهر فيك تجلّية، ولم يثبت قدمك فيه، بادرت إلى الوسواس الشيطانيّ، وقلت: أنا الحقُّ سبحاني. وتدرّع اللاهوت بالناسوت، وغفلت عن مقام جمع الجمع الفارق بين الربِّ والطاغوت، إلّا أن يثبّتك الله بالعلم القرآنيّ والفهم الفرقانيّ، فتعرف أنّ الصورة ليست في المرآة بالضرورة، وإنّما تجلّت لها، وما حَلَّت فيها. ولو حلَّت بالفرض والتقدير لما تُصوِّر أن يتجلّى واحد في الجمع الكثير في آنٍ واحد وزمان متّحد، بل كان إذا حلّت في مرآة وظهرت لها ارتحلت عن غيرها. وهيهات هيهات عن هذه الوقعة، فإنّه يتجلّى لجملة العارفين دفعةً، ثمّ يتجلّى في بعض المرائي أصحّ وأتمّ وأوضح، وذلك بحسب قابليّة المجالي، وصقالة المرائي، وصحّة استدارتها، [٣٧] وشدّة استقامتها. ولعلّه، عليه الصلاة والسلام، قال في هذا المقام: إنّ الله يتجلّى للناس عامّةً، ولأبي بكر خاصّة.[٢٥٥] فالحذر الحذر ممّا يظهر على خلاف ذلك الكدر.[٢٥٦] انتهى.

(٢٥٤) ورد في (د)، (ت) فيه.

(٢٥٥) انظر: *الكامل في ضعفاء الرجال* لأبي أحمد بن عديّ الجرجانيّ، ج ٦، ص ٣٧٠؛ *والإبانة الكبرى* لابن بطّة العكبريّ، تحقيق حمد بن عبد المحسن التويجريّ (الرياض: دار الراية للنشر والتوزيع، ١٤٢٦هـ)، ج ٩، ص ٧٢٢؛ *والمستدرك على الصحيحين* للحاكم النيسابوريّ، ج ٣، ص ٨٣؛ وذخيرة *الحفّاظ* لابن القيسرانيّ، تحقيق عبد الرحمن الفريوائي (الرياض: دار السلف، ١٤١٦/ ١٩٩٦)، ج ٢، ص ٦٠٤، باختلاف يسير.

(٢٥٦) ملّا عليّ القاري، هذا الاقتباس لم نجده. وهذه الفكرة، - بالكثير من عباراتها - اقتبسها القاري من الإمام الغزالي الذي يقول في *جواهر القرآن*: «بل مثل الطالب والمطلوب مثل صورة حاضرة مع مرآة، ولكن ليست تتجلّى في المرآة لصدأ في وجه المرآة، فمتى صقلتها تجلّت فيه الصورة، لا بارتحال الصورة إلى المرآة، ولا بحركة المرآة إلى الصورة، ولكن بزوال الحجاب، فإنّ الله تعالى متجلّ بذاته لا يختفي، إذ يستحيل اختفاء النور، وبالنور يظهر كلّ خفاء، الله نور السموات والأرض، وإنّما خفاء النور عن الحدقة لأحد أمرين: إمّا لكدورة في الحدقة، وإمّا لضعف فيها، إذ لا تطيق=

وتوضيحه غاية إيضاح،

> أنّ من جاوز الأحوال والمقامات غاب عن فهمه ما سوى الله، بل غاب عن نفسه وأحوالها، وكان كالمدهوش الغائص في بحر الوجود والواقع عن عين الشهود، الذي يضاهي حال النسوة اللاتي قطّعن أيديَهنّ في مشاهدة جمال يوسف حين برز لهنَّ، حتّى بُـهتن وسقط إحساسهنّ. وعن مثل هذه الحالة تعبّر الصوفيّة السادة بأنّه فني عن نفسه. ومهما فني عن نفسه فهو عن غيره أفنى، فكأنّه فني عن كلِّ شيء، إلّا عن الواحد المشهود، وفني أيضًا عن الشهود؛ فإنّ القلب إن التفت إلى الشهود وإلى نفسه بأنّه مشاهَد، فقد غفل عن الشهود؛ فالمستغرِق(٢٥٧) بالمرئيّ لا التفات له في حال استغراقه إلى رؤيته وإلى عينه التي بها رؤيته، وإلى قلبه الذي به لذّته. فالسكران لا خبر له من سكره، والمتلذِّذ لا خبر له من التذاذه، وإنّما خبره من الملتذّ به. ومثاله العلم بالشيء، فإنّه مغاير للعلم بالعلم بذلك الشيء. فالعالم بالشيء مهما ورد عليه العلم بالعلم بالشيء، كان مُعْرِضًا عن الشيء.(٢٥٨) قال الإمام حجّة

=احتمال النور العظيم الباهر، كما لا يطيق نور الشمس أبصار الخفافيش، فما عليك إلّا أن تنقّي عن عين القلب كدورته، وتقوّي حدقته، فإذا هو فيه كالصورة في المرآة، حتّى إذا غافصك في تجلّيه فيها بادرت وقلت إنّه فيه، وقد تدرّع باللّاهوت ناسوتيّ، إلى أن يثبّتك الله بالقول الثابت، فتعرف أنّ الصورة ليست في المرآة بل تجلّت لها، ولو حلّت فيها لما تصوّر أن تتجلّى صورة واحدة بمرايا كثيرة في حالة واحدة، بل كانت إذا حلّت في مرآة ارتحلت عن غيرها، وهيهات فإنّه يتجلّى لجملة من العارفين دفعة واحدة، نعم يتجلّى في بعض المرايا أصحّ وأظهر وأقوم وأوضح، وفي بعضها أخفى وأميل إلى الاعوجاج عن الاستقامة، وذلك بحسب صفاء المرآة وصقالتها وصحّة استدارتها، واستقامة بسط وجهها، فلذلك قال ﷺ: إنّ الله تعالى يتجلّى للناس عامّة ولأبي بكر خاصّة». أبو حامد محمّد الغزالي، *جواهر القرآن* (القاهرة: مطبعة كردستان، ١٣٢٩هـ)، ص ١٥-١٦.

(٢٥٧) ورد في نصّ ملّا عليّ القاري المطبوع: فالمستهتر. وذُكر في هامش النصّ أنّ قراءة إحدى نسخ التحقيق: فالمستتر، والمستهتر موافقة لقراءة *الإحياء* للغزالي، انظر: أبو حامد محمّد الغزالي، *إحياء علوم الدين ومعه المغني عن حمل الأسفار في الأسفار* (بيروت: دار ابن حزم، ٢٠٠٥)، ص ٧٦٤. «آداب السماع، الباب الثاني آثار السماع وآدابه، الحالة الرابعة»، ص ٧٦٤.

(٢٥٨) وهذا التوضيح بمجمله من *إحياء علوم الدين*، ص ٧٦٤. وربّما نقله الدملوجيّ من رسالة *فتح الأسماع في شرح السماع* لملّا عليّ القاري، *مجموع رسائل ملّا عليّ القاري*، ج ٣، ص ١٧٢، فقد ورد اقتباس آخر منها في هذه الرسالة.

الإسلام:[٢٥٩] ومثل هذه الحالة قد تطرأ في حقّ المخلوقين، وتطرأ أيضًا في حقّ الخالق، ولكنّها في الغالب تكون كالبرق الخاطف الذي لا يثبت ولا يدوم. فإن دام لم تُطقه البشريّة، وهذه درجة الصدّيقين في الفهم، وهي أعلى الدرجات. إلى أن قال: وهذه مرتبة من خاض لجّة الحقائق بعد قطع العلائق والعوائق، وعبر ساحل الأحوال والأعمال، واتّحدَ بصفاء التوحيد، وتجرّد بسرّ التفريد،[٢٦٠] ووصل إلى مقام [٣٨] الاختصاص فلم يبقَ فيه شيءٌ أصلًا، بل خمدت بالكلّيّة بشريّته، ونُفي التفاته إلى صفات البشريّة بكلّيّته. ولست أعني بفنائه فناء جسده، بل فناء قلبه في مشاهدة ربّه بسرّ الروح الذي هو من أمر الله بنسبة خفيّة عرفها من عرفها، وجهلها من جهلها. ومثاله المرآة المَجْلِيَّة، إذ ليس لها لون في نفسها، بل لونها لون الحاضر فيها. وإلى هذا المعنى الخفيّ[٢٦١] يشير الحديث: المؤمن مرآة المؤمن،[٢٦٢] أي مظهر المؤمن الحقيقيّ عند تجلّياته سبحانه، بعد تصفية مرآة قلبه عن شهواته.[٢٦٣] انتهى.[٢٦٤]

وحاشى السادة الصوفيّة أن يقصدوا بفناء العبد في ربّه أن يكون العبد عين ربّه؛ لأنّ هذا عين الخطأ في نظر العرفان؛ فإنّ الـمُوجِد قديم، والـمُوجَد حادث، فكيف يُتَصَوَّر أن يكون المخلوق عين الخالق، ويستويا في مراتب الحقائق. وقد ابتُلِيَ طائفة من الإلحاديّة والاتّحاديّة في هذه البليّة. وقد أوضح هذه القضيّة الفاضل الشهير بعليّ القاري في رسالة سمّاها بالمرتبة الشهوديّة في المنزلة الوجوديّة،[٢٦٥] من أراد الاطِّلاع عليها، فليرجعْ إليها.

(٢٥٩) حاشية في النسختين مفادها: أراد به الإمام الغزّالي، منه.

(٢٦٠) (د) المتغرّب. وما أثبتناه من (ت).

(٢٦١) (ت) – الخفي.

(٢٦٢) انظر: *مصنّف ابن أبي شيبة*، ج ٥، ص ٢٢٩؛ *وسنن أبي داود*، ج ٧، ص ٢٧٨–٢٧٩؛ *وسنن الترمذيّ*، ج ٣، ص ٣٩٠؛ *ومسند البزّار*، ج ١٢، ص ٣٢٧ وج ١٤، ص ٣٨٥؛ *ومسند الشهاب القضاعيّ*، ج ١، ص ١٠٥ و١٠٦، برواياتٍ مُختلفة.

(٢٦٣) الغزالي، *إحياء علوم الدين*، ص ٧٦٤، مع بعض التصرّف والاختصار.

(٢٦٤) ملّا عليّ القاري، *مجموع رسائل ملّا عليّ القاري*، *رسالة فتح الأسماع في شرح السماع*، ج ٣، ص ١٧٢–١٧٤.

(٢٦٥) يقول ملّا عليّ القاري في رسالة *فتح الأسماع في شرح السماع*: «ومن هنا غلط الوجوديّة من ابن عربيّ وأتباعه من جهلة الصوفيّة حيث أخطؤوا عن جادّة توحيد طريقة الشهوديّة، ولم يفرّقوا بين=

وقد استشكل في الحديث الشريف بأنّه كيف يكون الباري جلَّ وعلا سمعَ العبد وبصره... إلخ.[٢٦٦] وأجيب عنه بأجوبة، منها: أنّه ورد على سبيل التمثيل، والمعنى: كنت كسمعه وبصره... إلخ، في إتيان أمري، فهو يحبّ طاعتي ويؤثر خدمتي، كما يحبّ هذه الجوارح. ومنها: أنّ المعنى أنّ كلّيّته مشغولة فيَّ، فلا يُصغي إلّا إلى ما يرضيني، ولا يرى ببصره إلّا ما أمرته به. ومنها: أنّ المعنى: كنت له في النصرة كسمعه وبصره ويده ورجله في المعاونة. ومنها: أنّه على حذف مضاف، والمعنى: كنت حافظ سمعه الذي يسمع به، فلا يسمع إلّا ما يحلّ سماعه، وحافظ بصره كذلك، قاله الفاكهانيّ.[٢٦٧] (أقول: وبمعناه ما قيل: أي كنت حافظ أعضائه وحاميَ أجزائه، أن تتحرَّك بغير رضائي وأن تسكن إلى غير قضائي).[٢٦٨] قال: ويحتمل معنًى آخرَ أدقّ من الذي قبله، وهو أن يكون مسموعه؛ لأنّ المصدر قد جاء بمعنى المفعول، مثل: فلان أملي، بمعنى مأمولي. والمعنى أنّه لا يسمع إلّا ذكري، ولا يلتذُّ إلّا بتلاوة كتابي، ولا يأمن[٢٦٩] إلّا بمناجاتي، ولا ينظر إلّا في عجائب ملكوتي، ولا يمدّ يَده إلّا بما فيه رضائي، ورجله كذلك.

> وقال غيره: اتّفق العلماء ممّن يُقتدى بقولهم[٢٧٠] على أنّ هذا مجاز وكناية عن نصرة العبد [٣٩] وتأييده وإعانته، حتّى كأنّه، سبحانه وتعالى، تنزّل عنده منزلة الآلات التي يستعين بها، ولهذا وقع في رواية: فبي يسمع، وبي يبصر، وبي يبطش، وبي يمشي. قال الخطّابيّ:[٢٧١] عبّر عن سرعة إجابة الدعاء

=المعيّة والعينيّة، كما أوضحت هذه المسألة في رسالة مستقلّة»، ج ٣، ص ١٧٥. ورسالة ملّا عليّ القاري بعنوان: *مرتبة الوجود ومنزلة الشهود* مطبوعة في مجموع رسائل ملّا عليّ القاري، المجلّد السادس. وكانت قد نُشرت سابقًا بطبعة حجريّة، وكذلك نُشرت في دار المأمون للتراث بدمشق سنة ١٩٩٥، بعنوان: *الردّ على القائلين بوحدة الوجود*. والغريب كيف يحيل الدملوجيّ إلى رسالة كُتبت في تكفير ابن عربيّ وابن الفارض، فيبدو أنّه لم يطّلع عليها.

(٢٦٦) مرّ سابقًا ص [٣٤].

(٢٦٧) أبو حفص تاج الدين عمر بن عليّ اللخمِيّ الإسكندريّ الفاكِهانيّ (ت. ٧٣٤هـ)، عالم بالنحو، له اشتغال بالفقه.

(٢٦٨) هذه العبارة مكتوبة في هامش (د).

(٢٦٩) (ت) يأتمن.

(٢٧٠) (د) بقوله.

(٢٧١) (ت) الخطاب. أبو سليمان حَمْد بن محمّد بن إبراهيم بن خَطّاب البُسْتيّ (ت. ٣٨٨هـ)، أديب وفقيه ومحدّث، له تصانيف كثيرة.

والمنجح في الطلب، وذلك أنّ مساعي الإنسان كلّها إنّما تكون بهذه الجوارح المذكورة.[٢٧٢] انتهى.

(أقول: وههنا معنى أدقّ من الكلّ، وهو أنّه يظهر للعبد في هذا المقام ما يتمّ به المرام، وهو أنّه يشاهد أنّ قوّة سمعه وبصره ولسانه وسائر أركانه، إنّما هو من آثار قدرة ربّه، وقوّته[٢٧٣] عزّ من شأنه. وليس المراد منه الحلول والاتّحاد والاتّصال على ما توهّم أهل الضلال. قال في الشفاء: لا ينبغي أن يُفهم من هذا الحديث سوى التجرّد لله، والانقطاع لله[٢٧٤]، والإعراض عن غير الله، وصفاء القلب لله تعالى، وإخلاص الحركات لله تعالى. انتهى». ولـمّا سمع الشبليّ، رحمه الله تعالى، قوله تعالى: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنۡيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۚ﴾[٢٧٥] قال[٢٧٦]: فأين من يريد الله تعالى؟ وأجيب عنه بلسان العبارة: إنّ من يريد الآخرة هو ممّن يريد الله تعالى، لقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۖ﴾[٢٧٧]. وبيان الإشارة: كأنّ سبحانه يقول: من يريد الله[٢٧٨] فهو ليس منكم، بل منّا في دنياه وعقباه، ومستغرق فينا في تمام الإحسان المعبَّر عنه بأن تعبد الله تعالى كأنّك تراه، مشتغلًا بمعناه معرضًا عمّا سواه، فانيًا عن غيرنا، باقيًا بنا، لا تنظر إلى دنيا ولا إلى آخرة. وهذا معنى قول بعضهم[٢٧٩] الدنيا حرامٌ على أهل الآخرة، والآخرة حرامٌ على أهل الدنيا، وهما حرامان على أهل الله تعالى، وهذا مجمل[٢٨٠] قوله عليه الصلاة والسلام: أكثر أهل الجنّة البُله).[٢٨١]

وقال الإمام الشعرانيّ في رسالته في *أسئلة الجانّ*:

(٢٧٢) ابن حجر العسقلانيّ، *فتح الباري*، ج ١١، ص ٣٥١-٣٥٢، كتاب الرقاق، حديث رقم ٦٥٠٢، ببعض التصرّف. وهذا الاقتباس مكرَّر في عدد من المصادر منها: النابلسيّ، *الحديقة الندّية*، ج ١، ص ١٢٧. وورد في *شرح العلّامة الزرقانيّ على المواهب اللدنيّة بالمنح المحمّديّة*، ضبط محمّد عبد العزيز خالد (بيروت: دار الكتب العلميّة، ١٩٩٦)، ج ٩، ص ١٠٦-١٠٨.

(٢٧٣) (ت) - وقوّته.

(٢٧٤) (ت) إلى الله.

(٢٧٥) سورة آل عمران: ١٥٢.

(٢٧٦) (د) - قال، + سمع قال له.

(٢٧٧) سورة الأنفال: ٦٧.

(٢٧٨) (ت) يقول: إن من يريد الآخرة.

(٢٧٩) (ت) - قول بعضهم، + قولهم.

(٢٨٠) (ت) محمل.

(٢٨١) هذه الفقرة، بدءًا من: «أقول: وههنا معنى أدقّ» وردت في هامش (د)، وهي في متن (ت).

وسألوني عن معنى قوله، ﷺ: كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها،[٢٨٢] فأجبتهم بأنّ معناه: إنّي أفعل له ما يريد بجميع قواه، فعبَّر عن إنشاء المعاني القائمة بقوى الأعضاء بنفسه تعالى؛ لأنّه هو الفاعل لها، الموجِد لها في العبد، فكأنّها[٢٨٣] هو تعالى، وليست[٢٨٤] هي هو. والحقّ تعالى له الفعل بلا آلة والفعل بالآلة، مثل قوله تعالى: ﴿قَٰتِلُوهُمۡ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ بِأَيۡدِيكُمۡ﴾.[٢٨٥] ومثله قوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيۡتَ إِذۡ رَمَيۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾[٢٨٦].[٢٨٧] انتهى.

وأيضًا من شأن أولياء الله تعالى الاهتمام، وحسن الإخاء، والفتوّة، أي المروءة. قال الإمام القشيريّ في رسالته: قيل تزوَّج رجل بامرأة، وقبل الدخول ظهر بالمرأة الجدريّ، فعميت إحدى عينيها، فقال الرجل: اشتكت عيني. ثمّ قال: عميت. فَزُفَّت إليه المرأة، ثمّ ماتت بعد عشرين سنة. ففتح الرجل عينه. فقيل له في ذلك. فقال: لم أعمَ، ولكن تعاميت، حذار أن تحزن. فقيل له: سبقت الفتيان.[٢٨٨]

وقيل إنّ بعض الشطّار طلب من نوح العيَّار النيسابوريّ[٢٨٩] تسليم غلام كان يخدمه إلى السلطان، فأبى، فضُرب ألف سوط، فلم يسلّمه. فاتّفق أنّه احتلم تلك الليلة، وكان بردٌ شديد. فلمّا أصبح اغتسل [٤٠] بالماء البارد. فقيل له: خاطرت بنفسك. فقال: استحيت من الله تعالى أن أصبر على ضرب ألف سوط لأجل مخلوق، ولا أصبر على مقاساة البرد، لاغتسالٍ لأجله.[٢٩٠]

(٢٨٢) مرّ سابقًا ص [٣٤].
(٢٨٣) (ت) فكأنه.
(٢٨٤) (ت) وليس.
(٢٨٥) سورة التوبة: ١٤.
(٢٨٦) سورة الأنفال: ١٧.
(٢٨٧) الشعرانيّ، *كشف الحجاب والران عن وجه أسئلة الجان*، ص ١١٠-١١٢.
(٢٨٨) القشيريّ، *الرسالة القشيريّة*، ص ٣٩٢.
(٢٨٩) نوح العَيّار النيسابوريّ، أحد المعروفين بالفتوّة، كان على رأس الشُّطّار بنيسابور. لم نهتدِ إلى مزيدٍ عن سيرته.
(٢٩٠) القشيريّ، *الرسالة القشيريّة*، ص ٣٩٣.

وقيل إنّ رجلًا نام بالمدينة من الحاجّ، فتوهَّم أنّ هميانه[٢٩١] سُرِق. فخرج، فرأى جعفر الصادق،[٢٩٢] فتعلَّق به وقال: أخذت هميانى. فقال: أيش كان فيه؟ فقال: ألف دينار. فأدخله داره، ووزن له ألف دينار. فرجع الرجل إلى منزله، ودخل بيته، فرأى هميانه في بيته، وكان قد توهَّم أنّه قد سُرِق؛ فخرج إلى جعفر معتذرًا، وردّ عليه الدنانير. فأبى أن يقبل. فقال: شيءٌ أخرجتُه من يدي لا أستردّه. فقال الرجل: من هذا؟ فقيل: جعفر بن محمّد الصادق.[٢٩٣]

وقيل: سأل شقيق البلخيّ جعفر بن محمّد الصادق عن الفتوّة، فقال: ما تقول أنت؟ فقال شقيق: إن أُعطينا شكرنا، وإن مُنِعْنا صبرنا. فقال جعفر: الكلاب عندنا بالمدينة كذلك تفعل. فقال شقيق: يا بن بنت رسول الله، ما الفتوّة عندكم؟ فقال: إن أُعطينا آثرنا، وإن مُنِعْنا شكرنا.[٢٩٤]

وقال المرتعش:[٢٩٥] دخلت مع أبي حفص[٢٩٦] على مريض نعوده، ونحن جماعة، فقال للمريض: تحبّ أن تبرأ؟ قال: نعم. فقال لأصحابه تحمَّلوا عنه.[٢٩٧] فقام العليل وخرج معنا، وأصبحنا كلّنا أصحاب فراش[٢٩٨] نُعاد.[٢٩٩]

وكان إبراهيم بن أدهم يعمل في الحصاد وحفظ البساتين وغيره، ويُنْفِق على أصحابه. وقيل: كان مع جماعة من أصحابه، فكان يعمل بالنهار، ويُنْفِق عليهم، ويجتمعون بالليل في موضع، وهم صيام. وكان يبطئ في الرجوع من العمل. فقالوا ليلةً:[٣٠٠] تعالوا نأكل فطورنا

(٢٩١) وهو كيسٌ للنَّفقة يُشَدُّ في الوسط.

(٢٩٢) أبو عبد الله جعفر بن محمّد الباقر بن عليّ زين العابدين بن الحُسين الهاشميّ القُرَشيّ المدنيّ، الملقَّب بالصادق (ت. ١٤٨هـ)، سادس الأئمّة الاثني عشر عند الإماميّة، من كبار التابعين.

(٢٩٣) القشيريّ، *الرسالة القشيريّة*، ص ٣٩٤.

(٢٩٤) القشيريّ، *الرسالة القشيريّة*، ص ٣٩٤.

(٢٩٥) أبو محمّد عبد الله بن محمّد المرتعش الزّاهد (ت. ٣٢٨هـ)، من نيسابور، أقام ببغداد وصار أحد مشايخ العراق، صحب أبا حفص الحدّاد والجُنَيد وغيرهما.

(٢٩٦) أبو حفص عمرو بن سَلْم، وقيل عمرو بن سَلَمة أو عمر بن سَلْم أو عمر بن سالم، الحدّاد النيسابوريّ الزاهد (ت. ٢٦٤هـ)، شيخ الصوفيّة بخراسان.

(٢٩٧) أي تحمّلوا عنه مَرَضه، إظهارًا لمروءتهم، بقبولهم أن يصابوا بالمرض بدل المريض.

(٢٩٨) (ت) فُرُش.

(٢٩٩) القشيريّ، *الرسالة القشيريّة*، ص ٣٩٥.

(٣٠٠) (ت) الليلة.

دونه، حتّى يعود بعد هذا أسرع. فأفطروا، وناموا. فلمّا رجع إبراهيم، وجدهم نيامًا، [٤١] فقال مساكين، لعلّهم لم يكن لهم طعام. فعمد إلى شيءٍ من الدقيق كان هناك، فعجنه، وأوقد[٣٠١] النار، فطرح الملَّة، فانتبهوا، وهو ينفخ في النار، واضعًا محاسنه على التراب. فقالوا له: ما تفعل في ذلك، فقال: قلت لعلّكم لم تجدوا فطورًا، فنمتم، فأحببتُ أن تستيقظوا، والملَّة قد أدركت. فقال بعضهم لبعض: أبصروا أيش عملنا، وما الذي يعاملنا به.[٣٠٢] انتهى.

فالله[٣٠٣] تعالى يُغني بهم إذا شهدوا، ويتوب[٣٠٤] عنهم إذا فقدوا. فلذلك قيل:

الوليُّ إذا أراد أغنى. وقد استقرّ صحيحًا أنّه ما خالط أحدٌ وليًّا، معتقدًا به، إلّا نفعه الله تعالى منه بنيّته على قدر همّته، كما قيل: [من الطويل]

عَلــى قَــدْرِ أَهْــلِ العَــزْمِ تأتــي العَزائِــمُ

بل رؤيتهم تزيد في نور المعرفة. قال الشيخ أبو العبّاس الحضرميّ،[٣٠٥] رحمه الله تعالى، في كتابه *صدور المراتب*: فهنيئًا مريئًا لمن ذاق، أو ذاق بعض ما[٣٠٦] ذاق أو رأى من ذاق. فقد قيل: المطر قريب عهد بربّه؛ فَيُسْتَحَبُّ البروز إليه والتَبَرُّكُ به عند نزوله. هكذا ذكره الشارعُ، ﷺ،[٣٠٧] وهو مطرٌ من السحاب، فما ظنُّك بالمؤمن العارف بالله تعالى؟! فمن الأحرى والأولى أن يكون النظر إلى العارف بالله تعالى والسائر إليه أقوى بالتأثير، وفيه سعادة الدنيا والآخرة عند مصادفة المحلّ والتوفيق».[٣٠٨] انتهى.

(٣٠١) في الأصل: وأوقدر، توَهُّمًا لكلمة قدر.
(٣٠٢) القشيريّ، *الرسالة القشيريّة*، ص ٤٨٨.
(٣٠٣) (ت) قال الله.
(٣٠٤) (ت) وينوب.
(٣٠٥) أبو العبّاس أحمد بن عُقْبة الحضرميّ (ت. ٨٩٥هـ)، شيخ صوفيّ زاهد، من العلماء.
(٣٠٦) (ت) من.
(٣٠٧) انظر الحديث في: *مصنّف ابن أبي شيبة*، ج ٥، ص ٢٨٩؛ و*مسند أحمد*، ج ١٩، ص ٣٦٤ وج ٢١، ص ٣٢٤؛ و*صحيح مسلم*، ج ٢، ص ٦١٥؛ و*سنن أبي داود*، ج ٧، ص ٤٢٨-٤٢٩؛ و*السنن الكبرى* للنسائيّ، ج ٢، ص ٣٢٨.
(٣٠٨) زرّوق، *شرح الحكم العطائية*، ص ١٩٢.

قال العارف أبو العبّاس أحمد الفاسيّ (شارح الحكم لابن عطاء الله):[٣٠٩] «وممّا[٣١٠] يَدُلُّ على أنَّ رؤية العارف تزيد في نور المعرفة وغيرها قولُ أنسٍ، رضي الله عنه: ما نفضنا التراب من أيدينا في دفن رسول الله ﷺ حتّى وجدنا البغض[٣١١] في قلوبنا»، الحديث.[٣١٢] انتهى.

فالحذر كلّ الحذر من الاعتراض على القوم العارفين بالله تعالى، السالمين من كلّ محذور ولوم. بل كلّ[٣١٣] شيخ سالك طريقهم – مع علمك منه رؤيةً[٣١٤] [٤٢] أو نقلًا، بإحاطته بالعلوم الشرعيّة والأحاديث النبويّة، مع الاستقامة، حيث أمكنك أن تُخَرِّجَ أقواله على تأويل صحيح، عرفًا ومقصدًا – مقبولٌ شرعًا. فإنّ المؤمن – كما قيل – يلتمس المعاذير، والمنافق يَتَتَبَّع العيوب، بل يُحْدِثها بغير حقّ. ولا أجهل من مُتَعَصِّب بالباطل أو منكر لما هو به جاهل، فالمبادرة للإنكار كالمبادرة للاغترار. وأولى الناس بالحقّ من وُفِّق إلى بيان التحقيق، وتوقَّف في مواقف الضرر والضيق، إذا كان توقُّفُه للاسترشاد، لا مخالفةً للمراد.

فإن قلت: قد وقع الذمّ من بعض العلماء، كصاحب الطريقة المحمّديّة وغيره.

قلتُ: ذلك الذمّ إنّما هو في حقّ من دنَّس رداء العارفين بالله تعالى بدنس الجهالة، ورضي بالباطل، وهو الجهل، لإيثاره البطالة، بدليل التعبير عنهم حين الذمّ لهم بلفظ المتصوِّفة. فإنّه، كما لا يخفى، من آثر الجهل فرارًا من الكدّ والجهد، وبقي في الطرقات يدّعي سلوك الطريقة، ودخل في الباطل يدَّعي تحقيق الحقيقة، وأنّه تحرَّر عن رقّ الأغلال، وتحقّق بحقائق الوصال، وأنّه قائم بالحقّ تجري عليه أحكامه، وهو محو، وليس لله عليه فيما يؤثره ويأتيه، أو يذره، عتبٌ ولا لوم، وأنّه كُوشف بأسرار الأحديّة، واختطف عنه بالكلّيّة، وزالت عنه أحكام البشريّة، وبقي بعد فنائه بأنوار[٣١٥] الصمديّة، القائل عنه غيره إذا نطق، والنائب عنه

(٣٠٩) هذه العبارة مكتوبة في هامش النسختين وبعدها: منه منه.
(٣١٠) (ت) وما.
(٣١١) (ت) النقص. *سنن الترمذي*، ج ٦، ص ١٣؛ *سنن ابن ماجه*، ج ٢، ص ٥٥٤؛ *مسند أحمد*، ج ٢١، ص ٣٣٠. باختلاف يسير. ويرد فيها جميعًا: حتى أنكرنا قلوبنا.
(٣١٢) زرّوق، *شرح الحكم العطائية*، ص ١٩٢.
(٣١٣) (ت) على.
(٣١٤) (د) كلمة «رؤية» تكرّرت في نهاية هذه الورقة وفي بداية الورقة التالية.
(٣١٥) (ت) بالدار.

سواه فيما تصرَّف، بل صرف.[٣١٦] وارتحل عن قلبه حرمة الشريعة، فَعَدَّ قلّة المبالاة بالدين أوثق ذريعة، ورفض التمييز بين الحلال والحرام، ودان بترك الاحترام وطرح الاحتشام، فاستخفَّ[٣١٧] بأداء العبادات، واستهان بالصوم والصلاة، وركض في ميدان الغفلات، وركن إلى اتّباع [٤٣] الشهوات وقلّة المبالاة بتعاطي المحظورات، والارتفاق بما يأخذه من السوقة والنسوان وأصحاب السلطان.[٣١٨]

[التمسّك بالشريعة]

وأمّا السادة الصوفيّة الخُلَّص، الذين هم صفوة الله من خلقه، العارفون به، الذين جعل الله قلوبهم معادن أسراره، واختصَّهم من بين الأمّة بطوالع أنواره، ووفَّقهم للقيام بآداب العبوديّة، وأشهدهم مجاري أحكام الربوبيّة، فقاموا بأداء ما عليهم من واجبات التكليف، وتحقَّقوا بما مَنَّه سبحانه من التقليب والتصريف، ثمّ رجعوا إلى الله تعالى بصدق الافتقار ونعت الانكسار، ولم يتَّكِلوا على ما حصل منهم من الأعمال، أو صفا لهم من الأحوال، علمًا منهم بأنّه سبحانه وتعالى يفعل ما يريد، ويختار من يشاء من العبيد، لا يحكم عليه خلق، ولا يتوجّه عليه لمخلوق حقّ، ثوابه ابتداء فضل، وعذابه حكم بعدل، وأمره قضاء فصل.[٣١٩] فلسان القلم في حقّه ما قطّ، فلا ينطق بالفحش قطّ.

بل يجب على كلّ مسلم موفَّق تبجيلُ مسلكهم، ومدح سرّهم، والثناء عليهم، والدعاء لهم بالمغفرة والرحمة، فإنّهم كما سادوا في العلم سادوا في العمل، يحافظون على ما قلَّ أو كثر من الآداب والسنن، بحيث ينالهم على فوات الأدب والمندوبات ما ينال غيرهم على فوات السنن والواجبات.

قال (سيّد هذه الطائفة العليّة علمًا وعملًا)[٣٢٠] الجنيد البغداديّ عليه رحمة الملك

(٣١٦) معظم ما ورد في هذه الفقرة مقتبس من *الرسالة القشيريّة*، ص ٢٠. وبقيّة الفقرة مقتبس من الصفحة ١٩ أيضًا.

(٣١٧) (ت) واستخف.

(٣١٨) وهذه الفقرة بمجملها مقتبسة من *الرسالة القشيريّة*، مع بعض التقديم والتأخير. انظر: القشيريّ، *الرسالة القشيريّة*، ص ١٩-٢٠.

(٣١٩) هذه الفقرة مقتبسة بمجملها من *الرسالة القشيريّة*، ص ١٨-١٩.

(٣٢٠) كُتبت في هامش (د). وبعدها صح صح.

الهادي: إنّ العارفين بالله عزَّ وجلَّ أخذوا الأعمال عن الله، وإليه رجعوا فيها. ولو بقيتُ ألفَ عام لم أُنقص من أعمال البرّ ذرّةً، إلّا أن يحال بي دونها.[٣٢١]

وقال يحيى:[٣٢٢] الفوت أشدّ من الموت؛ [٤٤] لأنّ الفوت انقطاع عن الحقّ، والموت انقطاع عن المخلوقين.[٣٢٣]

وقال أبو الحسن عليّ بن إبراهيم الحصريّ:[٣٢٤] الناس يقولون: الحصريّ لا يقول بالنوافل، وعليّ أوراد من حال الشباب لو تركت ركعة لعوتبت.[٣٢٥]

وسُمِعَ أبو عبد الله بن خفيف[٣٢٦] يقول: ضعفت عن القيام في النوافل، فجعلت بدل كلِّ ركعة من أورادي ركعتين، للخبر الصحيح: صلاة القاعد على النصف من صلاة القائم.[٣٢٧]

فهم، رضي الله عنهم، كما قال الله تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾[٣٢٨] لا يحدثون شيئًا إلّا وله مستند[٣٢٩] شرعًا. ألا ترى إلى أبي القاسم الجنيد محمّد، سيّد هذه الطائفة العليّة، كيف امتنع من أكل البطّيخ؛ لأنّه لم يثبت عنده كيفيّة أكله ﷺ، وإن ثبت أصل أكله. وقد سأل حُفّاظ عصره عن كيفيّة أكله له، فقالوا: لم يثبت في ذلك شيء.

وقيل للنصر أبي القاسم إبراهيم بن محمّد:[٣٣٠] [إن بعض الـ] ناس[٣٣١] يجالس النسوان

(٣٢١) القشيريّ، *الرسالة القشيريّة*، ص ٧٩.

(٣٢٢) يحيى بن معاذ الرازيّ؛ سبقت ترجمته.

(٣٢٣) القشيريّ، *الرسالة القشيريّة*، ص ٧٠.

(٣٢٤) أبو الحسن عليّ بن إبراهيم الحُصْريّ (ت. ٣٧١هـ)، البصريّ الأصل، من أعلام التصوّف، كان شيخ العراق في وقته، صحب الشبليّ وغيره.

(٣٢٥) القشيريّ، *الرسالة القشيريّة*، ص ١٢٥.

(٣٢٦) أبو عبد الله محمّد بن خَفيف الضَّبّيّ الشيرازيّ (ت. ٣٧١هـ)، صوفيّ، شافعيّ، كان شيخ إقليم فارس.

(٣٢٧) القشيريّ، *الرسالة القشيريّة*، ص ١٢١. وانظر الحديث في: *صحيح البخاريّ*، ج ٢، ص ٤٧؛ و*سنن ابن ماجه*، ج ٢، ص ٢٨٦ و٢٨٧ و٢٨٨؛ و*سنن أبي داود*، ج ٢، ص ٢٠٦-٢٠٧؛ و*سنن الترمذيّ*، ج ١، ص ٤٨٠؛ و*السنن الكبرى* للنسائيّ، ج ٢، ص ١٤٢ و١٤٣ و١٤٤ و١٤٥ و١٤٦، باختلاف.

(٣٢٨) سورة السجدة: ١٦.

(٣٢٩) (ت) مسنون.

(٣٣٠) أبو القاسم إبراهيم بن محمّد النصراباذيّ الخراسانيّ النيسابوريّ (ت. ٣٦٧هـ)، من أعلام التصوّف، كان عالمًا بالسِّيَر والتاريخ وعلوم التصوّف ورواية الحديث النبويّ، أقام بمكّة مجاورًا ومات بها.

(٣٣١) في (د) ورد فقط: ناس، مع علامة استفهام عندها، وفي (ت) ورد: كان. وما أثبتناه من *الرسالة*=

ويقول: أنا معصوم في رؤيتهنّ. فقال: ما دامت الأشباح باقية، فإنّ الأمر والنهيَ باقٍ، والتحليل والتحريم مخاطب بهما، ولن يجترئ على الشبهات إلّا من هو يعرض للمحرّمات.[٣٣٢]

وقال أيضًا، رحمه الله: أصل التصوّف ملازمة الكتاب والسنّة، وترك الأهواء والبدع، وتعظيم حرمات المشايخ، ورؤية أعذار الخلق، والمداومة على الأوراد، وترك ارتكاب الرخص، والتأويلات.[٣٣٣]

وقال أحمد بن أبي الحواريّ:[٣٣٤] من عمل بلا اتّباع سنّة رسول الله ﷺ، فباطل.[٣٣٥]

وسئل أبو عليّ الروذباريّ[٣٣٦] عمّن سمع الملاهي ويقول: هي لي حلال؛ لأنّي قد وصلت إلى درجةٍ لا يؤثّر فيّ اختلاف الأحوال. فقال: نعم، قد وصل إلى سقر.[٣٣٧]

وقال أبو بكر الطمستانيّ: [٤٥] الطريق واضح، والكتاب والسنّة قائم بين أظهرنا، وفضل الصحابة معلوم لسبقهم إلى الهجرة ولصحبتهم. فمن صحب منّا الكتاب والسنّة، وتغرّب عن نفسه والخلق، وهاجر بقلبه إلى الله[٣٣٨] تعالى، فهو الصادق المصيب.[٣٣٩]

وقال الإمام القشيريّ في رسالته: سمعت محمّد بن عبد الله الصوفيّ[٣٤٠] يقول: سمعت محمّد بن أحمد النجّار[٣٤١] يقول: سمعت الدقّيّ[٣٤٢] يقول: سمعت أبا بكر الزقّاق[٣٤٣] يقول:

=*القشيريّة* توضيحًا للسياق.

(٣٣٢) القشيريّ، *الرسالة القشيريّة*، ص ١٢٥.

(٣٣٣) القشيريّ، *الرسالة القشيريّة*، ص ١٢٥.

(٣٣٤) أبو الحسين أحمد بن أبي الحَواريّ (ت. ٢٣٠هـ)، أحد العلماء الزهّاد المشهورين، من أهل دمشق، صحب أبا سليمان الدارانيّ وغيره.

(٣٣٥) القشيريّ، *الرسالة القشيريّة*، ص ٧٢.

(٣٣٦) أبو عليّ أحمد بن محمّد الرُّوذْباريّ (ت. ٣٢٢هـ)، من كبار الصوفيّة، صحب الجُنَيد والنُّوريّ وغيرهما، له تصانيف في التصوّف.

(٣٣٧) القشيريّ، *الرسالة القشيريّة*، ص ١٠٧.

(٣٣٨) مكرّرة في الأصل.

(٣٣٩) القشيريّ، *الرسالة القشيريّة*، ص ١٢٢.

(٣٤٠) لم نهتدِ إلى ترجمة له.

(٣٤١) لم نهتدِ إلى ترجمة له.

(٣٤٢) أبو بكر محمّد بن داود الدُّقّيّ الدَّيَنَوريّ الزاهد (ت. ٣٦٠هـ)، شيخ الصوفيّة بالشام.

(٣٤٣) أبو بكر أحمد بن نصر الزَّقّاق الكبير، من أكابر مشايخ مصر، كان من أقران الجُنَيد، ت ٢٩١هـ.

كنت مارًّا في تيه بني إسرائيل، فخطر ببالي أنّ علم الحقيقة مباين لعلم الشريعة، فهتف بي هاتفٌ من تحت شجرة: كلّ حقيقة لا يتبعها الشريعة فهي كفر.[٣٤٤]

وقال أيضًا، رحمه الله، في تلك الرسالة: أخبرنا أبو حاتم السجستانيّ،[٣٤٥] قال: أخبرنا أبو نصر السرَّاج[٣٤٦] قال: سمعت طيفور البسطاميّ[٣٤٧] يقول: سمعت المعروف بعَمِيّ البسطاميّ[٣٤٨] يقول: سمعت أبي[٣٤٩] يقول: قال أبو يزيد:[٣٥٠] قم بنا حتّى ننظر إلى هذا الرجل الذي قد شهّر نفسه بالولاية، وكان رجلًا مقصودًا مشهورًا بالزهد، فمضينا. فلمّا خرج من بيته ودخل المسجد، رمى ببزاقه تجاه القبلة، فانصرف أبو يزيد ولم يسلّم عليه، وقال: هذا غير مأمونٍ على أدبٍ من آداب رسول الله ﷺ، فكيف يكون مأمونًا على ما يدّعيه؟![٣٥١]

وقال أيضًا، رضي الله عنه: لو نظرتم إلى رجلٍ أُعطي من الكرامات حتّى تربَّع في الهواء، فلا تغتروا به، حتّى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهي، وحفظ الحدود، وأداء الشريعة.[٣٥٢]

وقال أبو محمّد سهل بن عبد الله التستريّ، أحد أئمّة القوم: أصولنا ستّةُ أشياء: التَّمَسُّك بكتاب الله سبحانه وتعالى، والاقتداء بسنّة رسول الله ﷺ، وأكل الحلال، وكفُّ الأذى، والاجتناب [٤٦] للآثام، والتوبة.[٣٥٣]

وقال أبو حفص عمر بن سالم الحدّاد، عليه رحمة الملك الجواد: من لم يزن

(٣٤٤) القشيريّ، *الرسالة القشيريّة*، ص ٥٧٧.
(٣٤٥) أبو حاتم السجستانيّ (ت. بين ٢٤٨ و ٢٥٥) من أئمّة القراءة واللغة والنحو في العصر العبّاسيّ.
(٣٤٦) أبو نصر عبد الله بن عليّ السَّرّاج الطوسيّ (ت. ٣٧٨هـ)، زاهد، من مشايخ الصوفيّة، له كتاب *اللمع في التصوّف*.
(٣٤٧) لم نهتدِ إلى ترجمة له.
(٣٤٨) لعلّه أبو عمران موسى بن عيسى بن آدم المعروف بعَمِيّ البِسْطاميّ. لم نهتدِ إلى ترجمة له.
(٣٤٩) لعلّه أبو موسى عيسى بن آدم، ابن أخي أبي يزيد البِسْطاميّ. لم نهتدِ إلى ترجمة له.
(٣٥٠) أبو يزيد البِسْطاميّ؛ سبقت ترجمته.
(٣٥١) القشيريّ، *الرسالة القشيريّة*، ص ٦٣.
(٣٥٢) القشيريّ، *الرسالة القشيريّة*، ص ٦٤.
(٣٥٣) سهل بن عبد الله التستري، *تفسير القرآن العظيم*، (القاهرة: دار الكتب العربية الكبرى، ١٩١١)، ص ٤٣-٤٤.

أفعاله وأحواله في كلّ وقت بالكتاب والسنّة، ولم يتّهم خواطره، فلا تعدُّوه في ديوان الرجال.[٣٥٤]

وقال أبو القاسم الجنيد محمّد سيّد هذه الطائفة العليّة وإمامهم – الذي قال في حقّه وليّ الله الشيخ الإمام العلّامة والحبر الفهَّامة جلال الدين المحلّيّ،[٣٥٥] في شرحه لجمع الجوامع:[٣٥٦] ونرى أنّ طريق الشيخ أبي القاسم الجنيد سيّد الصوفيّة علمًا وعملًا وصحبةً طريق مقوَّم[٣٥٧] خالٍ عن البدع، دائر على التسليم والتفويض والتبرّي من النفس،[٣٥٨] على ما قاله في الخيريّة –:[٣٥٩] الطرق كلّها مسدودة على الخلق، إلّا على من اقتفى أثر الرسول[٣٦٠] ﷺ.[٣٦١]

وقال أيضًا، رحمه الله تعالى: من لم يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث، لا يُقتدى به في هذا الأمر؛ لأنّ علمنا مقيَّدٌ بالكتاب والسنّة.[٣٦٢]

وقال أيضًا، قُدِّس سرُّه: مذهبنا هذا مُقَيَّدٌ بأصول الكتاب والسنّة.[٣٦٣]

وقال أيضًا، رحمه الله تعالى: عملنا هذا مُشَيَّدٌ[٣٦٤] بحديث رسول الله، ﷺ.[٣٦٥]

(٣٥٤) القشيريّ، *الرسالة القشيريّة*، ص ١٢٥.

(٣٥٥) جلال الدين محمّد بن أحمد المحلّيّ الشافعيّ (ت. ٨٦٤هـ)، أصوليّ ومفسّر، مولده ووفاته بالقاهرة.

(٣٥٦) وشرح المحلّيّ عنوانه *البدر اللامع في حلّ جمع الجوامع*، وجمع *الجوامع* كتاب في أصول الفقه لتاج الدين السبكيّ، وكلاهما مطبوع.

(٣٥٧) (ت) القوم. والمطبوع موافق لما أثبتناه في المتن.

(٣٥٨) انظر: جلال الدين المحلّيّ، *البدر الطالع في حلّ جمع الجوامع*، تحقيق أبي الفداء مرتضى الداغستاني (دمشق – بيروت: مؤسّسة الرسالة ناشرون، ٢٠٠٥)، ج ٢، ص ٤٥٢.

(٣٥٩) خير الدين الرمليّ، *الفتاوى الخيريّة لنفع البريّة* (بولاق: المطبعة الميريّة، ط ٢، ١٣٠٠هـ)، ج ٢، ص ١٨٠. وخير الدين الرَّمْليّ هو خير الدين بن أحمد بن عليّ الأيّوبيّ العُلَيميّ الفاروقيّ (ت.١٠٨١هـ)، فقيه ومفسّر ومحدّث، له نظم، أشهر كتبه *الفتاوى الخيريّة*.

(٣٦٠) (ت) – الرسول، + رسول الله.

(٣٦١) خير الدين الرمليّ، *الفتاوى الخيريّة*، ج ٢، ص ١٨٠؛ وورد أيضًا في *الرسالة القشيريّة*، ص ٧٩.

(٣٦٢) القشيريّ، *الرسالة القشيريّة*، ص ٨٠.

(٣٦٣) القشيريّ، *الرسالة القشيريّة*، ص ٨٠.

(٣٦٤) (ت) مقيد. ونصّ *الرسالة القشيريّة* موافق لما أوردناه في المتن.

(٣٦٥) القشيريّ، *الرسالة القشيريّة*، ص ٨٠.

والحاصل، إنّهم مُجمعون على تعظيم الشريعة، متّصفون بسلوك طريق الرياضة، مقيمون على متابعة السنّة، غير مخلّين بشيءٍ من آداب الديانة، متّفقون على أنّ من خلا عن المعاملات والمجاهدات، ولم يبنِ أمره على أساس الورع والتقوى، كان مفتريًا على الله سبحانه وتعالى فيما يدّعيه، مفتونًا، هلك في نفسه، وأهلك من اغترّ به ممّن ركن إلى أباطيله.[٣٦٦]

قلت: وكذلك قال صاحب الخيريّة[٣٦٧] ولا التفات إلى من رماهم في جملة الصوفيّة بالزندقة عند الخليفة السلطان، حتّى أمر بضرب أعناقهم، فأمسكوا، إلّا الجنيد فإنّه تستّر بالفقه، وكان يفتي [٤٧] على مذهب أبي ثور[٣٦٨] شيخه. وبُسِطَ لهم النطع، فتقدّم مِن آخرهم أبو الحسين النوريّ[٣٦٩] للسيّاف، فقال له: لِمَ تقَدَّمت؟ فقال: أوثر أصحابي بحياة ساعة. فبُهت، وأنهى الخبر إلى الخليفة، فردَّهم إلى القاضي، فسأل النوريّ عن مسائل فقهيّة، فأجابه عنها. ثمّ قال: وبعد، فإنّ لله عبادًا، إذا قاموا قاموا بالله، وإذا نطقوا نطقوا بالله، إلى آخر كلامه. فبكى القاضي، وأرسل يقول للخليفة: إن كان هؤلاء زنادقة، فما على وجه الأرض مسلم. فخلَّى سبيلَهم، رحمهم الله تعالى ونفعنا بهم.[٣٧٠] إلى أن قال: وحقيقة ما عليه الصوفيّة، لا ينكرها إلّا كلّ نفس جاهلة غبيّة.

[مسألة الذكر]

قال الفقير المُرتِّبُ لهذه الرسالة: ومن ذلك أورادهم التي يقرؤونها بعد الصلوات على حسب عاداتهم في سلوكهم، فإنّهم – نفعنا الله بهم – أخذوها مِمّا صحّ، على ما روى البيهقيّ

(٣٦٦) القشيريّ، *الرسالة القشيريّة*، ص ١٢٧.

(٣٦٧) وهو كتاب *الفتاوى الخيريّة لنفع البريّة على مذهب الإمام أبي حنيفة* لخير الدين الرمليّ، ج ٢، ص ١٨٠. والرمليّ يقتبس من شرح المحلّيّ على جمع *الجوامع* كما هو موثَّق في نهاية الفقرة. والجملة الأخيرة، أي «وحقيقة ما عليه الصوفيّة، لا ينكرها إلّا كلّ نفس جاهلة غبيّة»، ترد في عدد من المراجع منسوبةً إلى الرمليّ في فتاويه، وهي في: ج ٢، ص ١٨١.

(٣٦٨) أبو ثور إبراهيم بن خالد بن أبي اليمان الكلبيّ البغداديّ (ت. ٢٤٠هـ)، إمام فقيه، صاحب الإمام الشافعيّ، له مصنَّفات كثيرة.

(٣٦٩) أبو الحسين أحمد بن محمّد البَغَويّ النُّوريّ، المعروف بابن البَغَويّ (ت. ٢٩٥هـ)، أحد أعلام التصوّف، خراسانيّ الأصل، بغداديّ المولد والمنشأ، صحب السَّرِيّ السَّقَطيّ، وكان من أقران الجُنَيد.

(٣٧٠) انظر: المحلّيّ، *البدر الطالع*، ج ٢، ص ٤٥٣.

عن أنس رضي الله عنه، أنّ النبيّ، ﷺ، قال: لأَنْ أذكر الله تعالى مع قوم بعد صلاة الفجر إلى طلوع الشمس، أحبُّ إليَّ من الدنيا وما فيها، ولأن أذكر الله تعالى مع قوم بعد صلاة العصر إلى أن تغيب[٣٧١] الشمس، أحبُّ إليّ من الدنيا وما فيها.[٣٧٢] وعلى ما روى أبو ذرّ،[٣٧٣] رضي الله عنه، أنّ رسول الله، ﷺ، قال: لأَنْ أقعد مع قوم يذكرون الله تعالى من صلاة الغداة حتّى تطلع الشمس، أحبُّ إليّ من أن أُعتق أربعة من ولد إسماعيل. ولأن أقعد مع قومٍ يذكرون الله تعالى من صلاة العصر إلى أن تغرب الشمس، أحبُّ إليّ من أن أُعتق أربعة من ولد إسماعيل،[٣٧٤] ورواه أبو يعلى أيضًا، وقال في الموضعين: أربعة من ولد إسماعيل، دية كلّ رجل منهم اثنا عشر ألفًا.[٣٧٥]

فإن قلتَ: أطلق المفاضلة بين ذكر الله تعالى، وبين ما طلعت عليه الشمس، ومن شرط المفاضلة استواء الشيئَين في أصل المعنى، ثمّ يزيد أحدهما [٤٨] على الآخر.

قلتُ: إنّ أفعل قد يراد به أصل الفعل، لا المفاضلة، كقوله تعالى: ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾.[٣٧٦] ولا مفاضلة بين الجنّة والنار. أو الخطاب واقع على ما استقرّ في نفوس أكثر الناس، فإنّهم يعتقدون أنّ الدنيا لا شيءَ مثلها، وأنّها المقصود، فأخبر، ﷺ، بأنّ ذكر الله تعالى مع عباده الصالحين في هذين الوقتين خير ممّا تظنّون أنّه لا شيء أفضل منه. على أنّه يحتمل أن يكون مراده، ﷺ، أنّ ذكر الله تعالى كذلك أحبّ إليّ من أن تكون لي الدنيا وما فيها، وأتصدَّق بها.

والحاصل، إنّ الثواب المرتَّب على هذا الذكر المخصوص المقيّد بالكيفيّة المذكورة أكثر من ثواب التصدّق بجميع الدنيا. أو أن يكون مراده، ﷺ، أنّ هذا الذكر المخصوص

(٣٧١) (ت) تغرب.

(٣٧٢) انظر: *الكامل في ضعفاء الرجال* لأبي أحمد بن عديّ الجرجانيّ، ج ٩، ص ٦١؛ *والجامع لشعب الإيمان* للبيهقيّ، حقّقه وراجع نصوصه وخرّج أحاديثه عبد العليّ عبد الحميد حامد (الرياض: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع - بومباي (الهند): الدار السلفيّة، ١٤٢٣/ ٢٠٠٣)، ج ٢، ص ٨٦؛ وذخيرة *الحفّاظ* لابن القيسرانيّ، ج ٤، ص ١٩٣٠، باختلاف.

(٣٧٣) أبو ذَرّ جُندب بن جُنادة بن سفيان بن عُبيد الغِفاريّ (ت. ٣٢هـ)، صحابيّ مشهور، من كبارهم.

(٣٧٤) انظر: *مسند أحمد*، ج ٣٦، ص ٥٢١-٥٢٢؛ *وسنن أبي داود*، ج ٥، ص ٥٠٧-٥٠٨؛ *والمعجم الأوسط* للطبرانيّ، ج ٦، ص ١٣٧؛ *والجامع لشعب الإيمان* للبيهقيّ، ج ٢، ص ٨٧، باختلاف.

(٣٧٥) انظر: *مسند أبي يعلى*، ج ٦، ص ١١٩.

(٣٧٦) سورة الفرقان: ٢٤.

أحبّ إليّ من جَمْعِ الدنيا واقتنائها. وكانت العرب يفتخرون بجمع الأموال. والله أعلم بالأحوال.[٣٧٧]

وقوله في الحديث الثاني: «من وَلَد إسماعيل» هو بفتحتين، وفي نسخة بضمّ فسكون. والمراد أولاد إسماعيل جدّه، عليه الصلاة والسلام. ونصَّ عليهم لأنّهم أفضل العرب، ولأنَّهم مشتركون معه في النسب والحسب؛ فإعتاقهم[٣٧٨] أفضل من غيرهم. لكنَّ وَجْهَ تخصيص الأربعة، لا يُعْلَم إلّا منه، ﷺ. قيل:[٣٧٩] ويحتمل أن يكون ذلك لانقسام العمل الموعود عليه على أربعة: ذكر الله تعالى، والقعود له، والاجتماع عليه، وحبس النفس؛ حيث[٣٨٠] يصلّي إلى أن تطلع الشمس أو تغرب. والله أعلم.[٣٨١]

ولعلّ هذين الحديثين مقتبسان من قوله تعالى ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ﴾،[٣٨٢] أي احبس نفسك وثبّتها، قال أبو العالية:[٣٨٣] [من الكامل]

فصَبَـرْتُ صَبـرَ عارِفٍ لذلكَ حـرّةٍ[٣٨٤]
تَرْســو إذا نَفْــسُ الجَبــانِ تَطَلَّــعُ

﴿مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ﴾[٣٨٥] دائبين على الدعاء في كلّ وقت. وقيل: المراد صلاة الفجر والعصر، ﴿يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥ﴾[٣٨٦] أي ذاته وحقيقته. وهذا بيانٌ وكشف عن

(٣٧٧) الحديث ومناقشة مسألة الأفضليّة مقتبسان من كتاب *مرقاة المفاتيح* لعليّ القاري الهرويّ، ج ٥، ص ٢٠٩.
(٣٧٨) (ت) واعتاقهم.
(٣٧٩) (ت) – قيل.
(٣٨٠) (ت) من حيث.
(٣٨١) وهذه الفقرة مقتبسة من كتاب *مرقاة المفاتيح* لعليّ القاري الهرويّ، ج ٣، ص ٤٤.
(٣٨٢) سورة الكهف: ٢٨.
(٣٨٣) لعلّه أبو العالية الحسن بن مالك الشاميّ (ت. بعد ٢٤٠هـ)، أديب وشاعر وراوية من أصحاب الأصمعيّ، نزل البصرة ثمّ قدم بغداد فأدّب العبّاس بن المأمون. وبيت الشعر هذا لعنترة العبسي (ت. ٦٠٨م)، من أشهر شعراء العصر الجاهلي، وأحد شعراء المعلّقات. انظر: ديوان عنترة بن شداد العبسي شرح محمّد العناني (القاهرة: المطبعة الحسينيّة، ١٣٢٩)، ص ١٤٩.
(٣٨٤) الاستفهام من ناسخ المخطوطة (د) عند «لذلك حرّة» و«دائنين».
(٣٨٥) سورة الكهف: ٢٨.
(٣٨٦) سورة الكهف: ٢٨.

اعتقادهم وصحّة [٤٩] نيّتهم وإخلاصهم في ذكر الله تعالى، ودعوته في مجامع أوقاتهم، أو في طرفي النهار. قال قتادة:(٣٨٧) نزلت في أصحاب الصُّفَّة، وكانوا سبع مئة رجل فقراء في مسجد النبيّ، ﷺ، لا يرجعون إلى تجارة ولا زرع ولا ضَرْع، بل يُصَلُّون صلاةً وينتظرون أخرى. فلمّا نزلت الآية، قال، عليه السلام: الحمد لله الذي جعل في أمّتي مَن أُمِرْتُ أن أصبر معهم.(٣٨٨) وقيل إنَّ عُيَيْنَة بن حُصَين(٣٨٩) أتى النبيّ، ﷺ، قبل أن يسلم، وعنده الفقراء، منهم سلمان،(٣٩٠) وعليه شملة قد عرق فيها، وبيده خُوصَة يشقّها ثمّ ينسجها، فقال عُيَيْنَة للنبيّ، ﷺ: أما يؤذيك ريح هؤلاء، ونحن سادات مُضَر وأشرافها؟ فإن أسلمنا أسلم الناس، وما يمنعنا من اتّباعك إلّا هؤلاء، فَنَحِّهم، حتّى نتّبعك، أو اجْعَل لنا مجلسًا ولهم مجلسًا. وقيل: قال قومٌ من رؤساء الكفرة له: نَحِّ هؤلاء الموالي الذين كَأَنَّ ريحهم ريح الضأن، حتّى نجالسك. كما قال قوم نوح: ﴿أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ﴾.(٣٩١) فنزلت.

> وأخرج ابن مردويه(٣٩٢) وأبو نعيم(٣٩٣) في الحلية، والبيهقيّ في شعب الإيمان، قال: جاءت المؤلَّفة قلوبهم إلى رسول الله ﷺ، عُيَيْنَة بن بدر(٣٩٤) والأقرع بن حابس،(٣٩٥) فقالوا: يا رسول الله، لو جلست في صدر المجلس، وتغيّبت عن

(٣٨٧) أبو الخطّاب قَتادة بن دِعامة بن قَتادة بن عزيز (وقيل عُكابة) السَّدوسيّ البصريّ (ت. ١١٧هـ)، مفسّر حافظ، كان مع علمه بالحديث عالمًا بالعربيّة ومفرداتها وأيّام العرب والنسب.

(٣٨٨) انظر: *سنن أبي داود*، ج ٥، ص ٥٠٦-٥٠٧؛ و*مسند أبي يعلى*، ج ٢، ص ٣٨٢؛ و*المعجم الأوسط* للطبرانيّ، ج ٨، ص ٣٥٧؛ و*دلائل النبوّة* للبيهقيّ، ج ١، ص ٣٥١-٣٥٢، باختلاف يسير.

(٣٨٩) كذا في الأصل، والصواب «عُيَيْنَة بن حِصْن». أبو مالك (وورد أبو عبد الله) عُيَينة بن حِصْن بن حُذَيفة ابن بدر الفَزاريّ (ت. بين العامَين ٢٣ و٣٥هـ)، من قيس عَيلان، وهو سيّد بني فَزارة وفارسهم، كان من المؤلَّفة قلوبهم، أسلم بعد الفتح، وقيل قبله، وقيل شهده مُسلمًا، ثمّ ارتدّ عن الإسلام فعاد إليه.

(٣٩٠) أبو عبد الله سلمان الفارسيّ (ت. ٣٦هـ)، صحابيّ، من مقدّميهم.

(٣٩١) سورة الشعراء: ١١١.

(٣٩٢) أبو بكر أحمد بن موسى بن مَرْدُوَيْه الأصبهانيّ (ت. ٤١٠هـ)، ويقال له ابن مَرْدُوَيْه الكبير، حافظ مؤرّخ ومفسّر.

(٣٩٣) أبو نُعَيم أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهانيّ (ت. ٤٣٠هـ)، حافظ مؤرّخ، من الثقات في الحفظ والرواية.

(٣٩٤) هو عُيَينة بن حِصْن؛ سبقت ترجمته.

(٣٩٥) الأَقْرَع بن حابِس بن عِقال المُجاشِعيّ الدارميّ التميميّ (ت. ٣١هـ)، وقيل اسمُه فراس والأقرع=

هؤلاء وأرواح جبابهم[٣٩٦] – يعنون سلمان وأبا ذرّ وفقراء المسلمين، وكانت عليهم جباب الصوف – جالسناك وحادثناك وأخذنا عنك، فأنزل الله تعالى: ﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ﴾[٣٩٧] إلى قوله: ﴿أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا﴾[٣٩٨] يتهدَّدهم بالنار.

وأخرج أبو الشيخ[٣٩٩] عن سلمان، قال: قام رسول الله يلتمسهم، حتّى أصابهم في مُؤَخَّر المسجد يذكرون [٥٠] الله تعالى، فقال: الحمد لله الذي لم يمتني حتّى أمرني أن أصبر نفسي مع رجال من أمّتي، معكم المحيا والممات.[٤٠٠]

وأخرج عبد بن حميد[٤٠١] عن سلمان، قال: نزلت فيَّ وفي رجلٍ دخل على النبيّ، ﷺ، ومعي شن[٤٠٢] خُوص، فوضع مرفقه في صدري، فقال: تَنَحَّ، حتّى ألقاني في[٤٠٣] البساط، ثمّ قال: يا محمّد، إنّا ليمنعنا كثير من أمرك، هذا وضرباؤه، أن ترى لي قدمًا وسؤددًا، فلو نحّيتهم[٤٠٤] إذا دخلنا عليك، فإذا خرجنا أذنت لهم إذا شئت. فلمّا خرج أنزل الله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾[٤٠٥] إلى قوله: ﴿وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾.[٤٠٦]

=لقب له، من سادات العرب في الجاهليّة، قدمَ على النبيّ في وفد من بني دارم (من تميم) فأسلموا، وكان من المؤلَّفة قلوبهم.

(٣٩٦) (ت) جباههم.

(٣٩٧) سورة الكهف: ٢٧.

(٣٩٨) سورة الكهف: ٢٩.

(٣٩٩) أبو محمّد عبد الله بن محمّد الأصبهانيّ (ت. ٣٦٩هـ)، ويُقال له أبو الشيخ، من حفّاظ الحديث، العلماء برجاله، له تصانيف.

(٤٠٠) ورد الحديث في *حلية الأولياء* لأبي نُعيم الأصبهانيّ، ج ١، ص ٣٤٥؛ *والجامع لشعب الإيمان* للبيهقيّ، ج ١٣، ص ٩٩، باختلاف يسير.

(٤٠١) أبو محمّد عبد بن حميد بن نصر الكِسِّيّ (ت. ٢٤٩هـ)، من حفّاظ الحديث، صاحب *المسند*.

(٤٠٢) (ت) شيء.

(٤٠٣) (ت) على.

(٤٠٤) (ت) تنحيهم.

(٤٠٥) سورة الكهف: ٢٨.

(٤٠٦) سورة الكهف: ٢٨.

وأخرج ابن جرير[٤٠٧] والطبرانيّ[٤٠٨] وابن مردويه عن عبد الرحمن بن سهل ابن حنيف،[٤٠٩] قال: نزلت على رسول الله، ﷺ، وهو في بعض أبياته ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ﴾[٤١٠] فخرج يلتمسهم، فوجد قومًا يذكرون الله تعالى، منهم ثائر الرأس وحافي[٤١١] الرجل وذو الثوب الواحد. فلمّا رآهم جلس معهم، وقال: الحمد لله الذي جعل في أمّتي من أمرني أن أصبر معهم.[٤١٢]

وأخرج البزّار عن أبي هريرة[٤١٣] وأبي سعيد[٤١٤] قالا: جاء رسول الله، ﷺ، ورجل يقرأ سورة الحجر أو سورة الكهف، فسكت، فقال رسول الله، ﷺ: هذا المحلّ[٤١٥] الذي أُمِرْتُ أن أصبر نفسي معهم.[٤١٦]

وأخرج ابن أبي حاتم[٤١٧] وابن عساكر من طريق عمر بن ذرّ[٤١٨] عن أبيه[٤١٩]

(٤٠٧) أبو جعفر محمّد بن جرير الطَّبريّ (ت. ٣١٠هـ)، الإمام المؤرّخ والمفسّر، صاحب التصانيف.

(٤٠٨) أبو القاسم سليمان بن أحمد اللخميّ الشاميّ الطَّبرانيّ (ت. ٣٦٠هـ)، من كبار المحدّثين، له ثلاثة معاجم في الحديث وكُتب أُخرى كثيرة.

(٤٠٩) عبد الرحمن بن سَهْل بن حُنَيف الأنصاريّ المدنيّ، لأبيه وأخيه أبي أُمامة صحبة، وله رؤية.

(٤١٠) سورة الكهف: ٢٨.

(٤١١) (ت) حاف.

(٤١٢) كان تفسير ابن مردويه يُعدّ مفقودًا، لكن ظهرت أجزاء منه، ونُشر في أربعة أجزاء قطعة من أثناء سورة ق إلى آخر سورة الناس، انظر: ابن مردويه، *التفسير المُسنَد*، تحقيق علاء الدين محمّد إسماعيل (إستنبول، دار ابن عساكر، ٢٠٢١). وقد وجدنا الحديث المذكور في *تفسير الطبريّ*، تحقيق محمود محمّد شاكر (مكّة المكرّمة: دار التربية والتراث، د.ت)، ج ١٨، ص ٦؛ و*المعجم الكبير* للطبرانيّ، ج ٤، ص ٧٥-٧٦، بروايتَين مُختلفتَين.

(٤١٣) أبو هريرة عبد الرحمن بن صخر الدوسيّ اليمانيّ (ت. ٥٩هـ)، صحابيّ من المحدّثين المكثرين.

(٤١٤) أبو سعيد سعد بن مالك بن سنان الخُدْريّ الأنصاريّ الخزرجيّ (ت. ٧٤هـ)، صحابيّ، كان من ملازمي النبيّ وروى عنه أحاديث كثيرة.

(٤١٥) ورد في نصّ السيوطيّ المطبوع: المجلس.

(٤١٦) انظر: *مسند البزّار*، ج ١٨، ص ٨٩، بلفظ «المجلس».

(٤١٧) أبو محمّد عبد الرحمن بن أبي حاتم محمّد التميميّ الحنظليّ الرازيّ (ت. ٣٢٧هـ)، حافظ للحديث، من كبارهم، له تصانيف.

(٤١٨) عمر بن ذَرّ بن عبد الله بن زُرارة الهمدانيّ المُرْهِبيّ الكوفيّ (ت. ١٥٦هـ)، إمام واعظ زاهد، من رجال الحديث، كان رأسًا في الإرجاء فاختلفوا في صحّة حديثه.

(٤١٩) ذَرّ بن عبد الله بن زُرارة بن معاوية الهمدانيّ الكوفيّ (ت. بين العامَين ٨١ و٩٠هـ)، من رجال الحديث، كان مرجئًا.

أنّ رسول الله، ﷺ، انتهى إلى نفر من أصحابه، منهم عبد الله بن رواحة،[٤٢٠] يذكّرهم بالله تعالى. فلمّا رآه عبد الله سكت. فقال له رسول الله، ﷺ: ذكّر أصحابك. فقال: يا رسول الله، أنت أحقّ.[٤٢١] فقال: أما إنّكم الملأ الذين أمر الله أن أصبر نفسي معهم. ثمّ تلا: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ﴾[٤٢٢] الآية.[٤٢٣]

وأخرج الطبرانيّ في الصغير وابن مردويه من طريق عمر بن ذرّ، حدّثني مجاهد[٤٢٤] عن ابن عبّاس، رضي الله عنهما، قال: مرَّ النبيّ، ﷺ، بعبد الله ابن [٥١] رواحة وهو يذكّر أصحابه، فقال رسول الله، ﷺ:[٤٢٥] للملأ الذين أمرني الله أن أصبر نفسي معهم، ثمّ تلا ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ﴾[٤٢٦] الآية: أما إنّه ما جلس عدّتكم إلّا جلس معهم عدّتهم من الملائكة، ثمّ يصعدون إلى الربّ، وهو أعلم، فيقولون: ربّ عبادك سبّحوك فسبّحنا، وكبَّروك فكبَّرنا، وحمدوك فحمدنا، فيقول ربُّنا: يا ملائكتي، أُشهدكم أنّي قد غفرت لهم. فيقولون: فيهم فلان الخطّاء، فيقول: هم القوم، لا يشقى بهم جليسهم من الملائكة، إن سبَّحوا الله سبَّحوه، وإن حمدوا الله حمدوه، وإن كبَّروا الله كبَّروه.[٤٢٧]

وأخرج أبو يعلى وابن مردويه والبيهقيّ في الدلائل، وأبو النصر السجزيّ[٤٢٨]

(٤٢٠) أبو محمّد (وورد أبو عمرو أو أبو رَوَاحة) عبد الله بن رَوَاحة بن ثعلبة الخَزْرَجيّ الأنصاريّ (ت. ٨هـ)، صحابيّ، من الأمراء والشعراء الراجزين، شهد بدرًا والمشاهد، وكان أحد النُّقباء ليلة العَقَبة.

(٤٢١) (ت) – أنت أحق، + إن لي حقًّا. وما ورد في المتن، وهو قراءة (د)، موافق للمطبوع.

(٤٢٢) سورة الكهف: ٢٨.

(٤٢٣) انظر: *تفسير ابن أبي حاتم*، تحقيق أسعد محمّد الطيّب ([مكّة المكرّمة]: مكتبة نزار مصطفى الباز، ١٤١٩هـ)، ج ٧، ص ٢٣٥٦؛ و*تاريخ دمشق* لابن عساكر، ج ٢٨، ص ٨٧–٨٨.

(٤٢٤) أبو الحجّاج مُجاهِد بن جَبْر المكّيّ القرشيّ المخزوميّ (ت. بين العامَين ١٠٠ و١٠٤هـ)، مولى بني مخزوم، تابعيّ ثقة وإمام وفقيه ومحدّث ومفسّر.

(٤٢٥) (د) – عليه وسلم.

(٤٢٦) سورة الكهف: ٢٨.

(٤٢٧) انظر الحديث في: *المعجم الصغير* للطبرانيّ، تحقيق محمّد شكور بن محمود الحاج أمرير (بيروت: المكتب الإسلاميّ – عمّان: دار عمّار، ١٤٠٥/ ١٩٨٥)، ج ٢، ص ٢٢٧، باختلاف يسير.

(٤٢٨) أبو نصر عُبَيد الله بن سعيد بن حاتم السِّجْزِيّ الوائليّ البكريّ (ت. ٤٤٤هـ)، من حفّاظ الحديث، له مُصنَّفات منها *الإبانة عن أصول الديانة*.

في الإبانة، عن أبي سعيد،[٤٢٩] قال: أتى علينا رسول الله ﷺ، ونحن ناس من ضعفة المسلمين، ورجل يقرأ علينا القرآن ويدعو لنا، فقال رسول الله، ﷺ: الحمد لله الذي جعل في أمّتي من أُمِرْتُ أن أصبر نفسي معه. ثمّ قال: بَشِّر فقراء المؤمنين بالنور التّامّ يوم القيامة، يدخلون الجنّة قبل الأغنياء بنصف يوم، مقدار خمس مئة عام، هؤلاء في الجنّة يَتَنَغَّمون، وهؤلاء يُحاسبون.[٤٣٠]

وأخرج أحمد[٤٣١] في *الزُّهْد* عن ثابت،[٤٣٢] قال: كان سلمان في عصابة يذكرون الله تعالى، فمرّ النبيُّ، ﷺ، فكفّوا، فقال: ما كنتم تقولون: قلنا: نذكر الله. قال: فإنّي رأيت الرحمة تَنَزَّل عليكم، فأحْبَبْتُ أن أشارككم فيها. ثمّ قال: الحمد لله الذي جعل في أُمّتي من أُمِرْتُ أن أصبر نفسي معهم.[٤٣٣]

وأخرج أحمد عن أنس رضي [الله عنه] عن رسول الله، ﷺ، قال: ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله لا يريدون بذلك إلّا وجهه، ناداهم منادٍ من السماء أن قوموا مغفورًا لكم، قد بُدِّلت سيّئاتكم حسنات.[٤٣٤]

وأخرج ابن جرير وابن المنذر[٤٣٥] وابن أبي حاتم وابن مردويه عن نافع،[٤٣٦]

(٤٢٩) أبو سعيد الخُدْريّ؛ سبقت ترجمته.

(٤٣٠) لم نهتدِ إلى *الإبانة* لأبي نصر السِّجْزِيّ. انظر الحديث في: *مسند أبي يعلى*، ج ٢، ص ٣٨٢؛ و*دلائل النبوّة* للبيهقيّ، ج ١، ص ٣٥١-٣٥٢، باختلاف.

(٤٣١) أبو عبد الله أحمد بن محمّد بن حنبل الشيبانيّ الوائليّ (ت. ٢٤١هـ)، إمام المذهب الحنبليّ، وأحد الأئمّة الأربعة عند أهل السنّة.

(٤٣٢) أبو محمّد ثابت بن أسلم البُنانيّ البصريّ (ت. بين العامَين ١٢٣ و١٢٧هـ)، أحد أئمّة التابعين في البصرة، ثقة.

(٤٣٣) لم نهتدِ إلى هذا الحديث في كتاب *الزهد* لأحمد بن حنبل، إنّما ورد في *المستدرك على الصحيحين* للحاكم النيسابوريّ، ج ١، ص ٢١٠؛ و*حلية الأولياء* لأبي نُعيم الأصبهانيّ، ج ١، ص ٣٤٢-٣٤٣، باختلاف.

(٤٣٤) انظر: *الزهد* لأحمد بن حنبل، ص ١٦٨، باختلاف.

(٤٣٥) أبو بكر محمّد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوريّ (ت. ٣١٨هـ)، فقيه مجتهد، من الحفّاظ، كان شيخ الحرم بمكّة، له تصانيف.

(٤٣٦) أبو عبد الله نافِع المدنيّ (ت. ١١٧هـ)، من أئمّة التابعين بالمدينة، كان علّامة في فقه الدين، كثير الرواية للحديث، ثقة، وهو ديلميّ الأصل، مجهول النسب، أصابه عبد الله بن عمر صغيرًا في بعض مغازيه، ونشأ في المدينة.

قال: أخبرني عبد الله بن عمر،[٤٣٧] رضي الله عنهما، في هذه الآية: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ [٥٢] مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم﴾،[٤٣٨] أنّهم الذين يشهدون الصلوات المكتوبة.

وأخرج ابن أبي شيبة وابن المنذر عن ابن عبّاس مثله.

وأخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه من طريق عمر بن شعيب[٤٣٩] عن أبيه[٤٤٠] عن جدّه[٤٤١] في قوله تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ﴾[٤٤٢] الآية، قال: نزلت في صلاة الصبح وصلاة العصر.

وأخرج ابن أبي حاتم عن عبد الله بن عبد الله بن عديّ بن الخِيار،[٤٤٣] قال: هم الذين يقرؤون القرآن.

وأخرج ابن أبي حاتم من طريق مغيرة[٤٤٤] عن إبراهيم[٤٤٥] في قوله تعالى:

(٤٣٧) أبو عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطّاب القرشيّ العدويّ (ت. ٧٣هـ)، صحابيّ هاجر إلى المدينة مع أبيه، وهو آخر من توفّيَ بمكّة من الصحابة.

(٤٣٨) سورة الكهف: ٢٨.

(٤٣٩) كذا في الأصل، والصواب «عمرو بن شعيب». أبو إبراهيم (وورد أبو عبد الله) عمرو بن شُعَيب بن محمّد بن عبد الله بن عمرو بن العاص السَّهْميّ القرشيّ الطائفيّ (ت. ١١٨هـ)، من رجال الحديث، كان كثير العلم، ثقة، وقيل صدوق.

(٤٤٠) أبو عمرو شُعَيب بن محمّد بن عبد الله بن عمرو بن العاص السَّهْميّ القرشيّ (ت. بين العامَين ٨١ و٩٠هـ)، محدّث صدوق حسن الحديث، وقيل ثقة.

(٤٤١) محمّد بن عبدالله بن عمرو بن العاص السَّهْميّ القرشيّ الطائفيّ، محدّث مقبول، وقيل مجهول الحال.

(٤٤٢) سورة الكهف: ٢٨.

(٤٤٣) لم نهتدِ إليه. ولعلّ المقصود عُبَيد الله بن عَدِيّ بن الخِيار بن عَدِيّ بن نَوْفل النَّوْفليّ القرشيّ المدنيّ، اختُلف في كونه صحابيًّا أم تابعيًّا، كان من فقهاء قريش وعلمائهم، ثقة في الحديث، قليل الرواية، توفّي في آخر خلافة الوليد بن عبد الملك.

(٤٤٤) أبو هشام (وورد أبو هاشم) المغيرة بن مقسم الضبّيّ، مولاهم، الكوفيّ (ت. ١٣٣هـ)، إمام حافظ ثقة، صحب إبراهيم النَّخَعيّ وتفقّه به.

(٤٤٥) أبو عمران إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود النخَعيّ الكوفيّ (ت. ٩٦هـ)، من أكابر التابعين صلاحًا وصدقَ روايةٍ وحفظًا للحديث.

﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ﴾[٤٤٦] قال: هم أهل الذكر.

وأخرج ابن أبي شيبة وابن المنذر من طريق منصور[٤٤٧] عن إبراهيم[٤٤٨] في قوله تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ﴾[٤٤٩] الآية، قال:[٤٥٠] ولا تطردهم عن الذكر.

وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن أبي جعفر[٤٥١] في الآية، قال: أُمِرَ أن يصبر نفسه مع أصحابه، يعلّمهم القرآن.[٤٥٢]

[في فضل الصلاة على النبيّ عليه السلام: من أوراد الأويسيّة]

هذا، وكذا أوراد بعض الصوفيّة الموسومين بالطريقة الأويسيّة، النهاريّة والليليّة، التي هي الصلوات المحمّديّة والتحيّات الأحمديّة والنعوت المحموديّة؛ فإنّهم، رحمهم الله تعالى، أخذوها وبنوها على أصل ثابت إمام، يميل إلى الاستناد إليه كلّ حبر همام، وهو ما صحّ على ما خرَّجه الإمام أحمد والترمذيّ[٤٥٣] والحاكم[٤٥٤] في مستدركه عن أبيّ بن كعب، رضي الله عنه، أنّه قال:

قلت يا رسول الله، إنّي أكثر الصلاة عليك، فكم أجعل لك من صلاتي؟ (أي

(٤٤٦) سورة الكهف: ٢٨.

(٤٤٧) أبو عَتّاب منصور بن المُعْتَمِر بن عبد الله السُّلَميّ الكوفيّ (ت. ١٣٢هـ)، محدّث ثقة ثبت.

(٤٤٨) إبراهيم بن يزيد النخَعيّ؛ سبقت ترجمته.

(٤٤٩) سورة الكهف: ٢٨.

(٤٥٠) (ت) – قال.

(٤٥١) وهو أبو جعفر الرازي، عيسى بن ماهان، ولد في حدود التسعين، في حياة بعض الصحابة، وروى عنه أبو حاتم وغيره.

(٤٥٢) جميع ما ورد حول تفسير آية ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ﴾ مقتبس من كتاب: جلال الدين السيوطيّ، *الدرّ المنثور في التفسير بالمأثور* (بيروت: دار الفكر، ٢٠١١)، ج ٥، ص ٣٨٠–٣٨٣، مع تصرّفات بسيطة لا تخلّ بالمعنى.

(٤٥٣) أبو عيسى محمّد بن عيسى السُّلَميّ التِّرْمِذيّ (ت. ٢٧٩هـ)، من أئمّة علماء الحديث وحفّاظه، له *الجامع الصحيح* المعروف *بسنن الترمذيّ*.

(٤٥٤) أبو عبد الله محمّد بن عبد الله الضبّيّ الطَّهْمانيّ النيسابوريّ، الشهير بالحاكم (ت. ٤٠٥هـ)، ويُعرف بابن البَيّع، من أكابر حفّاظ الحديث والمصنّفين فيه، اشتُهر بكتابه *المستدرك على الصحيحين*.

دعواتي) قال: ما شئت. قلت: الربع؟ قال: ما شئت، وإن زدت فهو خير لك. قلت: فالنصف؟ قال: ما شئت، وإن زدت فهو خير لك. قلت: الثلثين؟[٤٥٥] قال: ما شئت، فإن زدت فهو خير لك. قال: أجعلُ (وفي نسخة جعلت، وفي أخرى إنّي جعلت) لك صلاتي (أي دعواتي) كلّها (أي[٤٥٦] منحصرة فيك، ومخصوصة بك، ومصروفة إليك). قال: إذًا (بالتنوين) [٥٣] يُكْفَى (بصيغة المجهول) همُّكَ (بالرفع على أنّه نائب الفاعل، بناءً على أنّ كفى متعدٍّ إلى واحد، على ما يُفْهَم من التاج، حيث قال: كفاك الشيء، أي حسبُك، وهو الملائم لمقابله، وهو قوله: ويُغْفَر لك ذنبك.[٤٥٧] وفي كثير من النسخ تُكْفى، بصيغة المجهول المخاطب ونصب همَّك، على أنَّ كفى متعدٍّ إلى مفعولين، كما يُستفاد من المقدِّمة، حيث قال: كفاه الشيءَ كفايةً، فمفعوله الأوّل ضمير الفاعل المخاطب، وثانيه همَّك، أي: إذن تُكْفى أنت همَّك،[٤٥٨] على ما ذهب إليه الزعفرانيّ،[٤٥٩] من شرّاح المصابيح. وقال صاحب المفاتيح:[٤٦٠] كفى متعدٍّ إلى مفعولين، وهنا مفعوله الأوّل فيه ضمير أُقيم مُقَام الفاعل، وهمَّك مفعوله الثاني).

هذا، ورواه ابن أبي شيبة في مصنَّفه، واختصره، فقال عن أُبَيّ: قال رجل: يا رسول الله، أرأيت أنّي جعلت صلاتي كلّها لك؟ قال: إذن يكفيك الله ما أهمَّك من أمر دنياك وآخرتك.[٤٦١] قال بعض المحدّثين: معنى الحديث أنَّ أُبَيّ بن

(٤٥٥) (ت) فالثلثين.

(٤٥٦) (ت) – أي.

(٤٥٧) انظر: *مسند أحمد*، ج ٣٥، ص ١٦٦–١٦٧؛ *وسنن الترمذيّ*، ج ٤، ص ٢١٨؛ *والمستدرك على الصحيحين* للحاكم النيسابوريّ، ج ٢، ص ٤٥٧ و٥٥٨، باختلاف.

(٤٥٨) مكرّرة في الأصل.

(٤٥٩) أبو عبد الله عبد المؤمن بن أبي بكر بن محمّد التبريزيّ الزَّعْفَرانيّ (عاش تقريبًا بين القرنَين ٨ و٩هـ)، له شرح لكتاب *مصابيح السنّة* للبغويّ عنوانه *الينابيع في شرح المصابيح*. لم نهتدِ إلى مزيدٍ عن سيرته.

(٤٦٠) صاحب *المفاتيح في شرح المصابيح للبغويّ* هو مظهر الدين الحسين بن محمود بن الحسن الزَّيْدانيّ الكوفيّ الشِّيرازيّ الحَنَفيّ، المشهور بالمُظْهِريّ (ت. ٧٢٧هـ)، من العلماء بالحديث، له تصانيف.

(٤٦١) انظر: *مصنّف ابن أبي شيبة*، ج ٢، ص ٢٥٣ وج ٦، ص ٣٢٥.

كعب كان له دعاء يدعو به لنفسه، فسأل النبيّ، ﷺ: هل أجعل لك[٤٦٢] ربعه منه صلاة عليك؟[٤٦٣] إلى أن قال: أجعل لك صلاتي كلّها. قال: إذن يُكْفى همُّكَ ويُغْفَرُ ذنبُك.[٤٦٤]

وهذا، لأنَّ من صلّى عليه واحدةً صلّى الله عليه عشرًا، على ما روى الحاكم عن أبي طلحة،[٤٦٥] رضي الله عنه، أنّه قال:

قال رسول الله:[٤٦٦] أتاني آتٍ من عند ربّي عزّ وجلّ، فقال: مَنْ صلّى عليك من أمّتك صلاةً كتب الله (أي: قَدَّر، أو أوجب، أو في اللوح، أو في جبينه، أو في صحيفته. وإضافة الكتابة إلى الله تعالى على ما سوى[٤٦٧] الأوّلين، للتشريف؛ إذ الكاتب الملائكة) له بها عشر حسنات[٤٦٨] (أي ثوابها مضاعفًا إلى سبع مئة ضعف، إلى أضعافٍ كثيرة؛ لأنّ الصلاة ليست حسنة واحدة، بل حسنات؛ إذ بها تجديد الإيمان[١] [٤٦٩] بالله تعالى أوّلًا، ثمّ بالرسول[٢]، ثمّ بتعظيمه[٣]، ثمّ بالعناية[٤] بطلب الكرامة له، ثمّ بتجديد[٥] الإيمان باليوم الآخر، ثمّ [٥٤] بذكر[٦] الله تعالى، ثمّ بتعظيمه[٧] بنسبتهم إليه، ثمّ بإظهار[٨] المودّة، ثمّ بالابتهال[٩] والتضرّع في الدعاء، ثمّ بالاعتراف[١٠] بأنّ الأمر كلّه لله، وأنّ النبيّ، ﷺ، مع جلالة قدره، مفتقرٌ إلى رحمة ربّه. فهذه عشر حسنات)، ومحا عنه (أي أزال من صحف الحفظة وأفكارهم) عشر سيّئات (أي قبائح)، ورفع له (أي في الجنّة) عشر

(٤٦٢) (ت) – لك.

(٤٦٣) (د) عليه.

(٤٦٤) ملّا عليّ القاري الهرويّ الحنفيّ، *الحرز الثمين للحصن الحصين*، تحقيق محمّد إسحق محمّد آل إبراهيم (الرياض: ٢٠١٣)، ص ١٥٦٨–١٥٧٠، بتصرّف بسيط غير مخلّ.

(٤٦٥) أبو طلحة زيد بن سهل بن الأسود النجّاريّ الأنصاريّ (ت. ٣٤هـ)، صحابيّ، من الشجعان الرماة المعدودين في الجاهليّة والإسلام، شهد العَقَبة وبدرًا وأُحُدًا والخندق وسائر المشاهد.

(٤٦٦) (ت) – الله.

(٤٦٧) في النصّ المطبوع ورد: عدا، إلّا أنّه ليس بمحقَّق.

(٤٦٨) لم نهتدِ إلى هذا الحديث في *المستدرك على الصحيحين* للحاكم النيسابوريّ، إنّما ورد في *مسند أحمد*، ج ٢٦، ص ٢٧٢–٢٧٣؛ و*السنن الكبرى* للنسائيّ، ج ٩، ص ٣١؛ و*مسند أبي يعلى*، ج ٣، ص ١٥؛ و*المعجم الكبير* للطبرانيّ، ج ٥، ص ١٠٠ و١٠١، باختلاف.

(٤٦٩) وُضعت الأرقام في النسختين تحت الكلمات.

درجات (أي رتب عالية)، وردَّ عليه مثلها (أي رحمه وضاعف أجره). نقله النوويّ عن عياض،[٤٧٠] ثمّ قال: وقد تكون الصلاة على وجهها وظاهرها كلامًا تسمعه الملائكة تشريفًا.[٤٧١]

هذا، ومن صلّى الله عليه، كفاه همّه وغفر ذنبه، ولاستلزام ذكر النبيّ، ﷺ، ذكرَ ذي الجلال والإكرام، بخلاف عكسه في مقام المرام؛ إذ يُتَصَوَّرُ وقوعه من الطوائف المحرومة عن سمة الإسلام، كما أخبر الله عنهم في كتابه القديم بقوله الكريم: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ﴾.[٤٧٢]

فهنيئًا لهذه الطائفة الأويسيّة، قدّس الله أسرارهم العليّة؛ إذ شغل كلّ واحدٍ منهم أفضل أوقاته وأكمل حالاته بتكثير صلواته وتذكير نعوته وصفاته، لتحصيل هباته وصلاته.

[من أوراد النقشبنديّة]

وكذا ما اختاره السادة النقشبنديّة الذين هم، كما قال عليّ القاري، عليه رحمة الملك الباري، من أكابر الصوفيّة، حيث قالوا: الخلوة في الجلوة، والعزلة في الخلطة. والصوفيّ كائن بائن، وغريب قريب، وعرشيّ فرشيّ. ونحو ذلك من عباراتهم، نفعنا الله ببركاتهم؛[٤٧٣] فإنّهم، رضي الله عنهم، أخذوا ذلك ممّا صحّ، على ما أخرجه الترمذيّ، وابن ماجة،[٤٧٤] والإمام أحمد، والحاكم، وابن السنّيّ،[٤٧٥] عن عمر، رضي الله عنه، أنّه، ﷺ، قال:

من دخل السوق (أي جنسها)، فقال (أي رافعًا صوته، أو خافضًا، أو ملاحظًا لقلبه): لا إله إلّا الله وحده، لا شريك له (إيماءً إلى ما قاله [٥٥] الصوفيّة من

(٤٧٠) أبو الفضل عِياض بن موسى اليَحصُبيّ السَّبْتيّ (ت. ٥٤٤هـ)، المعروف بالقاضي عِياض، عالم المغرب وإمام أهل الحديث في وقته.

(٤٧١) المناويّ، *فيض القدير*، ج ١، ص ١٣٦.

(٤٧٢) سورة الزخرف: ٩.

(٤٧٣) القاري الهرويّ، *الحرز الثمين للحصن الحصين*، ص ١١٧١.

(٤٧٤) أبو عبد الله محمّد بن يزيد بن ماجه الربعيّ القزوينيّ (ت. ٢٧٣هـ)، أحد الأئمّة في علم الحديث، صاحب *السنن*.

(٤٧٥) أبو بكر أحمد بن محمّد بن إسحاق بن السُّنِّيّ الدَّينَوَريّ (ت. ٣٦٤هـ)، محدّث ثقة، من تلاميذ النسائيّ، له تصانيف.

أنّ وجود الكثرة لا ينافي شهود الوحدة)، له الملك (خلقًا وملكًا)، وله الحمد (أي على نعمه، ظاهرًا وباطنًا)، يحيي ويميت (أي يوجد جمعًا، ويفني قومًا)، وهو حيٌّ (أي ثابت الحياة أزلًا، ودائمها أبدًا، كما أشار الله بقوله)، لا يموت (والمعنى لا يمكنه الموت)، بيده الخير (لا بتصريف الغير)، وهو على كلّ شيء (من الخير والشرّ) قدير، كتب الله له[٤٧٦] ألفَ ألفِ حسنة، ومحا عنه ألفَ ألفِ سيّئة، ورفع له ألفَ ألف درجة.[٤٧٧] ولعلّ وجه هذه القضيّة[٤٧٨] بخصوص السوق؛ لأنّه محلُّ الغفلة، فالذاكر[٤٧٩] فيه كالمجاهد في الغازين.

وزاد الترمذيّ وابن السنّيّ: وبنى (أي الله) له (أي لمن قال) بيتًا (أي مكانًا عظيمًا) في الجنّة. وفيه إشعار بأنّ الأذكار في الدنيا تورث بناء القصور وغرس الأشجار في العقبى، وأنّها مهور الحور ومبخرة النحور في الجنّة الأعلى.[٤٨٠]

قال زبدة المحقّقين وعمدة المتأخّرين عليّ القاري، عامله بلطفه الباري، في شرحه للحصن[٤٨١] الحصين، على هذا الحديث الشريف المتين: «ومن تَتَبَّعَ أحاديثه، ﷺ، وعرف أخباره وأحواله، وعلم أقواله وأفعاله، تَبَيَّن له أنَّ هذه الطريقة هي التي اختارها، ﷺ، بعد البعثة، وبقيت[٤٨٢] أمّته على هذه الحالة، وتبعه أكابر الصحابة، دون ما ابتدعه المبتدعة، ولو كان بعضها مستحسنة في الجملة».[٤٨٣] انتهى.

---

(٤٧٦) (ت) – له.

(٤٧٧) انظر: *مسند أحمد*، ج ١، ص ٤١٠–٤١١؛ *وسنن ابن ماجه*، ج ٣، ص ٣٤٤–٣٤٥؛ *وسنن الترمذيّ*، ج ٥، ص ٣٦٧ و٣٦٨؛ *وعمل اليوم والليلة* لابن السُّنّيّ، تحقيق عبد الرحمن كوثر البَرْني (جدّة – بيروت: دار القبلة للثقافة الإسلاميّة ومؤسّسة علوم القرآن، د.ت)، ص ١٥٠؛ *والمستدرك على الصحيحين* للحاكم النيسابوريّ، ج ١، ص ٧٢١ و٧٢٢، باختلاف يسير.

(٤٧٨) (ت) الفضيلة.

(٤٧٩) (ت) فالذكر.

(٤٨٠) القاري الهرويّ، *الحرز الثمين للحصن الحصين*، ص ١١٧٠ – ١١٧٢، باختصار بسيط غير مخلّ.

(٤٨١) (ت) لحصن.

(٤٨٢) (ت) وبعث.

(٤٨٣) القاري الهرويّ، *الحرز الثمين للحصن الحصين*، ص ١١٧٢.

[من البدع المستشنعة التي لم يرد بها نصّ شرعيّ]

أقول: من تلك البدع المستجدّة[٤٨٤] الشنيعة التي لم يرد بها نصٌّ عن صاحب الشريعة، بل ورد النهي عنها صريحًا، كما سنبيّن لك، أمْرُ الشيخ الـمُسلّك مريدَه بالقيام على رأس شيخه الجالس، ولو لغير حاجة، كقيامه في الصلاة، بوضع اليمين على الشمال تحت الصدر في كلّ وقت وفي حال غيبة الشيخ وحضوره، على ما نشاهده من بعض صوفيّة زماننا، فإنّ ذلك حرامٌ يجب اجتنابه؛ لأنّه من فعل [٥٦] المجوس والنصارى. قال رسول الله، ﷺ: إن كدتم لتفعلون فعل فارس والروم، يقومون على ملوكهم وهم قعود، فلا تفعلوا.[٤٨٥] قال الإمام النوويّ في شرح مسلم عند شرحه لهذا الحديث الشريف: فيه النهي عن قيام الغلمان والأتباع على رؤوس متبوعهم لغير حاجة. وأمّا القيام للداخل إذا كان من أهل الفضل والخير فليس من هذا، بل هو[٤٨٦] جائز، وقد جاءت به أحاديث، وأطبق عليه السلف والخلف. وقد جمعت دلائله وما يردّ عليه في جزء.[٤٨٧] انتهى كلامه.

ومنها ما ابتدعه جهلة المنتسبين للشيخ أحمد الرفاعيّ،[٤٨٨] قُدِّس سرّه، من الأذكار الملحَّنة الملحونة، مع الأشعار الملحونة، ومن التصفيق والرقص والضرب بالدُّفّ، وغير ذلك من الأفعال القبيحة والأقوال الشنيعة. فإمّا أن يعتقدوها قربة يتقرَّبون بها إلى الله تعالى أو لا؛ فإن اعتقدوها قربة فقد ضلّوا، وإن لم يعتقدوها كذلك فهم سفهاء، يجب على الولاة وعلى كلّ من يقدر منعهم عن ذلك. وأمّا الشيخ أحمد الرفاعيّ، قدّس الله سرّه ونفعنا به، فمن أهل السنّة والجماعة، ولا يرضى بمخالفة الكتاب والسنّة وإجماع الأمّة؛ فليس ذلك بضارّه شيئًا؛ لأنّه عن قصد السبيل لا يزول ومبرَّأٌ ممّا يقول هذا.

---

(٤٨٤) (ت) المستحدثة.

(٤٨٥) انظر: *مسند أحمد*، ج ٢٢، ص ٤٤٣-٤٤٤؛ و*صحيح مسلم*، ج ١، ص ٣٠٩؛ و*سنن ابن ماجه*، ج ٢، ص ٢٩٥-٢٩٦؛ و*السنن الكبرى* للنسائيّ، ج ١، ص ٢٨٩ وج ٢، ص ٣٩؛ و*السنن الكبرى* للبيهقيّ، ج ٣، ص ٣٣٨، باختلاف يسير.

(٤٨٦) (ت) - هو.

(٤٨٧) النووي، *المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجّاج* (مؤسسة قرطبة، ط٢، ١٩٩٤)، ج ٤، ص ١٧٥ الحديث، وتعليق النووي الوارد في النصّ أعلاه ورد في الصفحة ١٧٨.

(٤٨٨) أبو العبّاس أحمد بن عليّ الرِّفاعيّ الحُسَينيّ (ت. ٥٧٨هـ)، الإمام الصوفيّ الزاهد، مؤسّس الطريقة الرفاعيّة.

وأقول: ومن تأمّل قوله جَلَّت عظمته: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾[٤٨٩] الآية، جزم بما قاله الفاضل الكامل عليّ القاري من أنّ تلك الطريقة طريقته، ﷺ،

> فإنّ فيه إشعارًا بأنّه لولا إرسال الله إيّاه بالمجيء إلينا، لما تنزّل عن مرتبته، ولا نزل باختياره علينا؛ لأنّه من[٤٩٠] المقرّبين إليه تعالى، المعظّمين لديه؛ فهو لا يحبُّ الغيبة عن حضرة الحقّ بالإقبال والتوجّه إلى الخلق، وهذه طريقة الخواصّ. أما ترى إلى أياز الخاصّ،[٤٩١] حيث كان من عبيد الخواصّ، كلّما عرض [٥٧] عليه سيّده وسلطانه من المناصب الجليلة لم يقبل، وأقبل على إقبال الحضرة العليّة. لكنّه، ﷺ، ترك ما يريد لما يختاره تعالى ويريد، كما هو شأن المراد والمريد. وقد قال قائلهم: [من الوافر]
>
> أُريــدُ وِصالَــهُ ويُريــدُ هَجْــري فأتــرُكُ مــا أريــدُ لِمــا يريــدُ
>
> ولذا، لمّا قيل لأبي يزيد:[٤٩٢] ما تريد؟ قال: لأريد أن لا أريد. وقد قال بعض أرباب التوفيق من أصحاب التحقيق والتدقيق: هذه أيضًا إرادة عند الصوفيّة السادة، إذ إرادة عدم الإرادة من باب الزيادة، فكأنّه سبحانه وتعالى يقول: إنّه، ﷺ، ما جاءكم إلى جانبكم إلّا باعتبار القالب الصوريّ، ولكنّه باعتبار القالب الحضوريّ واقفٌ عند بابنا، حاضرٌ في جنابنا، لا يغيب من العين[٤٩٣] لمحة عين، فهو مجمع البحرين؛ لأنّه غريبٌ عندكم قريب إلينا، وبائن عنكم وكائن علينا، وفرشيٌّ معكم وعرشيٌّ لدينا. ومع هذا، مرجعه إلى الحضرة، وإن طالت الغيبة، كما هو شأن الرسول بالنسبة إلى المرسِل، بعد حصول المقصد الموصل. ففي ذلك القولُ القديم: مزج الهناء بالعزاء، على ما عليه جميع نعم الدنيا، بظهور البقاء وتعقيب الفناء.[٤٩٤]

(٤٨٩) سورة التوبة: ١٢٨.

(٤٩٠) (د) – من.

(٤٩١) أبو النجم أياز الغَزْنَويّ (ت. ٤٤٩هـ)، أمير، كان من غلمان السلطان محمود بن سبكتكين الغَزْنَويّ، وله معه أخبار مشهورة.

(٤٩٢) أبو يزيد البِسْطاميّ؛ سبقت ترجمته.

(٤٩٣) (ت) الغين.

(٤٩٤) محمّد عبد الحقّ بن شاه الحنفيّ الهنديّ، *الإكليل على مدارك التنزيل وحقائق التأويل للإمام=*

هذا، وورد عنه، ﷺ، أنّه كان يدبر الجيش وهو في الصلاة من غير أن يشتغل عنها.[٤٩٥] وورد عنه أيضًا، ﷺ، كما في الجامع الصغير، عن عقبة بن الحارث،[٤٩٦] رضي الله عنه، أنّه قال: ذكرتُ وأنا في الصلاة تبرًا[٤٩٧] عندنا، فكرهتُ أن يبيتَ عندنا، فأمرتُ بقسمته.[٤٩٨] ومعلوم أنّه، ﷺ، مع ذلك، لم يضيّع الخشوع والحضور في صلاته. قلت: وكذا قراءته، ﷺ، ليلة الإسراء، في مقام الإدناء، التحيّاتِ، فإنّها أدلُّ دليل على ذلك؛ فإنّه أوّلًا كان بمقام الجمع، حيث فني، ﷺ، عن حاله، واستغرق في بحر المكالمة والمشاهدة عند تجلّي جلال ربّه وجماله وكماله، فقال: التحيّات لله والصلوات والطيّبات. ثمّ رجع عن حالة [٥٨] الفناء إلى حالة البقاء، وإلى مرتبة جمع الجمع، حين تذكّر إخوانه من الأنبياء والمرسلين، وإخوانه من الملائكة المقرّبين، وأتباعه من صلحاء المؤمنين، فقال: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين،[٤٩٩] (تشريكًا لأمّته ولسائر الصالحين من الملائكة والأنبياء والمرسلين وصالحي أتباعهم في السلام الذي سلّمه الله تعالى عليه، وعدم اختصاصه به، كما هو سجيّته، ﷺ؛ لأنّه رحمة للعالمين.

ولذلك قال الوليُّ بالاتّفاق أبو بكر الورّاق[٥٠٠] ذات يوم لأهل مجلسه من

=*النسفيّ*، تحقيق محيي الدين أسامة البيرقدار (بيروت: دار الكتب العلميّة، ٢٠١١)، ج ٤، ص ١٤٦-١٤٧، تفسير سورة التوبة، الآية ١٢٩.

(٤٩٥) جاء في *صحيح البخاريّ* منسوبًا لعمر بن الخطّاب رضي الله عنه، إذ ورد بابٌ عنوانه: بَابُ يُفْكِرُ الرَّجُلُ الشَّيْءَ فِي الصَّلَاةِ، وفيه: «وقال عمر رضي الله عنه: إنّي لَأُجَهِّز جيشي وأنا في الصلاة». انظر: *صحيح البخاريّ*، ج ٢، ص ٦٧.

(٤٩٦) أبو سَرْوَعة عُقْبة بن الحارث بن عامر القُرَشيّ النَّوْفَليّ المكّيّ، له صحبة ورواية، أسلم يوم الفتح، توفّي في خلافة عبد الله بن الزُّبَير.

(٤٩٧) (ت) تمرًا.

(٤٩٨) انظر: *مسند أحمد*، ج ٢٦، ص ٧٣-٧٤؛ و*صحيح البخاريّ*، ج ١، ص ١٧٠ وج ٢، ص ٦٧؛ و*السنن الكبرى* للنسائيّ، ج ٢، ص ١٠٨؛ و*السنن الكبرى* للبيهقيّ، ج ٢، ص ٤٩١؛ و*الجامع الصغير* للسيوطيّ (بيروت: دار الكتب العلميّة، ١٤٢٥/ ٢٠٠٤)، ج ٢، ص ٢٦٤، باختلاف يسير.

(٤٩٩) انظر: *صحيح البخاريّ*، ج ١، ص ١٦٦ و١٦٧ وج ٢، ص ٦٣ وج ٨، ص ٥١ و٥٩ وج ٩، ص ١١٦؛ و*صحيح مسلم*، ج ١، ص ٣٠١ و٣٠٢ و٣٠٣؛ و*سنن ابن ماجه*، ج ٢، ص ٦٥ و٦٧-٦٨ و٦٩؛ و*سنن أبي داود*، ج ٢، ص ٢١٥-٢١٦ و٢١٩ و٢٢١ و٢٢٣؛ و*سنن الترمذيّ*، ج ١، ص ٣٧٥.

(٥٠٠) أبو بكر محمّد بن عمر الورّاق الترمذيّ البَلْخيّ، ويُلقّب بالحكيم (ت. ٢٤٠هـ)، من علماء الصوفيّة، له تصانيف في التصوّف والرياضات والأدب، وقد أسند الحديث.

أهل الوفاق: أيّها الناس، أبشروا بالبشارة العظمى والكرامة الكبرى، وهي أنّه، ﷺ، لا ينساكم قطّ، في حالٍ من الأحوال، ولا في مقامٍ من مقامات الإكرام والإجلال. فلو كان ينساكم لحظةً أو لمحة، لنسيكم في مقام الهيبة، حين قام بين يدَي ربِّ العزّة، وحصل له قرب الحضرة، وقال له، تعالت ذاته وصفاته: السلام عليك أيّها النبيّ، ورحمة الله وبركاته. فقال: السلام علينا، وعلى عباد الله الصالحين).[٥٠١] فقد عنى بهم المؤمنين أجمعين.[٥٠٢] انتهى.

وقد أشار أيضًا مخمِّس الوتريّة في مدح خير البريّة إلى أنّه، ﷺ، عرشيٌّ بقلبه وفرشيٌّ بجسده، حيث قال في تخميسه لحرف الميم: [من الطويل]

وكفّــاكَ فــي مَحْــلِ الزمــانِ غمائــمُ وأخمــصُ نعليــكَ الكــرامِ كرائــمُ
وقلبُـك عنـدَ العرشِ والجسـمُ نائـمُ[٥٠٣]

وهذا المقام هو مقام جمع الجمع للأصفياء؛ فإنّ السالك أوّلًا يفنى عن نفسه وعن السوى، ويستغرق في بحر بقاء المولى، وهو المعبَّر عنه بمقام البقاء بعد الفناء، ثمّ يُسْتَرَدُّ من تلك الحالة إلى سيرته الأولى التي هي في محلّ الرفعة أولى؛ فإنّه لا يمنعه الكثرة عن الوحدة، والوحدة عن الكثرة، فلا يزال مترقّيًا في المراتب العلى، فتارةً يتخلّى، وتارةً يتحلّى، وتارةً يتجلّى، وتارةً يتعلّى إلى مقامه الأعلى وحاله الأغلى في الأطوار الأسنى والأحوال الحسنى. وهذا كلّه في مقام الأنس إلى حضرة [٥٩] القدس، سبحانه وتعالى. وإلى ذلك أشار مخمِّس الوتريّة، عليه رحمة ربّ البريّة، حيث قال في ذلك المعنى، وأجاد في المبنى: [من الطويل]

أيــا مَــن بأخــلاقِ القــرآنِ تَخَلَّقــا ومَــن جســمُه حقًّــا إلــى عَرشِــنا رَقــا
رَفعْنـاكَ مِـنْ كـونِ الفنـاءِ إلـى البَقـا[٥٠٤]

(٥٠١) ما بين قوسين ساقط في (ت).

(٥٠٢) عبد الله بن محمّد بن يوسف الأماسيّ الروميّ المعروف بيوسف أفندي زاده، *نجاح القاري لصحيح البخاري* (بيروت: دار الكتب العلميّة، ٢٠٢١)، ج ٧، ص ٤٥٣.

(٥٠٣) مخمِّس *الوتريّة في مدح خير البريّة* هو حجّة الدين محمّد بن عبد العزيز اللخميّ الورّاق (ت. نحو ٧٥٧هـ)، شاعر أندلسيّ الأصل، قرطبيّ، من أهل الإسكندريّة. انظر: *تخميس القصائد الوتريّة في مدح خير البريّة*، تصحيح أحمد المبارك الخزرجيّ الأنصاريّ (مصر: دار الأنصار، د.ت)، ص ٩٦.

(٥٠٤) الورّاق، *تخميس القصائد الوتريّة*، ص ٢٥.

وكذا أتباعه، ﷺ، عرشيّون بقلوبهم، وفرشيّون بقوالبهم. وهم كائنون مع الخلق في الظواهر، وبائنون عن الأعيان في السرائر، قريب مع الحبيب، غريب مع الرقيب، فطوبى لمن قلبه سماويّ وجسده أرضيّ؛ إنّ هذه مرتبة أهل الكمال من أرباب الأحوال، الجامعين بين تجلّيات الجمال والجلال، الفانين عمّا سواه في الإدبار والإقبال.[٥٠٥]

قال الفقير: ويؤيّده ما رواه الطبرانيّ في الأوسط، وابن أبي شيبة عن أنس رضي الله عنه، أنّه قال: قال رسول الله صلّى الله[٥٠٦] عليه وسلّم: إنّي لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم مئة مرّة.[٥٠٧] لأنّه معلوم أنّه، ﷺ، معصوم لا ذنب له، فاستغفاره، ﷺ، يحتمل أن يكون من الأمور المباحة، من أكل وشرب وجماع ونوم وراحة، أو من مخالطة الناس والنظر في مصالحهم، ومحاربة أعدائهم تارةً، ومداراتهم أخرى، وغير ذلك ممّا يحجبه عن الاشتغال بذكر ذي الجلال على وجه الكمال، ومن التضرُّع إليه، ومن الحضور والاستغراق لديه، ومن المشاهدة والمراقبة عليه؛ فيرى ذلك بالنسبة إلى المقام العليّ، وهو الحضور في حضرة القدس، ومجلس الأنس، ذنبًا، (المعبَّر عنه: لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرّب، ولا نبيّ مرسل.[٥٠٨] والمحقِّقون على أنّه [أراد] بالنبيّ المرسل ذاته الأكمل، في حاله الأفضل، المعبَّر عنه بالاستغراق في لجّة فناء بحر التوحيد وبرّ التفريد)[٥٠٩].[٥١٠] حتّى يَعُدُّ السادة

(٥٠٥) «إنّ هذه مرتبة أهل الكمال من أرباب الأحوال، الجامعين بين تجلّيات الجمال والجلال، الفانين عمّا سواه في الإدبار والإقبال». هذه العبارة من *الإكليل على مدارك التنزيل*، ج ٤، ص ١٤٧.

(٥٠٦) (د) – صلى الله.

(٥٠٧) انظر الحديث عن أبي هريرة وحذيفة بن اليمان في: *مصنّف ابن أبي شيبة*، ج ٦، ص ٥٦ وج ٧، ص ١٧٢؛ و*المعجم الأوسط* للطبرانيّ، ج ٣، ص ٢١٥، والحديث عن أنس بن مالك في: *المعجم الأوسط*، ج ٣، ص ٣٧، باختلاف: «(...) عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إنّي لأستغفر الله في اليوم سبعين مرّة».

(٥٠٨) يقول السخاوي في *المقاصد الحسنة*، ص ٥٦٥: حَدِيث: «لي مع الله وقت لا يسع فيه ملك مقرّب، ولا نبيّ مرسل». يذكره المتصوّفة كثيرًا، وهو في رسالة القشيريّ لكن بلفظ: لي وقت لا يسعني فيه غير ربّي، ويشبه أن يكون معنى ما للترمذيّ في *الشمائل*، ولابن راهويه في مسنده، عن عليّ في حديث طويل: كان ﷺ إذا أتى منزله جزّأ دخوله ثلاثة أجزاء: جزءًا لله تعالى، وجزءًا لأهله، وجزءًا لنفسه، ثمّ جزّأ جزأه بينه وبين الناس».

(٥٠٩) كُتبت هذه العبارة في هامش (د) بخطّ الناسخ. وبعدها: صح صح.

(٥١٠) معظم النصّ في هذه الفقرة، بدون ما ورد في الهامش، جاء أيضًا في كتاب *الفتوحات الرّبّانيّة على الأذكار النواويّة* لمحمّد عليّ بن علّان الصدّيقيّ (بيروت: دار الكتب العلميّة، ٢٠٠٤)، ج ٧، ص ١٨٢، ولكنّه يقول أيضًا إنّها منقولة، بدون ذكر المصدر.

الصوفيّة، نفعنا بهم خالق البريّة، الشعور بالأمور النفسيّة نوعًا من الشرك وإثبات الإثنينيّة؛ فقال بعض أصحاب الأحوال: [من الطويل]

وجـودُك ذنـبٌ لا يُقـاسُ بِـهِ ذنـبُ[٥١١]

وإنّما الكمال هو البقاء بالمولى بعد الفناء عن السِّوَى، وهو حقيقة معنى: لا إله إلّا الله. كذا قال[٥١٢] الفاضل عليّ القاري، عليه رحمة الباري.[٥١٣] وقال أيضًا: ويحتمل أن يكون استغفاره، ﷺ، تشريعًا لأمّته، أو من ذنوب [٦٠] الأمّة، فهو بمنزلة الشفاعة.[٥١٤] انتهى.

وما رواه مسلم وأبو داود[٥١٥] والنسائيّ[٥١٦] عن المزنيّ، وقيل عن الجهنيّ،[٥١٧] وله صحبة،[٥١٨] وليس له في الكتب الستّة سوى هذا الحديث، وهو أنّه قال: قال رسول الله، ﷺ: إنّه (أي الشأن) لَيُغَان (أي ليُغَطَّى ويستر)[٥١٩] (بالبناء للمفعول) على قلبي[٥٢٠] (نائب الفاعل، والجملة خبر إنّ ومفسِّرة لضمير الشأن). والمعنى: ليحجب ويُغَطَّى على قلبي، حتّى يشتغل عن ربّي.[٥٢١]

(٥١١) وهو الشطر الثاني من بيت شعر، وصدره: «وإن قلت ما ذنبي إليك أجبتني». وقد ورد الشطر الثاني، أي المقتبس في المتن أعلاه، في الكثير من المصادر، منها: كتاب شهاب الدين عمر السهروردي، *عوارف المعارف*، تحقيق عبد الحليم محمود ومحمود بن الشريف (القاهرة: دار المعارف، سلسلة ذخائر العرب ٧٣)، ص ٢٨٠. وأغلب الظنّ أنّ اطّلاع المؤلّف عليه عن طريق الملّا عليّ بن سلطان القاري الهرويّ، إذ أورده في كتابه *مرقاة المفاتيح*، ج ٤، ص ٣٥٠. وقد مرّ معنا سابقًا اقتباس المؤلّف من هذا الكتاب.

(٥١٢) (ت) قاله.

(٥١٣) يقول ملّا عليّ القاري في *شرح الشفاء*: «إذ الفناء عن السِّوى والبقاء في حضرة اللقاء هو المقام الأسنى والحالة الحسنى». *شرح الشفاء* (بيروت: دار الكتب العلميّة، ٢٠٠١)، ج ١، ص ٤٥٣.

(٥١٤) القاري الهرويّ، *مرقاة المفاتيح*، ج ٥، ص ٢٣٢.

(٥١٥) أبو داود سُليمان بن الأَشْعث الأَزْديّ السِّجِسْتانيّ (ت. ٢٧٥هـ)، إمام أهل الحديث في زمانه، له *السنن*.

(٥١٦) أبو عبد الرحمن أحمد بن شُعَيب النَّسائيّ القاضي (ت. ٣٠٣هـ)، إمام حافظ، مصنِّف *السنن*.

(٥١٧) الأَغَرّ بن يَسار (وقيل ابن عبد الله) المُزَنيّ، ويُقال الجُهَنيّ، يُعَدّ في الكوفيّين، له صحبة.

(٥١٨) (ت) صحّت.

(٥١٩) هذه العبارة كُتبت في الهامش.

(٥٢٠) انظر: *صحيح مسلم*، ج ٤، ص ٢٠٧٥؛ *وسنن أبي داود*، ج ٢، ص ٦٢٦؛ *والسنن الكبرى* للنسائيّ، ج ٩، ص ١٦٧ و١٦٨.

(٥٢١) انظر: ملّا عليّ القاري، *الحرز الثمين*، ص ١٣٦٨. ويعلّق المؤلّف على هذه العبارة في الهامش،=

وخلاصة المرام في هذا المقام أنّ ملاحظة غين الأغيار[٥٢٢] مانعة عن مطالعة شهود عين الأخيار،[٥٢٣] كما قال العارف ابن الفارض:[٥٢٤] [من الطويل]

ولَـوْ خطَـرَتْ لـي فـي سِـواك إرادةٌ
على خاطِـري سَـهوًا حَكَمـتُ بِردَّتي

فأراد، ﷺ، ما يغشاه من السهو ونحوه الذي لا يخلو منه بشر؛ لأنّه، ﷺ، كان قلبه مشغولًا بالله عزّ وجلّ، فإن عرض له وقتًا ما عارضٌ بشريّ يشغله من أمور الأمّة ومصالحها، عدَّ، ﷺ، ذلك ذنبًا، فتضرَّع إلى الاستغفار. «وإنّي لأستغفر الله في اليوم مئة مرّة»، جملة أخرى معطوفة أو حاليّة. والمراد بالمئة في الحديثين الشريفين الكثرة.

ثمّ الفرق بين الغَيْن والرَّيْن، أنّ الغَيْن نقاب لطيفٌ نورانيّ، بخلاف الرَّيْن، فإنّه حجاب كثيف ظلمانيّ؛ ولذا قال الله العزيز في كتابه الوجيز: ﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ * كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾.[٥٢٥] وقال البعض من أهل العلم موافقًا

=مفسِّرًا كلمة لَيْغَان: «من الغَيْن وهو إطباق الغيم في مرأى العين، وهو سحاب لطيف؛ كناية عن حجاب [ت: – حجاب] ظريف لما يعرض له، ﷺ، ممّا يصرفه عن دوام ملازمة ذكر [ت: ذي] الملك العلّام على الوجه التامّ. هو الاستغراق في بحر الشهود عن مطالعة ما سوى الله تعالى ممّا في عالم الوجود». وورد بعدها: صح صح. وهذا التعليق هو اقتباس من كتاب ملّا عليّ القاري الهرويّ، *شرح الشفاء*، ج ٢، ص ١٩٢.

(٥٢٢) (د) الأعيان.

(٥٢٣) ورد في *الحرز الثمين* لملّا عليّ القاري الهرويّ، ص ١٣٦٨: «وخلاصة المرام في هذا المقام أنّ ملاحظة غين الأغيار مانعة عن مطالعة شهود عين الأخيار. كما قال العارف ابن الفارض: ولو خطرت لي في سواك إرادة على خاطري سهوًا حكمت بردّتي».

(٥٢٤) *ديوان ابن الفارض* (بيروت: دار صادر)، ص ٥٢، وهي من التائيّة الكبرى المعروفة باسم نظم السلوك والتي مطلعها: «سقتني حميّا الحبّ راحة مقلتي». والاقتباس كما مرّ في الهامش السابق عن طريق كتاب *الحرز الثمين* لملّا عليّ القاري. والبيت الوارد في المتن يتكرّر في مؤلّفات ملّا القاري، انظر مثلًا: *مرقاة المفاتيح*، ج ١، ص ٤٦٥؛ و*شرح الملّا عليّ القاري على آداب المريدين للسهروردي*، اعتناء محمّد عبد العزيز عبد الخالق (بيروت: دار الكتب العلميّة، ٢٠٢٠)، ص ١٠٤؛ و*تفسير ملّا عليّ القاري الهرويّ المسمّى أنوار القرآن وأسرار الفرقان الجامع بين أقوال علماء الأعيان وأحوال الأولياء ذوي العرفان*، تحقيق ناجي السويد (بيروت: دار الكتب العلميّة، ٢٠١٢)، ج ١، ص ٦٥ وج ٣، ص ٣٥.

(٥٢٥) سورة المطفّفين: ١٤–١٥. والتفرقة بين الغين والرين مقتبسة من كتاب ملّا عليّ القاري، *الحرز الثمين*، ص ١٣٦٩.

لما في النهاية: الغَيْن (بالغين والنون) غشاء رقيق، يكون دون الغيم، والغيم فوقه. يقال: غَيَّمَتِ السماء، إذا أطبق عليها الغيم. والرَّيْن (بالراء والنون) فوقه، وهو الطبع والختم. وقيل: الغَيْن شجرٌ ملتفّ.(٥٢٦)

[مجاهدات الصوفيّة لا تعارض أمر النبيّ بالاقتصاد والتوسّط]

هذا، وأمّا ما نُقِلَ عنهم، نفعنا الله بهم، من شدّة الرياضات وكثرة المجاهدات والاجتهاد في العبادات، كصيام الدهر والوصال والقيام في كلِّ الليالي والاجتناب عن المشتهيات والطيّبات، والختم في كلّ يوم مرّةً أو مرّتين أو ثلاثًا، فله [٦١] مأخذٌ صحيح ونصٌّ صريح، وهو(٥٢٧) صحَّ عن المغيرة،(٥٢٨) رضي الله عنه، على ما أخرجه مسلم، أنّه قال: قام رسول الله، ﷺ، من الليل حتّى تورَّمت قدماه، وفي رواية: حتّى تَفَطَّرت رجلاه، فقيل له: لِمَ تصنع هذا، وفي رواية: أتتكلّف هذا، وقد غفر الله لك ما تقدَّم من ذنبك، وما تأخّر؟ قال: أفلا أكون عبدًا شكورًا؟!(٥٢٩) وما ورد عنه، ﷺ، من صوم الوصال وكثرة الجوع، حتّى كان يربط الحجر على بطنه، ﷺ.(٥٣٠) مع أنّه يمكن أن يُحْمَلَ وقوع ذلك منهم، نفعنا الله بهم، على التطبيب والمداواة لأمراض القلوب.(٥٣١)

(٥٢٦) ملّا عليّ القاري، *الحرز الثمين*، ص ١٣٦٩.

(٥٢٧) (ت) وهي ما.

(٥٢٨) أبو عبد الله (وورد أبو عيسى أو أبو محمّد) المُغيرة بن شُعْبة الثَّقَفيّ (ت. ٥٠هـ)، صحابيّ، وأحد دهاة العرب وقادتهم وولاتهم.

(٥٢٩) انظر: *صحيح البخاريّ*، ج ٢، ص ٥٠ وج ٦، ص ١٣٥ وج ٨، ص ٩٩؛ و*صحيح مسلم*، ج ٤، ص ٢١٧١ و٢١٧٢؛ و*سنن ابن ماجه*، ج ٢، ص ٤٢١ و٤٢٢؛ و*سنن الترمذيّ*، ج ١، ص ٥٣٤؛ و*السنن الكبرى* للنسائيّ، ج ٢، ص ١٢٧ وج ١٠، ص ٣٧٥، باختلاف.

(٥٣٠) انظر الحديث في: *الطبقات الكبرى* لابن سعد، تحقيق محمّد عبد القادر عطا (بيروت: دار الكتب العلميّة، ١٤١٠/ ١٩٩٠)، ج ١، ص٣٠٦-٣٠٧؛ و*الجوع* لابن أبي الدنيا، تحقيق محمّد خير رمضان يوسف (بيروت: دار ابن حزم، ١٤١٧/ ١٩٩٧)، ص ٣١؛ و*نوادر الأصول في أحاديث الرسول* للحكيم الترمذيّ، تحقيق عبد الرحمن عميرة (بيروت: دار الجيل، ١٤١٢/ ١٩٩٢)، ج ٤، ص ١٣؛ و*معجم ابن الأعرابيّ*، تحقيق وتخريج عبد المحسن بن إبراهيم بن أحمد الحسينيّ (الدمّام: دار ابن الجوزيّ، ١٤١٨/ ١٩٩٧)، ج ١، ص ٣٦، باختلاف.

(٥٣١) أغلب ما ورد في مسألة تشديد الصوفيّة على أنفسهم ومجاهداتهم، مع ترخيصهم للعامّة مقتبس من *الحديقة الندّيّة* للنابلسيّ، ج ١، ص١٥٦-١٦٣، مع بعض التغيير والاختصار. وهو في شرح=

والحاصل، أنّهم، رحمهم الله تعالى، إنّما فعلوا تلك التشديدات والتضييقات على أنفسهم وغيرهم من أهل طريقتهم، ممّا يخالف ظاهر الذي كان عليه، ﷺ، وأمر به الخاصّ والعامّ من الاقتصاد والتوسّط، إمّا مداواةً وتطبيبًا لأمراض القلوب السقيمة بالغفلات والغرور ليردّوها بذلك إلى الصحّة والعافية، أو لكون العبادة من كثرة تمرين نفوسهم عليها صارت عادةً لهم اعتادوها، وطبعًا طُبعوا عليه، فصاروا لا يتكلّفون لها، كالغذاء للصحيح البدن من الناس، فإنّه ينتفع به في بدنه، لبقاء صحّته، ويأخذ منه حظَّه بنفسٍ مقبلة مشتهية، فيتلذَّذون بها، كما يَتَلَذَّذ الصحيح البدن بغذائه، بلا إضاعة حقٍّ واجبٍ عليهم لأحدٍ من خلق الله، ولا تَرْكِ مداومة، بل كانوا يبقون على ذلك إلى الموت، ولا اعتقادِ واحدٍ منهم أنّ ما يفعله من تلك التشديدات على نفسه والمجاهدات فيها أفضل من الذي كان عليه سيّد البشر، ﷺ، وعمل به من الاقتصاد والتوسّط، أو أفضل من الذي قاله، ﷺ، وبيَّنَه للناس؛ إذ لا شكّ أنّ من اعتقد رجحان عمله على عمل النبيّ، ﷺ، فهو كافر. وحاشا السادة الصوفيّة [٦٢] العارفين، من شيءٍ من ذلك. بل دائمًا لا يرون أعمالهم إلّا مدخولة قاصرة، وإن بالغوا فيها ما عسى أن يبالغوا. بل لا يرون أنفسهم مع ذلك كلّه إلّا مذنبةً عاصية، كما نقل الشيخ ابن علّان الصدّيقيّ،(٥٣٢) رحمه الله تعالى، في شرحه على حكم أبي مدين،(٥٣٣) رضي الله عنه، أنّ الخواجة بهاء الدين النقشبنديّ،(٥٣٤) قدَّس الله سرّه العليّ، لـمّا سُئِل عن الكرامات، قال: أيُّ كرامة أعظم منّي، إنّي، مع هذه الذنوب الكثيرة، أمشي على وجه الأرض. وكما حُكي عن السّريّ،(٥٣٥) قدَّس الله سرّه، وبمزيد قربه أسرّه، أنّه قال: أنا أنظر في أنفي في اليوم كذا وكذا مرّةً، مخافةً أن يكون قد اسودّ؛ خوفًا من الله تعالى أن يسوِّد صورتي لما أتعاطاه من الذنوب.

=النابلسيّ لقول البركويّ: «فإن قلت يعارض ما ذكرت ما نُقل عن السلف من شدّة الرياضات وكثرة المجاهدات والاجتهاد في العبادات كصيام الدهر والوصال والقيام في كلّ الليالي...». وشرح النابلسيّ فيه توسّع.

(٥٣٢) محمّد عليّ بن محمّد عَلّان بن إبراهيم البكريّ الصدّيقيّ الشافعيّ (ت. ١٠٥٧هـ)، مفسّر وعالم بالحديث، من أهل مكّة، له مصنَّفات ورسائل كثيرة.

(٥٣٣) أبو مَدْيَن شُعَيب بن الحُسين الأندلسيّ التِّلِمْسانيّ (ت. ٥٩٤هـ)، شيخ أهل المغرب، شاعر وفقيه وصوفيّ زاهد، من مشاهيرهم.

(٥٣٤) محمّد بهاء الدين النَّقْشَبَنْديّ الحُسَينيّ الْأُوَيسيّ البخاريّ المعروف بشاه نَقْشبَند (ت. ٧٩١هـ)، شيخ الطريقة النَّقْشَبَنْديّة الصوفيّة.

(٥٣٥) أبو الحسن سَرِيّ بن المُغَلِّس السَّقَطيّ (ت. ٢٥٣هـ)، من كبار المتصوّفة، كان إمام البغداديّين وشيخهم في وقته، وهو خال الجُنَيد وأستاذه.

وسُمِع عنه أيضًا، رحمه الله تعالى، أنّه كان يقول: أشتهي أن أموت ببلدةٍ غير بغداد. فقيل له: ولم ذاك؟ فقال: أخاف أن لا يقبلني قبري، فأُفْتَضَحَ. وقال أبو حفصٍ الكبير:(٥٣٦) منذ أربعين سنة، اعتقادي في نفسي أنّ الله تعالى ينظر إليّ نظر السخط، وأعمالي تدلّ على ذلك. وقال أبو حاتم الأصمّ:(٥٣٧) لا تغترَّ بموضع صالح، فلا مكان أصلح من الجنّة، فلقي آدم، عليه السلام، فيها ما لقي. ولا تغترَّ بكثرة العبادة، فإنّ إبليس، بعد طوال تعبّده، لقي ما لقي. ولا تغترَّ بكثرة العلم، فإنّ بلعام كان يحسن اسم الله الأعظم، فانظرْ ماذا لقي. ولا تغترَّ برؤية الصالحين، فلا شخص أكبر وأكرم من المصطفى، عليه الصلاة والسلام، لم ينتفع بلقائه أقاربه وأعداؤه. وحُكي أنّ ابن المبارك(٥٣٨) خرج يومًا على أصحابه، فقال: إنّي قد اجترأتُ على الله، سألتُه الجنّة. وسُمِعَ حاتم(٥٣٩) يقول: ما من صباح إلّا والشيطان يقول لي: ما تأكل؟ وما تلبس؟ وأين تسكن؟ فأقول: آكل الموت، وألبس الكفن، وأسكن القبر. وقيل له يومًا: ألا تشتهي؟ فقال: أشتهي عافية يوم إلى الليل. فقيل له: أليست الأيّام كلّها عافية؟ فقال: إنّ عافيةَ يومي أن لا أعصي [٦٣] الله.(٥٤٠)

والحاصل، إنّ جميع ما ورد عنهم، رحمهم الله، من التشديدات المذكورة والرياضات والمجاهدات، غير مخالف لشيءٍ من الدين المحمّديّ، بل هي واردة فيه أيضًا في الكتاب والسنّة، في حقِّ من يقدر عليها ويتفرَّغ لها، من غير أن تكون واجبة عليه؛ لأنّها نفل زائد على ما كُلِّف به، مُثابٌ(٥٤١) عليها. كما ورد الاقتصاد والتوسُّط في الأعمال أيضًا في الكتاب والسنّة، في حقّ من لا قدرة له، ممّن يُخَاف عليه الملل. وفي الدين تسهيل وتصعيب، قال الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾(٥٤٢) فإنّ المراد به، كما هو على أحد التفاسير، هو

(٥٣٦) أبو حَفْص أحمد بن حَفْص البُخاريّ الحَنَفيّ الفقيه، المعروف باسم أبي حَفْص الكبير (ت. ٢١٧هـ)، عالم أهل بُخارى في زمانه.

(٥٣٧) كذا في الأصل، والصواب «حاتم الأصمّ». أبو عبد الرحمن حاتم بن عُنْوان، المعروف بالأَصَمّ (ت. ٢٣٧هـ)، زاهد من أهل بَلْخ.

(٥٣٨) أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظليّ بالولاء، التميميّ (ت. ١٨١هـ)، من كبار علماء زمانه.

(٥٣٩) حاتم الأَصَمّ؛ سبقت ترجمته.

(٥٤٠) انظر: النابلسيّ، *الحديقة الندّيّة*، ج ١، ص ١٦٠-١٦١، باختصار وتصرّف.

(٥٤١) (ت) يُثاب.

(٥٤٢) سورة آل عمران: ١٠٢.

أن يُطاع فلا يُعصى، ويُشكر فلا يُكْفَر، ويُذكر فلا يُنْسى، على ما رواه ابن مسعود،(٥٤٣) رضي الله عنه. وقال تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾(٥٤٤) أي أطقتم.

وقد ورد عنه، ﷺ، أنّه عُرِضت عليه بطحاء مكّة ذهبًا، فأباها، فشدَّد على نفسه، ولم يأخذ من ذلك شيئًا يستعين به في نصرة الحقّ ودفع شرِّ الكافرين،(٥٤٥) وإن كان ذلك العرض في ابتداء الإسلام.(٥٤٦)

وفي حديث جبرائيل، ﷺ، قال: إنّ الله يقول لك: أتحبُّ أن أجعل لك هذه الجبال ذهبًا، وتكون معك حيث كنت؟ فأطرق ساعةً، ثمّ قال: يا جبرائيل إنّ الدنيا دار من لا دار له، الحديث بطوله في ذات الشفاء.(٥٤٧) وإلى تلك الزبدة(٥٤٨) أشار صاحب البردة،(٥٤٩) حيث

(٥٤٣) أبو عبد الرحمن عبد الله بن مسعود بن غافل الهذليّ (ت. ٣٢هـ)، صحابيّ من كبار العلماء.

(٥٤٤) سورة التغابن: ١٦.

(٥٤٥) زيادة في (ت) مفادها: «رُوي أنّه ﷺ عُرض عليه أن تصير له الجبال ذهبًا تسير معه حيث سار فأبى وقال: لا يا ربّ، بل أجوع يومًا وأشبع يومًا. ورُوي عنه ﷺ لمّا جاءه جبرائيل بذلك قال لجبرائيل: صف لي الدنيا. قال: يا محمّد، حلالها حساب، وحرامها عقاب، فاختار الفقر والدار الآخرة. ورُوي عنه ﷺ [أنّه] خُيّر بين أن يكون نبيًّا ملكًا، أو نبيًّا عبدًا، فاختار أن يكون نبيًّا عبدًا، وإلى هذا قال بعضهم: يا خير عبد على كلّ الملوك ولي». وهذه الزيادة قد وردت في هامش (د)، ولكن مع اختلاف بترتيب الجمل – أو ربّما سبب الاختلاف عائد لضيق مساحة الكتابة – وهي على الشكل التالي: «وروى أنّه، صلّى الله عليه وسلّم، خُيِّر بين أن يكون نبيًّا ملكًا أو نبيًّا عبدًا، فاختار أن يكون نبيًّا عبدًا. وإلى هذا قال بعضهم: [من البسيط]

يا خيرَ عَبدٍ على كلِّ الملوكِ وَلِي

مع أنّه، ﷺ، عُرِض عليه أن تصير له الجبال ذهبًا، تسير معه حيث سار، فأبى وقال: لا يا ربّ، بل الجوع يومًا والشبع يومًا. ورُوي أنّه، ﷺ، لمّا جاءه جبرائيل بذلك، قال لجبرائيل: صف لي الدنيا. قال: يا محمّد، حلالها حساب، وحرامها عقاب. فاختار الفقر والدار الآخرة».

(٥٤٦) انظر الحديث في: *الطبقات الكبرى* لابن سعد، ج ١، ص ٢٨٩؛ و*مسند أحمد*، ج ٣٦، ص ٥٢٨؛ و*سنن الترمذيّ*، ج ٤، ص ١٥٣؛ و*المعجم الكبير* للطبرانيّ، ج ٨، ص ٢٠٧؛ و*حلية الأولياء* لأبي نُعيم الأصبهانيّ، ج ٨، ص ١٣٣.

(٥٤٧) انظر: *الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض مُذَيَّلًا بالحاشية المسمّاة مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفاء للشمنّي* (بيروت: دار الفكر، ١٤٠٩/ ١٩٨٨)، ج ١، ص ١٤١.

(٥٤٨) (ت) الزيادة.

(٥٤٩) هو أبو عبد الله شرف الدين محمّد بن سعيد الصَّنْهاجيّ البُوصِيريّ المصريّ (ت. ٦٩٦هـ)، شاعر اشتُهر بمدائحه النبويّة، أشهر شعره قصيدة البُردة.

قال: [من البسيط]

ورَاودَتْـهُ الجبـالُ الشـمُّ مِـن ذَهـبٍ

عـنْ نفسِـهِ فأراهـا أيَّمـا شَـمَمِ

وورد أيضًا كثرة الصيام والقيام عن أزواجه أمّهات المؤمنين. وورد أنّ لزينبَ،(٥٥٠) رضي الله عنها، حبلًا مربوطًا بين الساريتين، إذا فترت من قيام الليل تَعَلَّقتْ به، ولو كان ذلك معصية لما فعلته، رضي الله عنها. وأمّا أمر النبيّ، ﷺ، بحلّه، فللشفقة عليها؛(٥٥١) لأنّه، ﷺ، كان بالمؤمنين رؤوفًا رحيمًا. قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ [٦٤] رَّحِيمٌ﴾.(٥٥٢)

أخرج ابن جرير وابن المنذر وغيرهما عن قتادة(٥٥٣) في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾(٥٥٤) قال: جعله الله من أنفسكم، فلا تحسدوه على ما أعطاه الله من النبوّة والكرامة، عزيز عليه ما عنت(٥٥٥) على مؤمنهم، حريص(٥٥٦) على ضالّهم أن يهديه الله.

وأخرج الحاكم عن ابن عبّاس في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾(٥٥٧) قال: قد ولدتموه، يا معشر العرب.

وأخرج ابن مردويه عن أنسٍ رضي الله عنه،(٥٥٨) قال: قرأ رسول الله، ﷺ: ﴿لَقَدْ

(٥٥٠) زينب بنت جَحْش بن رئاب الأسديّة (ت. ٢٠هـ)، أمّ المؤمنين، وابنة عمّة النبيّ، وإحدى شهيرات النساء في صدر الإسلام.

(٥٥١) انظر الحديث في: *صحيح البخاريّ*، ج ٢، ص ٥٣؛ و*صحيح مسلم*، ج ١، ص ٥٤١؛ و*سنن ابن ماجه*، ج ٢، ص ٣٨٧؛ و*سنن أبي داود*، ج ٢، ص ٤٧٩-٤٨٠؛ و*السنن الكبرى* للنسائيّ، ج ٢، ص ١١٨، باختلاف يسير.

(٥٥٢) سورة التوبة: ١٢٨.

(٥٥٣) قَتادة بن دِعامة؛ سبقت ترجمته.

(٥٥٤) سورة التوبة: ١٢٨.

(٥٥٥) (ت) عنتم.

(٥٥٦) (ت) + عليكم. وقد وردت زيادة في آخر السطر.

(٥٥٧) سورة التوبة: ١٢٨.

(٥٥٨) (د) - الله عنه. ويبدو أنّ ناسخ النسخة (د) يكتفي بـ(رضي)، أو (رض) أحيانًا.

جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾[٥٥٩] فقال عليّ بن أبي طالب: يا رسول الله، ما معنى أنفسكم؟ فقال رسول الله، ﷺ: أنا أنفسكم نسبًا وصهرًا وحسبًا، ليس فيَّ ولا في آبائي من لدن آدم سِفاح، كلّنا نكاح.[٥٦٠]

وأخرج الحاكم عن ابن عبّاس، رضي الله عنه، أنّ النبيّ، ﷺ، قرأ ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾[٥٦١] يعني من أعظمكم قدرًا.[٥٦٢]

وأخرج ابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن ابن عبّاس، رضي الله عنه، في قوله تعالى: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾[٥٦٣] قال: شديد عليه ما شقّ عليكم، حريص عليكم أن يؤمن كفّاركم.

قال الفقير: ولذا رفع ببركته الخطأ والنسيان والإكراه، ووضع عنّا الآصار[٥٦٤] والأغلال التي كانت على الأمم الماضية، حيث أتى عليه الصلاة والسلام بالملّة الحنيفيّة السمحاء، والطريقة المرضيّة النوراء.

ويحتمل أن يكون قوله تعالى ﴿عَزِيزٌ﴾[٥٦٥] منفصلًا عمّا قبله، متّصلًا بما سيق له، فهو صفة لرسول، أي هو عزيز الوجود، كامل الجود، بديع الجمال، عديم المثال. أو عزيز مكرّم لدينا؛ فأعزّوه، وأكرموه، وانصروه، وعظّموه. ويؤيّده القراءة الشاذّة بالزائين، في قوله تعالى: ﴿لِّتُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ﴾[٥٦٦] أو معناه: غالب على جميع المرسلين لكونه خاتم النبيّين، أو لكون دينه غالبًا

(٥٥٩) سورة التوبة: ١٢٨.

(٥٦٠) لم نهتدِ إلى تفسير ابن مردويه، إنّما وجدنا أصل الحديث في *الطبقات الكبرى* لابن سعد، ج ١، ص ٥٠ و٥١؛ و*مصنّف ابن أبي شيبة*، ج ٦، ص ٣٠٣؛ و*المعجم الأوسط* للطبرانيّ، ج ٥، ص ٨٠؛ و*السنن الكبرى* للبيهقيّ، ج ٧، ص ٣٠٨، باختلاف.

(٥٦١) سورة التوبة: ١٢٨.

(٥٦٢) انظر: *المستدرك على الصحيحين* للحاكم النيسابوريّ، ج ٢، ص ٢٦٢.

(٥٦٣) سورة التوبة: ١٢٨.

(٥٦٤) ورد في الأصل: الآصال، وما أثبتناه هو الصحيح، والآصار أي القيود، جمع إصْر. وقد ورد في (ت) تحت الكلمة: جمع اصر.

(٥٦٥) سورة التوبة: ١٢٨.

(٥٦٦) سورة الفتح: ٩.

على الأديان، شاملًا لكلّ زمان ومكان. أو هو منتقم من أعدائه، كما هو رحيم بأحبّائه. ﴿عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾[٥٦٧] أي ضرر عليه ضرركم، وشاقٌّ عليه محنكم؛ لكونه رحمة للعالمين، ورأفة [٦٥] للمؤمنين. حريص عليكم، أي على إيمانكم وإيقانكم وإحسانكم، ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي على الخصوص، ﴿رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ أي في غاية الرأفة من الشفقة، ونهاية من اللطف والمرحمة.

أخرج ابن أبي حاتم عن عكرمة[٥٦٨] قال: قال رسول الله، ﷺ: جاء جبرائيل فقال: يا محمّد إنّ ربّك يقرئك السلام، وهذا ملك الجبال قد أرسله إليك، وأمره أن لا يفعل شيئًا إلّا بأمرك، (فقال له ملك الجبال: إنّ ربّي أمرني أن لا أفعل شيئًا إلّا بأمرك، إن شئت دمدمت الجبال)،[٥٦٩] وإن شئت رميتهم بالحصباء وإن شئت خسفت بهم الأرض. قال: يا ملك الجبال، فإنّي آتي بهم، لعلّه أن يخرج منهم ذرّيّة يقولون: لا إله إلّا الله. فقال ملك الجبال: أنت، كما سمّاك ربُّك، رؤوف رحيم.[٥٧٠]

وأخرج ابن مردويه عن أبي صالح الحنفيّ،[٥٧١] قال: قال عبد الله:[٥٧٢] قال رسول الله ﷺ: إنّ الله رحيم، ولا يضع رحمته إلّا على رحيم. قلنا: يا رسول الله، كلّنا نرحم أموالنا وأولادنا. قال: ليس بذلك، ولكن كما قال الله: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[٥٧٣]. [٥٧٤]

(٥٦٧) سورة التوبة: ١٢٨.

(٥٦٨) أبو عبد الله عِكْرِمة بن عبد الله البَرْبَريّ المدنيّ (ت. ١٠٧هـ)، مولى ابن عبّاس، تابعيّ ثقة، كان من أعلم الناس بالتفسير والمغازي.

(٥٦٩) ما بين قوسين ساقط في (ت).

(٥٧٠) انظر: *تفسير ابن أبي حاتم*، ج ٦، ص ١٩١٨.

(٥٧١) أبو صالح عبد الرحمن بن قَيْس (وقيل اسمه ماهان) الحَنَفيّ الكوفيّ، تابعيّ، سمع عبد الله بن مسعود، كان ثقة قليل الحديث.

(٥٧٢) عبد الله بن مسعود؛ سبقت ترجمته.

(٥٧٣) سورة التوبة: ١٢٨. لم نهتدِ إلى تفسير ابن مردويه، إنّما وقعنا على الحديث المذكور في *الزهد* لأحمد بن حنبل، ص ٣١٩؛ و*تفسير الطبريّ*، ج ١٤، ص ٥٨٨، باختلاف يسير.

(٥٧٤) الهنديّ، *الإكليل على مدارك التنزيل وحقائق التأويل للإمام النسفيّ*، ج ٤، ص ١٨٦. ومعظم ما ورد مقتبس من *الدر المنثور* للسيوطيّ، تفسير سورة التوبة، الآية ١٢٩، ج ٤، ص ٣٣٢ وما يليها.

فالسادة الصوفيّة، رضي الله عنهم، اختاروا أن يفعلوا العزائم في أنفسهم؛ لأنّ المشايخ إنّما يليق بهم أن يعملوا بالعزيمة دون الرخصة، ويكون جميع أعمالهم على وفق السنّة وترك الشهوة، ولأنّ ما يكون أحوط في الدين هو طريق أرباب اليقين من المجتهدين، ولأنّهم أهل الهمم والعزائم. وكانوا معترفين بصحّة الرخص الشرعيّة، يفتون بها للعامّة، ويحرّضونهم على فعلها، كما كان النبيّ، ﷺ، يفعل أحيانًا، يأمر بالرخص، ويعمل هو العزائم بنفسه، كما أخبر في قضيّة صوم الوصال، لمّا واصلوا مثله، فنهاهم عنه شفقةً عليهم ورحمة بهم. ثمّ قال لهم: إنّي لست كأحدكم، إنّي أبيتُ عند ربّي، يطعمني [٦٦] ويسقيني.(٥٧٥) روى البخاريّ ومسلم عن ابن عمر، رضي الله عنه: إنّي لست كهيئتكم.(٥٧٦) إنّي أظلّ أُطعَم وأُسْقَى،(٥٧٧) يعني أنّ هيئتكم تحتاج إلى إخلاف ما يتحلّل، وصوم الوصال يضعف قواكم، ويعجزكم عن العبادة بخشوعها، وليست هيئتي كذلك؛ فإنّ مزاجي محروس عن التحلّل، لغاية انجذابه إلى جناب القدس. وأظَلُّ بفتح الظاء المعجمة، وأُطْعَمُ وأُسْقَى، كلاهما على بناء المجهول، يعني يجعل لي قوّة الطاعم والشارب؛ وقيل هو على ظاهره، فإنّه، ﷺ، كان يُطعم من طعام الجنّة كرامةً له (وهذا مبنيٌّ على أنّ طعام الجنّة لا يُفطر، على ما قاله ابن الملقّن).(٥٧٨) والصحيح هو الأوّل؛ لأنّ لفظ ظَلَّ لا يكون إلّا في النهار. قال أهل اللغة: يقال: يَظَلُّ يفعل كذا، إذا عمله بالنهار دون الليل. ولو كان النبيُّ، ﷺ، طاعمًا حقيقةً في النهار حين واصل، لم يكن صائمًا، والغرض خلافه. (ويمكن الجمع بأنّه يَتَقَوَّى في النهار، ويأكل من طعام الجنّة في الليل، فالوصال حاصل في الجملة له، بخلاف غيره).(٥٧٩) قاله، ﷺ، حين نهى عن صوم الوصال، فقالوا: إنّك تواصل.(٥٨٠)

(٥٧٥) انظر: *مسند أحمد*، ج ١٤، ص ٤٨٠ وج ١٦، ص ٢٧٠ وج ٢٠، ص ١٥٣ وج ٢١، ص ١٢٦ وج ٣١، ص ١١٩ و١٢٠ و١٣١؛ *وسنن أبي داود*، ج ٤، ص ٤٢ و٥٢؛ *وسنن الترمذيّ*، ج ٢، ص ١٤٠؛ *ومسند البزّار*، ج ١٢، ص ٣٧ وج ١٣، ص ٣٨٢ و٤٨٦ وج ١٤، ص ١٤٦ و٢٠٨ و٢٨٢ و٣١٨ وج ١٥، ص ٣٧ و٣٩١؛ *والسنن الكبرى* للنسائيّ، ج ٣، ص ٣٥٣ و٣٥٤، باختلاف.

(٥٧٦) ورد في هامش (د)، (ت) أي على صفتكم وماهيّتكم.

(٥٧٧) انظر: *صحيح البخاريّ*، ج ٣، ص ٢٩ و٣٧ و٣٨؛ *وصحيح مسلم*، ج ٢، ص ٧٧٤ و٧٧٦، باختلاف.

(٥٧٨) هذه العبارة مكتوبة في هامش (د)، (ت)، وبعدها: منه. وابن المُلقِّن هو أبو حَفْص سراج الدين عمر بن عليّ بن أحمد الأنصاريّ الشافعيّ، المعروف بابن المُلقِّن (ت. ٨٠٤هـ)، من أكابر العلماء بالحديث والفقه وتاريخ الرجال.

(٥٧٩) هذه العبارة مكتوبة في هامش (د)، (ت) وبعدها: منه منه.

(٥٨٠) انظر: النابلسيّ، *الحديقة الندّيّة*، ج ١، ص ١٦٣.

هذا، وكان عادة السلف الماضين والعلماء العاملين رضي الله عنهم، أنّهم يشدّدون على أنفسهم، ويُسهِّلون على غيرهم من عباد الله، شفقةً على الناس، وخوفًا على أنفسهم من التقصير، حتّى نقل الإمام القشيريّ في رسالته المكتوبة إلى جماعة الصوفيّة عن رويم ابن أحمد،(٥٨١) رحمه الله تعالى، أنّه كان يقول: من حكم الحكيم أن يوسِّع على إخوانه في الأحكام، ويُضيِّق على نفسه فيها.(٥٨٢) وقد ورد عن السلف الماضين، رحمهم الله تعالى، أنّهم كانوا يتركون من ورعهم سبعين بابًا من الحلال مخافةَ الوقوع في بابٍ من الحرام. وليس ذلك معصية في حقِّهم، بل أخذًا بالعزيمة. ذكر الإمام القشيريّ في تلك الرسالة في باب الورع، أنّه قال أبو بكر الصدّيق، رضي الله عنه: كنّا ندع سبعين بابًا من الحلال، مخافةَ أن نقع في الحرام. وقال، ﷺ، لأبي هريرة، رضي الله عنه: كن ورعًا تكن أعبد الناس.(٥٨٣) وقال بشر بن الحارث:(٥٨٤) أشدُّ الأعمال ثلاثة [٦٧] الجود في القلّة، والورع في الخلوة، وكلمة حقٍّ عند من يُخاف ويُرجى.(٥٨٥) وحُكي أنّه وقع من عبد الله بن مروان(٥٨٦) فلس في بئر قذرة، فاكترى عليه بثلاثة عشر دينارًا، حتّى أخرجه، فقيل له في ذلك، فقال: كان عليه اسم الله تعالى.(٥٨٧) وقال الحسن:(٥٨٨) مثقال ذرَّةٍ من الورع خير من ألف مثقالٍ من الصوم والصلاة.(٥٨٩) وأوحى الله إلى موسى، ﷺ: لم يتقرَّب إليَّ المتقرِّبون بمثل الورع. وقال أبو هريرة، رضي الله عنه:

(٥٨١) أبو الحسن رُوَيْم بن أحمد (وقيل ابن محمّد بن يزيد بن رُوَيْم) البغداديّ (ت. ٣٠٣هـ)، صوفيّ شهير، ظاهريّ المذهب، كان عالمًا بالقرآن ومعانيه.

(٥٨٢) القشيريّ، *الرسالة القشيريّة*، ص ٨٥.

(٥٨٣) القشيريّ، *الرسالة القشيريّة*، ص ٢١٠. انظر: *مسند أحمد*، ج ١٣، ص ٤٥٨-٤٥٩؛ و*سنن ابن ماجه*، ج ٥، ص ٢٩٩-٣٠٠؛ و*سنن الترمذيّ*، ج ٤، ص ١٢٧؛ و*الورع* لابن أبي الدنيا، تحقيق أبي عبد الله محمّد بن حمد الحمود (الكويت: الدار السلفيّة، ١٤٠٨/ ١٩٨٨)، ص ٤٠ و٤٧؛ و*مسند أبي يعلى*، ج ١٠، ص ٢٦٠ وج ١١، ص ١١٣، باختلاف.

(٥٨٤) أبو نصر بِشْر بن الحارث بن عبد الرحمن المَرْوَزِيّ ثمّ البغداديّ الزاهد، المعروف ببِشْر الحافي (ت. ٢٢٧هـ)، من كبار الصالحين، عُني بالعلم، وهو ثقة في الحديث، له في الزهد والورع أخبار.

(٥٨٥) القشيريّ، *الرسالة القشيريّة*، ص ٢١٢.

(٥٨٦) لعلّه عبد الله بن مروان بن محمّد الأمويّ (ت. نحو ١٧٠هـ)، من بقايا بني أميّة في الشام، شهد زوال دولتهم في أيّام أبيه. أو لعلّ المقصود أبو الوليد عبد الملك بن مروان بن الحكم الأمويّ القرشيّ، من خلفاء بني أميّة، نُقلت في أيّامه الدواوين إلى العربيّة، ت ٨٦هـ.

(٥٨٧) القشيريّ، *الرسالة القشيريّة*، ص ٢١١.

(٥٨٨) أبو سعيد الحسن بن يسار البصريّ (ت. ١١٠هـ)، العالم التابعيّ المشهور.

(٥٨٩) القشيريّ، *الرسالة القشيريّة*، ص ٢١٣.

جلساء الله غدًا أهل الورع والزهد. وقال سهل بن عبد الله: من لم يصحبه الورع أكل رأس الفيل ولم يشبع.[٥٩٠] وقيل: من دقّ في الدين نظره جلَّ في القيامة[٥٩١] خطره.[٥٩٢]

هذا، وللصالحين، رضي الله عنهم، في الورع أمور كثيرة سلفًا وخلفًا، لا تكاد تُحصى، وليس شيءٌ منها معصية، وما هي اقتصاد ولا توسّط في العمل، فليس الدين محصورًا في ذلك، حتّى يكون التعارض، بل قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ﴾[٥٩٣] أي: ثمّ أعطينا القرآن الذين اصطفيناهم من عبادنا، وهم علماء الأمّة من الصحابة وغيرهم، أو الأمّة بأسرهم؛ فإنَّ الله اصطفاهم على سائر الأمم، ﴿فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ﴾ بالتقصير في العمل به، ﴿وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ﴾ يعمل به في أغلب الأمر، ﴿وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾ بإذن ربّهم، بضمّ التعليم والإرشاد إلى العمل به بإرادة الله وتيسيره.[٥٩٤] وقيل: الظالم الجاهل المجرم، والمقتصد الذي خلط الصالح بالسيِّء، والسابق الذي ترجَّحت حسناته، بحيث صارت سيِّئاته مُكَفَّرة، وهو معنى قوله، ﷺ: أمّا الذين اقتصدوا، فأولئك يحاسَبون حسابًا يسيرًا، وأمّا الذين ظلموا أنفسهم، فأولئك يُحبسون في طول المحشر، ثمّ يتلقّاهم الله برحمته.[٥٩٥] وقيل: الظالم: الكافر، على أنّ الضمير للعباد، وتقديمه، لكثرة الظالمين؛ ولأنّ الظلم بمعنى الجهل والركون إلى الهوى مقتضى الجبلّة. قال الشاعر: [من الكامل]

والظلـمُ مِنْ شِـيَمِ النفـوسِ فـإنْ تجِدْ
ذا عِفَّـةٍ فَلِعلّـةٍ لا يَظْلِـمُ[٥٩٦]

---

(٥٩٠) الأقوال السابقة، من: «وأوحى الله إلى موسى» إلى هذا الموضع، من القشيريّ، *الرسالة القشيريّة*، ص ٢١٣.

(٥٩١) في الأصل: القيمة.

(٥٩٢) النابلسيّ، *الحديقة الندّية*، ج ١، ص ١٥٧. ومعظمها منقول من *الرسالة القشيريّة*.

(٥٩٣) سورة فاطر: ٣٢.

(٥٩٤) انظر: النابلسيّ، *الحديقة الندّية*، ج ١، ص ١٥٧–١٥٨.

(٥٩٥) انظر: *مسند أحمد*، ج ٣٦، ص ٥٧–٥٨؛ و*تفسير ابن أبي حاتم*، ج ١٠، ص ٣١٨٢؛ و*جامع المسانيد* لابن الجوزيّ، تحقيق عليّ حسين البوّاب (الرياض: مكتبة الرشد، ١٤٢٦/ ٢٠٠٥)، ج ٦، ص ٤٠٦؛ و*جامع المسانيد والسنن* لابن كثير، تحقيق عبد الملك بن عبد الله الدهيش (بيروت: دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٩/ ١٩٩٨)، ج ٩، ص ٣١٨–٣١٩، باختلاف يسير.

(٥٩٦) وهو من شعر المتنبّي.

والاقتصاد والتوسّط عارضان. هذا، فجعل [٦٨] سبحانه وتعالى الاقتصاد نوعًا من الدين، وأهَّله بعضًا ممّن اصطفاه سبحانه وتعالى.

وأمّا كلام أئمّتنا الحنفيّة، رضي الله عنهم، وغيرهم، في كراهة الرياضة، بتقليل الأكل، ففيمن يوصله ذلك إلى الهلاك. والسادة الصوفيّة، نفعنا الله بهم، عالمون بحرمة إلقاء النفس إلى التهلكة. وقوّتهم الروحانيّة التي كانوا يخرقون بها العادات تقدر على أكثر من ذلك، وكذلك من كان مثلهم. والله يخلق ما يشاء.(٥٩٧)

وإذا ثبت أنّ لما(٥٩٨) اعتاده هؤلاء السادة الأخيار أصلًا صحيحًا، ومأخذًا صريحًا(٥٩٩) من السنّة السنيّة، والأحاديث النبويّة، فلا اعتراض عليهم في ذلك، ولا منافاة فيما هنالك، واتّضح الحال وزالت الشبهة والاحتمال: [من الطويل]

لَقَدْ بانَ نَهْجُ الحَقِّ أظهَرَ ما يُرى

فَضَلَّ عَن النهْجِ القويمِ أُناسُ

[عقائد الصوفيّة مبنيّة على أصول صحيحة من التوحيد]

وأمّا عقائدهم، رضي الله عنهم، فقد بنوها على أصول صحيحة في التوحيد، بحيث وافقت أقاويل أهل الحقّ، سلفًا وخلفًا، من أهل السنّة والجماعة. وها أنا أذكر لك جملةً من كلامهم، دالّة على ذلك:

قال سيّد هذه الطريقة الجنيد البغداديّ، عليه رحمة الملك الهادي: التوحيد إفراد القدم من الحدوث.(٦٠٠) فبيَّن، رضي الله عنه، أنّ التوحيد أن يُميِّز بين القدم والحدوث، بين الخالق والمخلوق.

وسُئل أيضًا(٦٠١) عن التوحيد، فقال: إفراد المُوَحَّد بتحقيق وحدانيّته، وبكمال أحديَّته، أنّه

(٥٩٧) انظر: النابلسيّ، *الحديقة الندّيّة*، ج ١، ص ١٥٨.
(٥٩٨) (ت) ما.
(٥٩٩) (ت) – ومأخذًا صريحًا.
(٦٠٠) القشيريّ، *الرسالة القشيريّة*، ص ٢٤.
(٦٠١) (ت) + رحمه الله.

الواحد الأحد الذي لم يَلِدْ ولم يولد، بنفي الأضداد والأنداد والأشباه، بلا تشبيه ولا تكييف ولا تصوير ولا تمثيل، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[٦٠٢].[٦٠٣]

ويُحكى عن يوسف بن الحسين[٦٠٤] أنّه قال: قام رجل بين يدَي ذي النون المصريّ[٦٠٥] فقال: أخبرني عن التوحيد، ما هو؟ فقال: هو أن تعلم أنّ قدرة الله في الأشياء بلا مزاج، وصنعه للأشياء بلا علاج، وعلّةُ كلّ شيءٍ صنعه، ولا علّة لصنعه، وليس في السماوات العلى، ولا في الأرضين السفلى مُدَبِّرٌ غيرَ الله. وكلُّ ما تصوَّر في وهمك [٦٩] فالله بخلاف ذلك.[٦٠٦]

وقال بعض أهل التحقيق: معنى أنّه واحد، نفى القسيم لذاته، ونفى الشبيه عن حقّه وصفاته، ونفى الشريك معه، في أفعاله ومصنوعاته.[٦٠٧]

وقال أبو الحسن العنبريّ:[٦٠٨] سمعت سهل بن عبد الله يقول، وقد سئل عن ذات الله، فقال: ذات الله موصوفة بالعلم، غير مدركة بالإحاطة، ولا مرئيّة بالأبصار في دار الدنيا، وهي موجودة بحقائق الإيمان من غير إحاطة ولا حلول، وتراه العيون في العُقبى ظاهرًا في ملكه وقدرته. وقد حجب الخلق عن معرفة كنه ذاته، ودلّهم عليه بآياته. فالقلوب تعرفه، والعقول لا تدركه. ينظر إليه المؤمنون بالأبصار من غير إحاطة ولا إدراك نهاية.[٦٠٩]

وقال الجنيد أيضًا: التوحيد علمك وإقرارك بأنّ الله فرد واحد في أزليّته، لا ثاني معه، ولا شيء يفعل فعله.[٦١٠]

وقال أيضًا، رحمه الله، سئل بعض العلماء عن التوحيد، فقال: هو اليقين. فقال السائل:

---

(٦٠٢) سورة الشورى: ١١.

(٦٠٣) القشيريّ، *الرسالة القشيريّة*، ص ٢٦.

(٦٠٤) أبو يعقوب يوسف بن الحسين بن عليّ الرازيّ (ت. ٣٠٤هـ)، زاهد صوفيّ، من العلماء الأدباء، كثير السياحة، كان شيخ الرَّيّ والجبال في وقته، وهو من أقران ذي النون المصريّ.

(٦٠٥) ذو النون أبو الفيض ثوبان بن إبراهيم الإخميميّ المصريّ (ت. ٢٤٥هـ)، من كبار المتصوّفة.

(٦٠٦) القشيريّ، *الرسالة القشيريّة*، ص ٢٨.

(٦٠٧) شهاب الدين أحمد بن محمّد القسطلّانيّ، *إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري*، ضبط محمّد عبد العزيز الخالدي (بيروت: دار الكتب العلميّة، ١٩٩٦)، ج ١٥، ص ٣٢٩.

(٦٠٨) أبو الحسن عمر بن واصل العنبريّ البصريّ، قاصٌّ صوفيّ، سكن بغداد، وروى بها عن سهل التُّسْتَريّ.

(٦٠٩) القشيريّ، *الرسالة القشيريّة*، ص ٤٩٥.

(٦١٠) القشيريّ، *الرسالة القشيريّة*، ص ٢٩.

بيِّنْ لي ما هو. فقال: هو معرفتك أنّ حركات الخلق وسكونهم فِعْلُ الله، عزّ وجلّ، وحده لا شريك له، فإذا علمت ذلك فقد وحّدْتَ.(٦١١)

وسئل أبو عليّ الروذباريّ عن التوحيد، فقال: التوحيد استقامة القلب بإثبات مفارقة التعطيل وإنكار التشبيه. والتوحيد في كلمة واحدة: كلّ ما صوَّره الأوهام والأفكار، فالله سبحانه يخالفه، لقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾(٦١٢). (٦١٣)

وقيل ليحيى بن معاذ الرازيّ: أخبرني عن الله فقال: إله(٦١٤) واحد. فقيل له: كيف هو؟ فقال: ملك قادر. فقيل: أين هو؟ فقال: ما كان غير ذلك كان صفة المخلوق. فأمّا صفته، فما أخبرتك.(٦١٥)

وسأل ابن(٦١٦) شاهين(٦١٧) الجنيد عن معنى «مع»، فقال: معنى «مع» على معنيين: مع الأنبياء بالنصرة والكلاءة: قال الله تعالى:(٦١٨) ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾(٦١٩) ومع العامّة بالعلم والإحاطة؛ قال الله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ [٧٠] مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾(٦٢٠) الآية. فقال ابن شاهين: مثلك يصلح دالًّا للأمّة(٦٢١) على الله.(٦٢٢)

وسئل ذو النون المصريّ عن قوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾(٦٢٣) فقال: أثبت ذاته ونفى إمكانه، فهو موجود بذاته، والأشياء موجودة بحكمه، كما شاء.(٦٢٤)

(٦١١) القشيريّ، *الرسالة القشيريّة*، ص ٣١.
(٦١٢) سورة الشورى: ١١.
(٦١٣) القشيريّ، *الرسالة القشيريّة*، ص ٣٢.
(٦١٤) (ت) له.
(٦١٥) القشيريّ، *الرسالة القشيريّة*، ص ٣٣.
(٦١٦) (د) – ابن.
(٦١٧) أبو حَفْص عمر بن أحمد بن شاهين (ت. ٣٨٥هـ)، واعظ علّامة، من أهل بغداد، كان من حفّاظ الحديث، له تصانيف كثيرة.
(٦١٨) (ت) – قال الله تعالى.
(٦١٩) سورة طه: ٤٦.
(٦٢٠) سورة المجادلة: ٧.
(٦٢١) (ت) للآية.
(٦٢٢) القشيريّ، *الرسالة القشيريّة*، ص ٣٤.
(٦٢٣) سورة طه: ٥.
(٦٢٤) القشيريّ، *الرسالة القشيريّة*، ص ٣٤.

وقال جعفر الصادق: من زعم أنّ الله في شيء، أو من شيء، أو على شيء، فقد أشرك؛ إذ لو كان على شيء لكان محمولًا، ولو كان في شيء لكان محصورًا، ولو كان من شيء لكان محدثًا.[٦٢٥]

وسئل أبو الحسن عليّ بن محمّد المزيّن[٦٢٦] عن التوحيد، فقال: أن تعلم أنّ أوصافه بائنة[٦٢٧] لأوصاف خلقه؛ باينهم بصفاته قدمًا، كما باينوه بصفاته حدثًا.[٦٢٨]

قال الإمام القشيريّ في رسالته:

> قال شيوخ هذه الطريقة، على ما يدلّ عليه متفرّقات كلامهم ومجموعاتها، ومصنّفاتهم في علم التوحيد: إنّ الحقّ، سبحانه وتعالى، موجودٌ قديم، واحد، حكيم، جواد، قادر، عليم، فاطر، قاهر، رحيم، مريد، سميع، مجيد، رفيع، متكلّم، بصير، متكبِّر، قدير، حيٌّ، أحد، باقٍ، صمد؛ وأنّه عالم بعلم، قادرٌ بقدرة، مريد بإرادة، سميع بسمع، بصير ببصر، متكلّم بكلام، حيّ بحياة، باقٍ ببقاء؛ وله يدان، هما صفتان، يخلق بهما ما يشاء على التخصيص؛ وله الوجه الجميل؛ وصفاته ذاته، مختصّة بذاته. لا يقال هي هو، ولا هي أغيار له، بل[٦٢٩] صفات له أزليّة، ونعوت سرمديّة، وأنّه أَحَدِيُّ الذات، ليس يشبه شيئًا من المصنوعات ولا يشبهه شيء من المخلوقات. ليس بجسم ولا جوهر، ولا صفاته أعراض، ولا يُتَصَوَّرُ في الأوهام، ولا يتقدَّر في العقول، ولا له جهة ولا مكان، ولا يجري عليه وقتٌ وزمان ولا يجوز في وصفه زيادة ولا نقصان، ولا يخصُّه هيئةٌ وقدّ، ولا يقطعه نهايةٌ وحدّ، ولا يحلّه حادث، ولا يحمله على الفعل باعث، ولا يجوز عليه لونٌ ولا كون، ولا ينصره مَدَدٌ ولا عون، ولا يخرج [٧١] عن قدرته مقدور، ولا ينفكّ عن حكمه مفطور، ولا يعزب عن علمه معلوم، ولا هو على فعله كيف يصنع وما يصنع ملوم. لا

(٦٢٥) القشيريّ، *الرسالة القشيريّة*، ص ٣٥.

(٦٢٦) أبو الحسن عليّ بن محمّد المزيّن (ت. ٣٢٨هـ)، ويُعرف بأبي الحسن المزيّن الصغير، بغداديّ، من مشايخ الصوفيّة، صحب الجُنَيد وسهل بن عبد الله التُّسْتَريّ.

(٦٢٧) في (د)، (ت) ورد: باينة.

(٦٢٨) القشيريّ، *الرسالة القشيريّة*، ص ١١١. حاشية في هامش (ت) مفادها: مبحث صفات الله تعالى.

(٦٢٩) (ت) + هي.

يقال له: أين، ولا حيث، ولا كيف. ولا يستفتح له وجود فيقال: متى كان. ولا ينتهي له بقاء فيقال: استوفى الأجل والزمان. ولا يقال: لِـمَ فعل ما فعل، إذ لا علّة لأفعاله. ولا يقال: ما هو؟ إذ لا جنس له، فيتميّز بأمارة عن أشكاله. يَرى لا عن مقابلة، ويُرى لا على مقابلة. ويصنع لا بمباشرة ومزاولة. له الأسماء الحسنى، والصفات العلى. يفعل ما يريد، ويُذلّ بحكمه[٦٣٠] العبيد. لا يجري في سلطانه إلّا ما يشاء، ولا يحصل في ملكه غير ما سبق به القضاء. ما عَلِمَ أنّه يكون من الحادثات أراد أن يكون، وما عَلِمَ أنّه لا يكون ممّا جاز أن يكون أراد أن لا يكون. خالق أكساب العباد خيرها وشرّها، ومبتدع ما[٦٣١] في العالم من الأعيان والآثار، قليلها وكثيرها، ومرسل الرسل إلى الأمم من غير وجوب عليه، ومتعبّد الأنام على لسان الأنبياء، عليهم الصلاة والسلام. لا سبيل لأحد باللوم والاعتراض عليه. ومؤيّد نبيّنا محمّد، ﷺ، بالمعجزات الظاهرة والآيات الزاهرة، بما زاح به العذر، وأوضح به اليقين والفكر. وحافظ بيضة الإسلام بعد وفاته، ﷺ، بخلفائه. ثمّ حارس الحقِّ وناصره، بما يوضحه من حجج الدين على ألسنة أوليائه. عصم الأمّة الحنفيّة عن الاجتماع على ضلالة، وحَسَم مادّة الباطل بما نصب من الدلالة. وأنجز ما وعده من نصرة الدين، بقوله: ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾.[٦٣٢] فهذه أصول مشايخ الصوفيّة على وجه الإيجاز وبالله التوفيق.[٦٣٣] انتهى.

[مسألة السماع عند الصوفيّة]

وأمّا ميلهم رضي الله عنهم إلى سماع الغناء الذي اجتمع على حرمته أئمّة المجتهدين وأرباب [٧٢] المعرفة واليقين، كما حُكي عنهم، رحمهم الله،[٦٣٤] فلإباحته في حقّهم، بل لاستحبابه عندهم. قال صاحب الخيريّة، عليه رحمة ربّ البريّة، (بعد أن قرّر الخلاف في ذلك:

(٦٣٠) (ت) لحكمه.
(٦٣١) (ت) – ومبتدع ما، + ومبدعها.
(٦٣٢) سورة التوبة: ٣٣؛ وسورة الصفّ: ٩.
(٦٣٣) القشيريّ، *الرسالة القشيريّة*، ص ٣٨.
(٦٣٤) (د) – الله.

وأمّا سماع السادة الصوفيّة، رحمهم الله تعالى، فبمعزل عن هذا الخلاف، بل ومرتفع عن درجة الإباحة إلى رتبة المستحبّ، كما صرَّح به غير واحدٍ من المحقّقين).[٦٣٥] سئل الشيخ عزّ الدين بن عبد السلام عن السماع الذي يُعمل في هذا الزمان في مجالس الذكر، فأجاب بما صورته: أمّا سماع ما يُحرِّك الأحوال السنيّة الـمُذكِّرة للآخرة، فمندوب إليه. وقال في قواعده الكبرى عند ذكر السماع: من كان عنده هوًى مباح، كعشق زوجته وأمته، فسماعه لا بأس به. ومن يدعوه هوًى مُحرَّم، فسماعه حرام. ومن قال لا أجد في نفسي شيئًا من الأقسام، فالسماع مكروه في حقّه، وليس بمحرّم، انتهى.[٦٣٦] انتهى[٦٣٧] كلام صاحب الخيريّة.

وقال المولى الشهير بعليّ القاري،[٦٣٨] بعد أن قرَّر حرمة استماع الغناء، واستدلّ عليه بالكتاب والسنّة وأقوال الأئمّة من علماء الأمّة: وأمّا من له قلب سليم وسمع مستقيم، فله أن يسمع الحقّ بالحقّ من الحقّ، وهذا إنّما يكون إذا كان المريد في مقام المزيد. قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾[٦٣٩] يعني مَن تجاوز[٦٤٠] المجاهدة ووصل إلى المشاهدة؛ فإنّ المراتب ثلاثة: إسلام، وإيمان، وإحسان، وهو أن تعبد الله كأنّك تراه، فإن لم تكن تراه، فإنّه يراك.

هذا، والحاصل أنّه لا كلام في جواز سماع الغناء لمن جاوز الأحوال والمقامات، ففني عن نفسه وأحواله، أي نسيها، ولم يبقَ له التفات إليها، كما لم يكن للنسوة التي برز لهنّ يوسف التفات إلى اليد والسكّين، ويسمع بالله ولله وفي الله ومن الله. لكنّ المتحقّقين من أهل هذه الطائفة العليّة انقرض أكثرهم، بل لم يبقَ في زماننا هذا إلّا أثرهم. قال أبو العبّاس أحمد

(٦٣٥) هذه الفقرة مكتوبة في هامش (د) بخطّ المؤلّف، ولم ترد في (ت).
(٦٣٦) خير الدين الرمليّ، *الفتاوى الخيريّة*، ج ٢، ص ١٨٣-١٨٤.
(٦٣٧) انتهى، مكرّرة في (ت).
(٦٣٨) حاشية في (ت) مفادها: «بعد أن قرّر الخلاف في ذلك: وأمّا سماع السادة الصوفيّة، رحمهم الله تعالى، فبمعزل عن هذا الخلاف، بل ومرتفع عن درجة الإباحة إلى رتبة المستحبّ، كما صرَّح به غير واحدٍ من المحقّقين». وهذه الحاشية وردت في هامش (د) وأثبتناها في المتن في الفقرة السابقة، إذ لا يمكن أن يكون القول لعليّ القاري وقد ذُكر سابقًا أنّه لصاحب الخيريّة.
(٦٣٩) سورة ق: ٣٧.
(٦٤٠) (ت) يجاوز.

ابن محمّد الدينوريّ:[٦٤١] نقضوا أركان التصوّف، وهدموا سبيلها، وغيَّروا معانيها بأسامٍ[٦٤٢] أحدثوها؛ فسمّوا اتّباع الهوى ابتلاءً والرجوع إلى الدنيا وصولًا، وسوء الخلق صولة.

[وصيّة: المرء مع من أحبّ]

[٧٣] هذا، ووصيّتي لنفسي ولكلّ مسلم: تقوى الله في السرّ والعلن، ومحبَّةُ الصالحين التابعين له، ﷺ، في الآداب والسنن، مع التأدّب بالآداب المحمّديّة ما أمكن.

> قال في *شرح الجامع الصغير* للمناويّ، في قوله، ﷺ: «من أحبّ قومًا حشره الله في زمرتهم»؛[٦٤٣] [فـ]من أحبّ أولياء الرحمن فهو معهم في الجنان، ومن أحبّ حزب الشيطان فهو معهم بالنيران. فيه بشارة عظيمة لمن أحبّ الصوفيّة، أو تشبّه بهم، (وأنّه يكون – مع تفريطه بالقيام بما هو عليه – في الجنّة. ومن تشبّه بهم)[٦٤٤] إنّما فعل ذلك لمحبّته إيّاهم، ومحبّته لهم لا تكون إلّا لتنبّه روحه لما تنبَّهت له أرواحهم: لأنّ محبّة الله محبّة أمره وما يقرّب إليه. ومن تقرَّب منهم يكون بجاذب الروح، لكنّ المتشبّه تَعَوَّق بظلم النفس، والصوفيّ خلص من ذلك.[٦٤٥] انتهى.

(٦٤١) أبو العبّاس أحمد بن محمّد الدَّيْنَوَرِيّ (ت. بعد ٣٤٠هـ)، عالم وواعظ، من أفتى المشايخ في زمنه، صحب يوسف بن الحُسين ولقيَ رُوَيْمًا وأبا العبّاس بن عطاء.

(٦٤٢) ورد في (د)، (ت) بأسامي.

(٦٤٣) ورد هنا في النسختين عبارة: وقوله ﷺ، ويبدو لنا أنّها خطأ من الناسخ، ووضعها في المتن سيوهم أنّ بداية الجملة التالية حديث وهي ليست كذلك وإنّما هي عبارة المناويّ. وانظر الحديث في: *المعجم الكبير* للطبرانيّ، ج ٣، ص ١٩؛ *والمعجم الأوسط* للطبرانيّ، ج ٦، ص ٢٩٣؛ *والكامل في ضعفاء الرجال* لأبي أحمد بن عديّ الجرجانيّ، ج ١، ص ٤٩٢؛ *والمستدرك على الصحيحين* للحاكم النيسابوريّ، ج ٣، ص ١٨، باختلاف.

(٦٤٤) ما بين قوسين ورد في هامش (ت)، وبعده صح. وهو من نصّ كتاب *الانتصار* للملّا يوسف بن عبد الجليل بن مصطفى الخضريّ الكرديّ الحنفيّ الموصليّ، كما هو موثّق في آخر الاقتباس.

(٦٤٥) ورد في المناويّ، *فيض القدير*، ج ٦، ص ٤٢، قوله: «(من أحبّ قومًا حشره الله في زمرتهم)، فمن أحبّ أولياء الرحمن فهو معهم في الجنان ومن أحبّ حزب الشيطان فهو معهم في النيران». وهذه العبارة كما نرى ليست حديثًا وإنّما هي تعليق المناويّ. والفقرة جميعها من بداية: وقال في *شرح الجامع الصغير* للمناويّ... مقتبسة من كتاب *الانتصار للأولياء الأخيار*، لمؤلّفه الملّا يوسف بن عبد الجليل بن مصطفى الخضريّ الكرديّ الموصليّ الحنفيّ، (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٧)، ص ٢٠٣. ومؤلّف *الانتصار* موصليّ حنفيّ معاصر للدملوجيّ.

قلت: والأحاديث في ذلك كثيرة، منها ما رواه الشيخان وغيرهما عن ابن مسعود، رضي الله تعالى عنهما، قال: جاء رجل إلى النبيّ، ﷺ، فقال: يا رسول الله، كيف تقول في رجل أحبَّ قومًا ولم يلحق بهم؟ فقال رسول الله، ﷺ: المرء مع من أحبّ.(٦٤٦) ومنها ما رووه أيضًا عن أنس، رضي الله عنه، أنَّ رجلًا، قال: يا رسول الله، متى الساعة؟ قال: ويلك، ما أعددتَ لها؟ قال: ما أعددتُ لها إلّا أنّي أحبّ الله ورسوله. قال: أنت مع من أحببت. قال أنس، رضي الله عنه: فما رأيت المسلمين فرحوا بشيء بعد الإسلام فرحهم بها. كذا في المشكاة.(٦٤٧) (٦٤٨)(وفي لفظ آخر عن أبي أمامة: يا ابن آدم، لك ما نويت، وعليك ما اكتسبت، ولك ما احتسبت، وأنت مع من أحببت. وفي آخر عن أبي قرصافة:(٦٤٩) من أحبّ قومًا ووالاهم حشره الله فيهم. وفي آخر عن جابر:(٦٥٠) من أحبَّ قومًا على أعمالهم حُشِرَ معهم يوم القيامة. وفي لفظ: حُشِرَ في زمرتهم. وفي سنده أبو يحيى التميميّ(٦٥١) ضعيف.(٦٥٢) وهذا الحديث، كما قال بعض العلماء: وعنى، عليه الصلاة والسلام، أنَّه إذا أحبّهم عمل بمثل أعمالهم. ومن ثَمَّة قال الحسن البصريّ، كما رواه عنه العسكريّ:(٦٥٣) لا تغترّ يا ابن آدم بقوله: ﷺ: أنت مع من

(٦٤٦) انظر: *صحيح البخاريّ*، ج ٨، ص ٣٩؛ و*صحيح مسلم*، ج ٤، ص ٢٠٣٤؛ و*سنن أبي داود*، ج ٧، ص ٤٤٦؛ و*سنن الترمذيّ*، ج ٤، ص ١٧٣ و١٧٤ وج ٥، ص ٤٣٦ و٤٣٧؛ و*السنن الكبرى* للنسائيّ، ج ١٠، ص ٩٧.

(٦٤٧) انظر: *صحيح البخاريّ*، ج ٨، ص ٤٠ وج ٩، ص ٦٤؛ و*صحيح مسلم*، ج ٤، ص ٢٠٣٢ و٢٠٣٣؛ و*سنن الترمذيّ*، ج ٤، ص ١٧٣؛ و*مسند البزّار*، ج ١٢، ص ٣٤٠ و٣٦٢ و٣٦٣ وج ١٣، ص ٢٥٢؛ و*مشكاة المصابيح* للتبريزيّ، تحقيق محمّد ناصر الدين الألبانيّ (بيروت: المكتب الإسلاميّ، ١٩٨٥)، ج ٣، ص ١٣٩٥ و١٣٩٦.

(٦٤٨) الكلام الموضوع بين قوسين، من هذا القوس حتّى قوله: «أورده البيهقيّ»، كُتب في هوامش هذه الصفحة وهوامش الصفحتين التاليتين (د)، وقد ورد في متن (ت).

(٦٤٩) أبو قِرْصافة جَنْدَرة بن خَيْشَنة الكِنانِيّ، صحابيّ، نزل الشام واستوطن عَسْقَلان، له أحاديث.

(٦٥٠) أبو عبد الله (وورد أبو عبد الرحمن) جابر بن عبد الله بن عمرو بن حَرام الخزرجيّ الأنصاريّ السلميّ (ت. ٧٨هـ)، صحابيّ، من المكثرين في الرواية عن النبيّ وروى عنه جماعة من الصحابة.

(٦٥١) (ت) التيمي. أبو يحيى زكريّا بن عديّ التميميّ (أو التيميّ) الكوفيّ (ت. ٢١٢هـ)، نزيل بغداد، محدّث صالح ثقة.

(٦٥٢) انظر: محمّد بن عبد الرحمن السخاويّ، *المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة*، تحقيق محمّد عثمان الخشت (بيروت: دار الكتاب العربيّ، ١٤٠٥/ ١٩٨٥)، ص ٥٩٨–٥٩٩.

(٦٥٣) أبو هلال الحسن بن عبد الله العَسْكَريّ (ت. بعد ٣٩٥هـ)، عالم باللغة والأدب، له شعر ومصنَّفات كثيرة.

أحببت؛ فإنَّ من أحبَّ قومًا اتَّبع آثارهم. واعلم أنّك لا تلحق بالأخيار حتّى تتّبع آثارهم،[٦٥٤] وحتّى تأخذ بهديهم، وتقتدي بسنّتهم، وتصبح وتمسي على مناهجهم، حرصًا على أن تكون منهم. وما أحسن ما قيل: [من الكامل]

تَعْصي الإلَهَ وأنتَ تُظهِرُ حُبَّهُ
هذا لَعَمْري في القِياسِ بَديعُ
لَوْ كانَ حُبُّكَ صادقًا لَأَطَعْتَهُ
إنَّ المُحِبَّ لِمَنْ يُحِبُّ مُطيعُ[٦٥٥]

قلت: ويؤيّده ما رُوي أنّ عبد الله وحفصة[٦٥٦] أولاد[٦٥٧] عمر، رضي الله عنهم، قالا لسيّدنا عمر، رضي الله عنه:[٦٥٨] لو أكلت طيّبًا كان أقوى للمرء[٦٥٩] على الحقّ. قال:[٦٦٠] أكُلُّكم على هذا الرأي؟ قالوا: نعم. قال: لقد علمت نصحكم، ولكن تركت صاحبيَّ على جادّة،[٦٦١] فإن تركتُ جادَّتهما لم أدركهما في المنزل.[٦٦٢] انتهى. لكن قد يدلُّ للعموم قوله، ﷺ: المرء مع

(٦٥٤) هنا يبدأ هامش الصفحة التالية.

(٦٥٥) وردت هذه الأبيات في الكثير من المصادر منسوبةً لعددٍ من الأعلام. ففي *الجامع لشعب الإيمان* للبيهقيّ نسبها لرابعة العدويّة، انظر: أبو بكر أحمد البيهقيّ، *الجامع لشعب الإيمان*، ج ٢، ص ٤٥. وفي *شرح صحيح البخاريّ* لابن بطّال وردت هذه الأبيات منسوبة لمحمود الورّاق، انظر: أبو الحسن عليّ بن خلف بن عبد الملك ابن بطّال، *شرح صحيح البخاريّ*، تحقيق أبو تميم ياسر بن إبراهيم (السعوديّة: مكتبة الرشد، د.ت)، ج ١، ص ٦٧. وفي *شرح عين العلم* نسبها ملّا علّي القاري إلى عبد الله بن المبارك، انظر: ملّا عليّ القاري الهرويّ، *شرح عين العلم وزين الحلم* (القاهرة: دار الثقافة الدينيّة)، ج ٢، ص ١٧٣.

(٦٥٦) حفصة بنت عمر بن الخطّاب (ت. ٤٥هـ)، صحابيّة جليلة، من أزواج النبيّ.

(٦٥٧) كذا في الأصل، وحقّها أن تكون «ولدَي».

(٦٥٨) (د) – عنه.

(٦٥٩) (ت) لك.

(٦٦٠) هنا يبدأ الكلام المكتوب في هامش الصفحة التالية.

(٦٦١) (ت) هذه الجادة.

(٦٦٢) ورد الأثر عن عمر بن الخطّاب رضي الله عنه في عدّة مصادر، انظر مثلًا: جلال الدين السيوطيّ، *تاريخ الخلفاء* (قطر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلاميّة، ط ٢، ٢٠١٣)، ص ٢٣٣؛ وشمس الدين محمّد الذهبيّ، *سير أعلام النبلاء*، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا (بيروت: دار الكتب العلميّة، ٢٠١٠)، ج ٢، ص ٣٢٣؛ وابن حجر الهيتميّ، *الصواعق المحرقة في الردّ على أهل البدع والزندقة* (بيروت: دار الكتب العلميّة، ٢٠٠٩)، ص ١٥٨.

من أحبّ، لمن قال له: المرء يحبّ القوم ولـمّا يلحقْ بهم. وسأل رجل من أهل بغداد أبا عثمان الواعظ:[٦٦٣] متى يكون الرجل صادقًا في حبِّ مولاه. فقال: إذا خلا من خلافة كان صادقًا في حبّه. قال:[٦٦٤] فوضع الرجل التراب على رأسه وصاح وقال: كيف أدّعي حبَّه، ولم أخلُ طرفةَ عين من خلافه؟! قال: فبكى[٦٦٥] أبو عثمان وأهل المجلس، فصار[٦٦٦] أبو عثمان يقول في بكائه: صادقٌ في حبّه، مُقَصِّرٌ في حقّه. أورده البيهقيّ).[٦٦٧]

ومنها: قوله،[٦٦٨] ﷺ: من تشبَّه بقوم حُشِرَ معهم،[٦٦٩] ومن كثّر سواد قوم فهو منهم.[٦٧٠]

وقال العلّامة الشيخ أحمد [٧٤] بن الخطيب القسطلّانيّ[٦٧١] في كتابه *إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري*، في شرح قوله ﷺ: «اللهمّ اجعل أتباعهم منهم»:[٦٧٢] وفيه التنبيه على

(٦٦٣) أبو عثمان سعيد بن إسماعيل الحيريّ النيسابوريّ (ت. ٢٩٨هـ)، إمام محدّث وواعظ من المتصوّفة.

(٦٦٤) (ت) فقال.

(٦٦٥) التكملة هنا من هامش الصفحة ٧٤ من (د).

(٦٦٦) (ت) وصار.

(٦٦٧) من قوله: « وسأل رجل من أهل بغداد» إلى هذا الموضع من *مسند أحمد*، ج ٦، ص ٢٦١، باختلاف يسير.

(٦٦٨) (ت) – «أوردها البيهقي. ومنها: قوله»، + «وروى البيهقي عنه».

(٦٦٩) انظر: *مصنّف ابن أبي شيبة*، ج ٤، ص ٢١٢ و٢١٦ وج ٦، ص ٤٧٠ و٤٧١؛ و*مسند أحمد*، ج ٩، ص ١٢٣ و١٢٦ و٤٧٨؛ و*سنن أبي داود*، ج ٦، ص ١٤٤؛ و*مسند البزّار*، ج ٧، ص ٣٦٨ وج ١٥، ص ٢٠٤؛ و*المعجم الأوسط* للطبرانيّ، ج ٨، ص ١٧٩؛ و*السنن الكبرى* للبيهقيّ، ج ٩، ص ٣٩٢، بروايتَين مُختلفتَين.

(٦٧٠) انظر: *الزهد والرقائق* لابن المبارك، حقّقه وعلّق عليه حبيب الرحمن الأعظميّ (الهند: نَشْر محمّد عفيف الزعبي، د.ت)، ج ٢، ص ١٢؛ *وأدب الدنيا والدين* للماورديّ، تحقيق محمّد كريم راجح (بيروت: دار مكتبة الحياة، ١٩٨٦)، ص ١٤٩؛ وبحر *المذهب* للرُّويانيّ، تحقيق طارق فتحي السيّد (بيروت: دار الكتب العلميّة، ٢٠٠٩)، ج ٩، ص ٢٤٢ وج ١٣، ص ٣٢١؛ وشرح *السُّنّة* للبغويّ، تحقيق شعيب الأرنؤوط ومحمّد زهير الشاويش (دمشق – بيروت: المكتب الإسلاميّ، ١٤٠٣/ ١٩٨٣)، ج ٩، ص ١٤٩؛ و*المقاصد الحسنة* للسخاويّ، ص ٦٦٧، باختلافٍ في النسبة والرواية.

(٦٧١) أبو العبّاس شهاب الدين أحمد بن محمّد القَسْطَلّانيّ القُتَيبيّ المصريّ (ت. ٩٢٣هـ)، من علماء الحديث، له *إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري* وتصانيف أُخرى.

(٦٧٢) انظر: *مصنّف ابن أبي شيبة*، ج ٦، ص ٤٠٠؛ و*مسند أحمد*، ج ٣٢، ص ٨٥؛ و*صحيح البخاريّ*، ج ٥، ص ٣٢؛ و*المعجم الكبير* للطبرانيّ، ج ٥، ص ١٦٩؛ و*المستدرك على الصحيحين* للحاكم النيسابوريّ، ج ٤، ص ٩٥.

شرف صحبة الأخيار. وَصَحَّ: المرءُ مع من أحبّ. وتأمّل تأثير الصحبة في كلّ شيء، حتّى بواشق الطير بالصحبة رفعت على أيدي الملوك، حتّى في الحطَب، بصحبة[٦٧٣] النجّار[٦٧٤] تعتق من النار. فعليك بصحبة الأخيار.[٦٧٥] انتهى.

ثمّ هذا الحديث الشريف، قاله، ﷺ لمّا قالت الأنصار: يا رسول الله، لكلّ قومٍ أتباع، وإنَّا قد اتَّبعناك فادعُ اللهَ أن يجعل أتباعنا منّا.[٦٧٦] وقوله: أتْباع[٦٧٧] (هو بفتح الهمزة وسكون الفوقيّة). وقوله: قدِ اتَّبعناك (بوصل الهمزة وتشديد الفوقيّة). وقوله أتْباعنا (بقطع الهمزة وسكون الفوقيّة). وقوله: منّا (أي من الأنصار)، بأن يقال لهم الأنصار، فيدخلوا في الوصيّة وبالإحسان وغيره. وقيل: معناه متَّصلين بنا، مقتفين آثارنا بإحسان، ليكون لهم ما جعل لنا من العزِّ والشرف.

هذا، وقال الإمام القشيريّ في رسالته:

> وحُكي عن بعضهم أنّه قال: رأيت في المنام رسول الله، ﷺ، وحوله جماعة من الفقراء. فبينما هو كذلك، إذ نزل من السماء ملكان، وبيد أحدهما طست، وبيد الآخر إبريق، فوضع الطست بين يدَي رسول الله، ﷺ، فغسل يده، ثمّ أمر حتّى غسلوا أيديَهم، ثمّ وُضِعَ الطستُ بين يديّ، فقال أحدهما للآخر: لا تصبَّ على يده، فإنّه ليس منهم. فقلت: يا رسول الله، أليس قد روي عنك أنّك قلت: المرء مع من أحبّ؟ فقال: نعم. فقلتُ: أنا أحبُّك، وأحبُّ هؤلاء الفقراء. فقال، ﷺ: صبَّ على يديه،[٦٧٨] فإنّه منهم.[٦٧٩]

[التحذير من مدّعي الولاية]

هذا، لكن ينبغي لك أن لا تفرط في المحبّة بالاعتقاد بولاية كلّ من يدّعيها [٧٥] إذ رُبَّ

(٦٧٣) (ت) وصحبة.
(٦٧٤) (د) الأحباء، (ت) الأخيار. وما أثبتناه من المطبوع، وهو أنسب للسياق.
(٦٧٥) القسطلّانيّ، *إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري*، ج ٨، ص ٢٦٤.
(٦٧٦) انظر تخريج الحديث آنفًا.
(٦٧٧) (ت) أتباعنا.
(٦٧٨) (ت) يده.
(٦٧٩) القشيريّ، *الرسالة القشيريّة*، ص ٦١٢.

جاهل فاجر، بل بليد كافر، يدّعي تلك المرتبة الجليلة، وشتّان ما بينهما. بل من يعتقد في مثل ذلك الولاية، إمّا يخرج من ربقة طريقة المؤمنين، أو يدخل في زمرة الناقصين القاصرين.

وللتمييز بين الطيّب والخبيث علامات، أعظمها: المواظبة على الواجبات العلميّة والعمليّة، والمجانبة عن الكبائر الفعليّة والقوليّة، مع صحّة الاعتقاد على الوجه الشرعيّ. فمن لم يكن على هذين الحالين، ويدّعي الكرامة أو الولاية، فإنّه فاجرٌ شرّير، يستحقّ الحبس والتعزير.

قال المشايخ، رضي الله عنهم: علائم الوليّ ثلاثة: إنصافٌ عن قوّة، تواضع عن رفعة، زهد عن قدرة.[٦٨٠] ومعنى الأوّل هو أن يصل الإنسان بقوّة علمه إلى أن يُجوِّز شيئًا محالًا، بالدليل العقليّ والنقليّ، كما ذُكر في مناقب إمامنا الأعظم أبي حنيفة رضي الله عنه، أنّه لـمّا سُئل الإمام مالك،[٦٨١] رضي الله عنه: كيف رأيت أبا حنيفة، رضي الله عنه؟ فقال: رأيته لو قال لهذه السارية إنّها من ذَهَب، أقام عليها البرهان. وكما قيل: [كان] شَخْصٌ من أهل العلم في بلد، فقال: لحم الفيل حلال، من يقول بحرمته بحث معي. فحضر العلماء، وبحثوا عن هذه المسألة، فقرّر هذا الشخص حَلَّ لحم الفيل، حتّى قبلوا جميعهم. ثمّ قال: لحم الفيل حرام، وقرّر حرمته، حتّى قبلوا جميعهم حرمته. ثمّ قال: أنا كنت مقرًّا بحرمته، ومقصدي[٦٨٢] من هذا البحث معرفة غاية علمكم.[٦٨٣] فالمقصود أنّ الشخص إذا وصل علمه إلى هذه الغاية، ثمّ تكلّم في مسألة، أو ألّف كتابًا – والإنسان لا يخلو في كلامه أو تأليفه من غلط أو سهو – فإذا قال له شخصٌ من أدنى تلامذته أو صبيّ، أو شخص عامّيّ في مجلسه، في محضر من الناس: يا سيّدي، هذا الذي قلتم غلط، أو سهو منكم، أو على غير [٧٦] الصواب في الواقع، وعلم ذلك الغلط، أنصف من نفسه، وشكره على ذلك، واعترف بغلطه. ولا يجيبه بقوّة علمه بما يصلح غلطه بالتكلّف وإقامة الدلائل والبراهين لإثبات كلامه تعصّبًا؛ لأنّ الذي يجوّز

(٦٨٠) وردت في الكثير من المصادر منسوبةً إلى أبي عبد الله السجزيّ، أقدمها *طبقات الصوفيّة* للسلميّ، ص ٢٠٢.

(٦٨١) أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك الأصبحيّ الحميريّ (ت. ١٧٩هـ)، أحد الأئمّة الأربعة عند أهل السنّة، وإليه تُنسب المالكيّة، مولده ووفاته في المدينة.

(٦٨٢) (ت) ومقصودي.

(٦٨٣) وردت هذه القصّة في كتاب محمّد الحسينيّ العامليّ، *اثنى عشريه في المواعظ العددية* (قم: مكتبة المصطفوي، د.ت)، ص ١٤٠.

الـمُحال لا يعسر عليه توجيه غلطه. فهذا معنى إنصاف عن قوّة، وهذا لا يكون إلّا للوليّ. ومعنى الثاني – وهو: تواضع عن رفعة – هو: أنّ الشخص إذا توسّع جاهه، بحيث إنّ الملوك والأمراء يخدمونه ويحضرون في مجلسه، قائمين بالإذن[٦٨٤] في حضرته، فجاءه شخص من أراذل الناس كالدبّاغين والكنّاسين، وقال: يا سيّدي الشيخ، تفضَّلوا إلى بيتي، إنّ لي إليكم حاجة، قام في الحال وراح إلى بيته، وقضى حاجته ثمّ رجع إلى مجلسه. وهذا معنى تواضع عن رفعة. ولا يقدر على هذا إلّا وليّ. ومعنى الثالث – وهو: زهد عن قدرة – : أنّ الزهد على نوعين: زهد عن عجز، وزهدٌ عن قدرة. فالعاجز الذي لا يأخذ الدنيا مخافةَ أن يقع في محذور فيتركها قطعًا للمادّة، وهو زهد أكثر الناس في الدنيا؛ فإنّها إذا جاءتهم يخافون من أخذها، فيقولون: إذا أخذناها ربّما نتلوّث بها، ونميل إليها، فيزهدون فيها لعجزهم. وأمّا الذي يأخذها ويصرفها في محالها، ولا يَتَلَوَّث بشيء منها، ومع ذلك يزهد فيها، ولا يأخذها، فهذا زهد عن قدرة، ولا يقدر على هذا إلّا وليّ، وهو صفة نبيِّنا محمّد، ﷺ؛ حيث عُرِض عليه، ﷺ، مفاتيح خزائن الأرض، مع عدم طلب الحساب منه، ﷺ، فما قبل، ﷺ، واختار الفقر. اللهمّ ارزقنا ذلك بمنّك وكرمك.

وأيضًا [٧٧] علامة الأولياء – على ما قيل – خمسة: حسن الخلق، سخاء النفس، قلّة الاعتراض على مجاري القدرة، قبول المعذرة، الشفقة على خلق الله. (قلت: ويؤيّده ما رواه الديلميّ[٦٨٥] عن عائشة،[٦٨٦] رضي الله عنها، مرفوعًا، لكن بسند ضعيف، من قوله، ﷺ: ما جُبِلَ وليٌّ الله إلّا على السخاء وحسن الخلق.[٦٨٧] وما رواه أنسٌ مرفوعًا أيضًا، من قوله، ﷺ: إنّ بدلاء أمّتي لم يدخلوا الجنّة لصوم ولا صلاة، ولكن برحمة الله وسخاء الأنفس

(٦٨٤) (ت) بالأدب.

(٦٨٥) أبو شجاع شيرَوَيْه بن شَهْرَدار الدَّيْلَميّ الهمذانيّ (ت. ٥٠٩هـ)، مؤرّخ، من العلماء بالحديث.

(٦٨٦) عائشة بنت أبي بكر الصدّيق (ت. ٥٨هـ)، أمّ المؤمنين.

(٦٨٧) انظر: *الكامل في ضعفاء الرجال* لأبي أحمد بن عديّ الجرجانيّ، ج ١، ص ٣٠٨؛ *والفردوس بمأثور الخطاب* لأبي شجاع الديلميّ، تحقيق السعيد بن بسيوني زغلول (بيروت: دار الكتب العلميّة، ١٤٠٦/ ١٩٨٦)، ج ٤، ص ٦٩؛ *والموضوعات* لابن الجوزيّ، ضبط وتقديم وتحقيق عبد الرحمن محمّد عثمان (المدينة المنوّرة: نَشْر محمّد عبد المحسن صاحب المكتبة السلفيّة، ١٣٨٦/ ١٩٦٦)، ج ٢، ص ١٧٩؛ *والترغيب والترهيب من الحديث الشريف* للمنذريّ، تحقيق إبراهيم شمس الدين (بيروت: دار الكتب العلميّة، ١٤١٧هـ)، ج ٣، ص ٢٥٩.

والرحمة للمسلمين.[٦٨٨] وفي كتاب *الجواهر المجموعة*، عن[٦٨٩] عمر، رفعه، أنّ الله بعث جبرائيل إلى إبراهيم، فقال له: يا إبراهيم، إنّي لم أتّخذك خليلًا على أنّك عبدٌ من عبادي، ولكن اطّلعتُ على قلوب المؤمنين، فلم أجد قلبًا أسخى من قلبك.[٦٩٠] كذا في كشف الخفاء للإمام العجلونيّ).[٦٩١]

ثمّ معنى حسن الخلق – على ما ذُكر في *عين العلم* – : ضبط الشخص نفسه تحت الشرع والعقل، بحيث لا يصدر من الشخص فعل يذمّه الشرع والعقل.[٦٩٢] ولهذا المذكور بسط في كتاب *الإحياء*. لكنّ كماله تحمّل الأذى مع مجازاته المؤذي بالإحسان من دعاء أو رفق في حقّه بحسب الإمكان.

ومعنى سخاء النفس: أن لا يَثْقُلَ عليه العطاءُ، وإن لم يعطِ لأحد شيئًا، كما أنَّ معنى البخل أن يَثْقُلَ عليه العطاء، وإن لم يُبْقِ لنفسه شيئًا. وكماله الإيثار على الغير، مع احتياجه إليه.

ومعنى قلّة الاعتراض: أن لا يهتمّ الشخص على الفقر والمرض وغير ذلك من المقدورات. والكمال فيه أنّ الشخص مثلًا إذا رأى يومًا باردًا أو حارًّا لا يخطر في قلبه أنّه لو كان ذلك اليوم معتدلًا لكان أحسن.

ومعنى قبول المعذرة أنّ الشخص يقبل المعذرة عن مذنب[٦٩٣] جنى في حقّه، ولو ثلاث مرّات. والكمال فيه أن يقبل ويعفو عنه، ولو سبعين مرّة.

---

(٦٨٨) انظر: *الأولياء* لابن أبي الدنيا، تحقيق السعيد بن بسيوني زغلول (بيروت: مؤسّسة الكتب الثقافيّة، ١٤١٣هـ)، ص ٢٨؛ *ونوادر الأصول في أحاديث الرسول* للحكيم الترمذيّ، ج ١، ص ٢٦٣؛ *والكامل في ضعفاء الرجال* لأبي أحمد بن عديّ الجرجانيّ، ج ٧، ص ٥٤٩؛ *والجامع لشعب الإيمان* للبيهقيّ، ج ١٣، ص ٣١٦؛ *والترغيب والترهيب من الحديث الشريف* للمنذريّ، ج ٣، ص ٣٤٩، باختلاف.

(٦٨٩) تكملة الكلام من هنا في هامش الصفحة السابقة.

(٦٩٠) أبو الفداء إسماعيل بن محمّد العَجْلُونيّ الدمشقيّ (ت. ١١٦٢هـ)، محدّث الشام في أيّامه. انظر: إسماعيل العجلونيّ، *كشف الخفاء ومزيل الإلباس عمّا اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس*، تحقيق يوسف بن محمود الحاج أحمد (القاهرة: مكتبة دار العلم الحديث، د.ت)، ج ٢، ص ٢١٥.

(٦٩١) ما بين قوسين ورد في هامش (د)، وهو في متن (ت).

(٦٩٢) القاري، *شرح عين العلم*، ج ٢، ص ١٦٣.

(٦٩٣) (ت) ذنب.

ومعنى الشفقة على خلق الله: على ثلاثة أقسام: أدناها ببذل المال، ثمّ ببذل الجاه، ثمّ ببذل الروح. أمّا بذل المال فهو: إذا كان شخص يرتكب مكروهًا، فأمره شخصٌ، شفقةً عليه، بترك ذلك المكروه، فيقول ذلك الشخص: أنا أمتنع من هذا المكروه، بشرط أن تعطيني ما في ملكك، فيعطيه ويقبل المنّةَ منه، ليمتنع من ذلك المكروه. وأمّا بذل الجاه: فلو فُرِض شخصٌ صاحب جاه، بحيث لم يكن فوقه أحدٌ في البلد، بأن يحضر العلماء والوزراء والسلاطين في مجلسه، قائمين بين يديه بالأدب والتعظيم، فيأمر أحدًا من أراذل الناس الذي[٦٩٤] يرتكب مكروهًا بترك ذلك[٦٩٥] المكروه شفقةً عليه، وهو يقول: أنا لا أمتنع من هذا المكروه إلّا بشرط واحد، وهو: أن تأخذ قدحًا من خزف، وتدور [٧٨] بيوت جميع أقاربك ومعارفك، وتأتيني بطعام، نأكل معًا، فيرضى هو بهذا الشرط، بل يقبل المنّة منه ترحّمًا وشفقةً عليه. وأمّا بذل الروح: فإذا رأى مظلومًا في يد ظالم يسعى في نصرته وخلاصه منه، حتّى يبذل روحه، فيكون شهيدًا.

[التقرّب إلى الله بالنوافل]

هذا، ولمّا كان طريق القرب إلى الله تعالى، بعد أداء الفرائض، بتكثير النوافل والعبادات، على ما قُرِّر في كتب القوم، من أنّ الفرض لا يكون مقرِّبًا إلّا بتكميله بالنوافل، وبدونها يكون مُنْجيًا، لا مقرِّبًا، مثل تقريب الفرض المكمَل بالنوافل، وتوضيحه أنّ من أحرم لصلاة[٦٩٦] الفرض، واقتصر من القراءة والركوع والسجود والقعدة على الفرض والواجب فقط، يعني ما أتى بالقراءة المسنونة، بل اقتصر على آية طويلة أو ثلاث آيات قصار، وفي الركوع والسجود على مقدار تسبيحة واحدة، وفي القعدة على التَّشهُّد فقط، فأحسن[٦٩٧] أن يقال: صارت هذه الصلاة منجية له من النار، لا مقرِّبة له إلى الله تعالى تقريبَ الفرض المكمَل بنوافله.[٦٩٨]

(٦٩٤) (ت) – الذي.
(٦٩٥) (ت) هذا.
(٦٩٦) (ت) بصلاة.
(٦٩٧) (ت) فما أحسن.
(٦٩٨) لم يرد في النصّ جوابٌ لما في أوّل المقطع، ولعلّ المصنّف سها عنه لطول النصّ. ومن عبارة: «الفرض لا يكون مقرِّبًا إلّا بتكميله بالنوافل» إلى هذا الموضع ورد في رسالة عليّ المتّقي الهنديّ، *رسالة تبيين الطريق إلى الله*، ص ٣٥٦. انظرها في: =

قال الشيخ نجم الدين الكبرى:[٦٩٩] الطرق إلى الله تعالى بعدد أنفاس الخلائق، وذلك لكثرة النوافل المقرِّبة إلى الله تعالى. قلت: ويؤيّده قول نبيِّنا المبجَّل، ﷺ: إنّ لله تعالى ثلاث مئة وخمس عشرة[٧٠٠] شريعة. يقول الرحمن: وعزَّتي، لا يأتيني عبدٌ من عبادي، لا يشرك بي شيئًا بواحدة منهنّ إلّا أدخلته الجنّة.[٧٠١] وقوله، ﷺ: إنّ لله، عزَّ وجلَّ، لوحًا من زبرجدة خضراء، جعله تحت العرش، كتب فيه: إنّي أنا الله، لا إله إلّا أنا، أرحم الراحمين، خلقت بضعة وثلاثمائة خُلق، من جاء بخُلق منها، معها شهادة أن لا إله إلّا الله، أدخلته[٧٠٢] الجنّة.[٧٠٣]

ثمّ الكثرة المطلوبة من النوافل المقرّبة إلى الله تعالى مطلقة بإتيان الفرد أو بإتيان نوعه؛ فمن استوعب جميع أوقاته أو أكثرها ببعض هذه الأفراد، بحيث ينتقل من فرد إلى فرد لملالة النفس، فقد راعى الكثرة باعتبار النوع. ومن داوم [٧٩] على فرد واحد فقد راعى الكثرة باعتبار الفرد. فمن قال الطريق إلى الله تعالى واحدة صدق في قوله بهذين الاعتبارين.

وقالوا، رحمهم الله تعالى: أبناء السبيل أخياف، ما بينهم خلاف. أي إنّ السالكين كلّهم أولاد لأمّ واحدة، وآباؤهم متعدّدون، وهم المشايخ. وتفصيله: أنّ طريق المشايخ، رضي الله عنهم، في بعض الأذكار والنوافل، وإن كانت تُرى أنّها مختلفة، كالقادريّة والسهروريّة

= Muhammad Saghir Hasan Maʿsumi, "Shaykh ʿAlī al-Muttaqī's Risālah *Tabyīn al-Ṭuruq*", *Islamic Studies*, Vol. 3, No. 3 (Sep. 1964), pp. 339-373.

(٦٩٩) أبو الجَنّاب أحمد بن عمر بن محمّد الخِيوَقيّ الخوارزميّ، نجم الكبراء، الشهير بنجم الدين الكُبرى (ت. ٦١٨هـ)، شيخ خوارزم في عصره، من علماء الصوفيّة، وهو مؤسّس الطريقة الكُبرويّة الصوفيّة.

(٧٠٠) في (د)، (ت) ورد: خمسة عشر.

(٧٠١) انظر: *المنتخب من مسند عبد بن حميد*، ج ٢، ص ١١٣؛ و*مسند الحارث* لابن أبي أسامة، تحقيق حُسين أحمد صالح الباكريّ (المدينة المنوّرة: مركز خدمة السنّة والسيرة النبويّة، ١٤١٣/ ١٩٩٢)، ج ١، ص ١٥٣؛ و*مسند أبي يعلى*، ج ٢، ص ٤٨٤؛ و*نوادر الأصول في أحاديث الرسول* للحكيم الترمذيّ، ج ١، ص ٢٩٠؛ و*الجامع لشعب الإيمان* للبيهقيّ، ج ١١، ص ٦٦، باختلاف يسير.

(٧٠٢) (ت) أدخله.

(٧٠٣) انظر: *الكامل في ضعفاء الرجال* لأبي أحمد بن عديّ الجرجانيّ، ج ٨، ص ٤٢٥؛ و*العظمة* لأبي الشيخ الأصبهانيّ، تحقيق رضاء الله بن محمّد إدريس المباركفوري (الرياض: دار العاصمة، ١٤٠٨هـ)، ج ٢، ص ٤٩٧؛ و*الجامع لشعب الإيمان* للبيهقيّ، ج ١١، ص ٦٤؛ و*ذخيرة الحفّاظ* لابن القيسرانيّ، ج ٢، ص ٩٥٧-٩٥٨، باختلاف يسير.

والشاذليّة والنقشبنديّة والهمدانيّة وغيرها[٧٠٤]، ولكن كلّها ترجع إلى أصل واحد وأمّ واحدة، وهي العبادة والتقوى واتّباع الكتاب والسنّة.[٧٠٥]

[ما ينافي المشيخة]

هذا، وقالوا أيضًا، رحمهم الله: ما ينافي المشيخة خمسة ضابطها «جداسًا». **الجيم**: الجهل بالله، ومعناه ظاهر. ([٧٠٦]وأمّا ما يدور على الألسن من قولهم: ما اتّخذ الله من وليٍّ جاهل، ولو اتّخذه لعلّمه، فليس بحديث. قال في *المقاصد*: لم أقف عليه مدفوعًا.[٧٠٧] وقال ابن حجر المكّيّ: ليس بثابت، ولكن معناه صحيح، والمراد بقوله: ولو اتّخذه لعلّمه: لو أراد اتّخاذه وليًّا لعَلَّمهُ، ثمّ اتّخذه وليًّا. وقال[٧٠٨] في *فتاواه*: معنى قولهم: ما اتّخذ الله من وليٍّ جاهل، ولو اتّخذه لعلّمه: أنّ الله تعالى يُفيض على أوليائه الذين أتقنوا الأحكام الظاهرة والأعمال الخالصة من مواقع الإلهام والتوفيق[٧٠٩] والتحقيق ما يفوقون به على من عداهم. فمن ثبتت له الولاية ثبتت له تلك العلوم والمعارف؛ فما اتّخذ الله وليًّا جاهلًا بذلك، ولو فرض أنّه اتّخذه، أي أهّله إلى أن يصير من أوليائه، لعلّمه، أي لألهمه من المعارف ما يلحقه به غيرَه. فالمراد الجاهل بالعلوم الوهبيّة والأحوال الخفيّة،[٧١٠] لا الجاهل بمبادئ العلوم الظاهرة، ممّا يجب تعلّمه،

(٧٠٤) ورد في (د)، (ت)، وغيرهم.

(٧٠٥) معظم ما ورد في الصفحة السابقة مقتبس من رسالة المتّقي الهندي، *رسالة تبيين الطريق إلى الله*، ص ٣٥٧-٣٥٨.

(٧٠٦) العبارة المحصورة بين القوسين مكتوبة في هوامش الصفحة ٧٩ وتتمّتها في هوامش الصفحة ٧٨ من النسخة (د)، بحيث تشكّل الهوامش إطارًا يحيط بالصفحتين باتّجاهٍ مخالفٍ لحركة عقرب الساعة. وأمّا في (ت) فقد وردت في المتن.

(٧٠٧) أبو الخير شمس الدين محمّد بن عبد الرحمن السخاويّ (ت. ٩٠٢هـ)، مؤرّخ وعالم بالحديث والتفسير والأدب، أشهر كتبه *الضوء اللامع لأهل القرن التاسع*. انظر: السخاويّ، *المقاصد الحسنة*، ص ٥٧٤. وفي *المقاصد الحسنة* ورد بعدها: «قال شيخنا: ليس بثابت، ولكن معناه صحيح، والمراد بقوله: ولو اتّخذه لعلمه: لو أراد اتّخاذه وليًّا لعلمه، ثمّ اتّخذه وليًّا». وإشارة السخاويّ هي لشيخه ابن حجر العسقلانيّ، وليس لابن حجر المكّيّ كما وهمَ الدملوجيّ.

(٧٠٨) هنا يبدأ إكمال العبارة في الهامش الأسفل للصفحة ٧٨ من النسخة (د).

(٧٠٩) (ت) + والأحوال. وكذا في *الفتاوى الحديثيّة* لابن حجر الهيتميّ.

(٧١٠) من هنا إكمال العبارة في الهامش الأعلى للصفحة ٧٩ من النسخة (د).

فإنّ هذا لا يكون وليًّا، ولا يُراد للولاية ما دام على جهله بذلك.[٧١١] انتهى.). **الدال**: الدخول فيما لا يغني،[٧١٢] ومعناه: أن يفعل فعلًا، لا ثواب فيه ولا عقاب. وفيه ثلاث عشرة[٧١٣] آفة: (١)[٧١٤] تضييع الوقت، (٢) وقساوة القلب، (٣) ووهن البدن، (٤) وتأخير الرزق، (٥) وإيذاء الحفظة، (٦) وإرسال كتاب من اللغو إلى الله تعالى، (٧) وقراءته بين يدَيه يوم القيامة على رؤوس الأشهاد، (٨) والحبس عن الجنّة، (٩) والحساب، (١٠) واللوم والتعيير، (١١) وإيقاع الحجّة، (١٢) والحياء منه تعالى، (١٣) وإعراض الله تعالى عن العبد.[٧١٥] وكلّ شيخ أعرض الله عنه لا يليق بالمشيخة. **الألف**: إسقاط حرمة المسلمين، يعني بأن يذكر مسلمًا بالحقارة، لا عن الغيريّة الدينيّة. **السين**: سوء الخلق، من غير مبالاة. وهذه قاعدة كلّيّة؛ لأنّ سيِّء الخلق لا يليق في الأمر الدنيويّ، فكيف يليق بالأمر الدينيّ. ومعنى قولهم من غير مبالاة: أنّ بعض الأشخاص الذين فيهم سوء الخلق مُقِرُّون بهذه الخصلة، وخائفون منها، وساعون في إزالتها، وبعضهم غير مُقرِّين بها، ويعتقدون أنّها حسنة. فهؤلاء[٧١٦] الأشخاص لا يليقون بالمشيخة. **الألف**: اتّباع الهوى في كلّ شيء. وتوضيحه: [٨٠] أنّ من صفة الشيخ أنّه إذا خطر في خاطره[٧١٧] شيء فيزنه[٧١٨] بميزان الشرع، هل هو في الشرع يجوز أم لا يجوز؟ فإن لم يجد في الشرع فيزن باقتداء الصلحاء. فإن لم يجد في الاقتداء عَرَضَهُ على النفس، فإن ثقل ذلك الفعل على النفس، ويخاف من إقدامه عليه، فليعلم أنّه خير. وإن خفَّ ذلك العمل على النفس ووجد في النفس نشاطًا عليه، فليعلم أنّه شرّ. وإن كان ما وجد ذلك الفعل في هذه

(٧١١) ابن حجر الهيتميّ، *الفتاوى الحديثيّة*، ص ١٢٨.

(٧١٢) (ت) يعني.

(٧١٣) ورد في (د)، (ت) ثلاثة عشر.

(٧١٤) في (د) وُضعت الأرقام تحت الكلمات الأولى لكلّ من العبارات الثلاث عشرة، وأمّا في (ت) فلم ترد الأرقام.

(٧١٥) القاري، *شرح عين العلم*، ج ١، ص ٤٥٠-٤٥٢. «فإنّ البلاء موكل بالمنطق، منها ما لا يعني، وهو ما لا إثم عليه ولا ثواب، ففيه تضييع الوقت وقساوة القلب ووهن البدن وتأخير الرزق وإيذاء الحفظة وإرسال كتب اللغو إليه تعالى وقراءته بين يديه تعالى يوم القيامة على رؤوس الأشهاد والحبس عن الجنّة والحساب واللوم والتعيير وإيقاع الحجّة والحياء منه تعالى».

(٧١٦) في (د)، (ت) ورد: فهذه.

(٧١٧) (ت) - في خاطره، + بخاطره.

(٧١٨) كذا في الأصل، والصواب إسقاط الفاء، إذ لا داعي لإقران جواب الشرط بها هنا.

الموازين الثلاثة، فليضرب به على وجه الشيطان. وإن كان وُجِدَ في هذه الموازين الثلاثة، فليقدِّم صلاة الاستخارة، حتّى يخرج فعله من اتِّباع الهوى. وتفصيل هذه المسألة مذكور في كتاب *منهاج العابدين*، في فصول تمييز الخواطر.[٧١٩]

[تمييز مدّعي الصوفيّة ومعرفة الرجال بالحقّ]

قال الإمام الأسيوطيّ في بعض رسائله:

> وأمّا هذا الزمان فكثير ممّن يدّعي التصوّف وليس عنده من شروطه شيء، ولا أتقن سنن رسول الله، ﷺ، ولا عرفها، فضلًا عن أن يعمل بها، وإنّما يعمد إلى[٧٢٠] كتب صنّفها هؤلاء وهؤلاء، فيأخذ منها ما اختاره، ويقرِّره. ولهذا ترى الواحد منهم عليه ظلمات متراكمة بعضها فوق بعض؛ لأنّه لم تشرق عليه أنوار السنّة، ولا صفا باطنه حتّى يستنير ظاهره. فترى الجاهل منهم يدندن حول الوحدة المطلقة وحول قدم الروح ونحو ذلك. والسامعون لهم ثلاثة رجال: رجل عامّيّ جاهل أحسن الظنّ بالصالحين، سمع كلامًا ظنَّ أنّه خير، فصادف قلبًا خاليًا متمكّنًا، فرسخ ذلك في قلبه، وصار يقاتل عليه بالسيف. وإذا أرشده مرشد إلى ترك اعتقاد ذلك، قال: هذا يحطُّ على الصالحين. ورجل فقيه يعلم أنّ هذه المقالات تخالف الشريعة، غير أنّه ليس بواسع الدائرة، فما يسعه إلّا أن [٨١] يزعق من رأسه، يعيّط حتّى يملأ الدنيا عياطًا، ويكفِّر كلَّ صوفيّ، ويسيء الظنَّ بكلّ صالح، ولو أمكنه أن يخرج عليهم بالسيف لفعل. وهو معذور؛ فإنّ الفقيه لا يطيق أن يسمع ما يخالف الشريعة، فضلًا عن أن يوافق على أنّه رتبة عالية. غير أنّه ليس بمعذور في إطلاقه سوء الظنّ بجميع الصوفيّة؛ فإنّ الناس ليسوا كلّهم سواء. والرجل الثالث متضلّع بجميع العلوم، واسع الدائرة، طويل الباع، راسخ القدم، يعرف الأمور، أصولها وفروعها، ويعرف طرق الناس المختلفة وأهوائهم المتشتّتة، وكلّ مقالة من أين جاءت. فهذا يثبت في أمره، ويحكم على كلّ إنسان بما

(٧١٩) أبو حامد محمد الغزالي، *منهاج العابدين إلى جنّة ربّ العالمين* (بيروت: دار المنهاج، ٢٠٠٦)، ص ٨٧، وما يليها.

(٧٢٠) (ت) – يعمد إلى، + يعتمد على.

يستحقّه؛ فإذا جاءه رجل يدّعي أنّه صوفيّ، نظر إليه أوّلًا، وإلى سمته، وحركته وسكونه، وإلى كلامه وسكوته. فإن رآه سالكًا في سمته وهديه سبيلَ السنّة، متحرِّكًا في موضع الحركة، ساكنًا في موضع السكون، متكلّمًا في موضع الكلام، ساكتًا في موضع السكوت، يضع الأمور مواضعها، ويوقع الأشياء مواقعها، خاض معه، وفتّش على ما عنده. فإذا رآه بصفة الكمال أكرمه وعظَّمه، وأوصله محلّه. وإن رآه تارك السنّة، خاض معه في السؤال عن السنن، لينظر أتركها عن جهل بها أو عن علم. فإن رآه جاهلًا بها أرشده إلى تعلّمها.[٧٢١] وإن رآه عالـمًا بها عنَّفه في التخلّف عنها، ونظر هل يقبل منه النصيحة، أو يشقّ عليه. ثمّ يفتّش على معتقده، فإن رآه يميل إلى معتقد متصوّفة الفلاسفة، نصحه وأرشده، وبيَّن له بطلان ما هو عليه وضلاله. فإن قَبِلَ، فبها ونِعْمَتْ. [٨٢] وإن رآه جاهلًا بالسنّة، جاهلًا بأحاديث رسول الله، ﷺ، وآثاره، وآثار أصحابه، جاهلًا بأحكام الشريعة، يتشبَّع بما لم يعطِ، غرضه إقامة نار موسى وتار خوشى[٧٢٢] وشهوة كاذبة ودعوى باطلة، وأن يصير له في الناس ذكر بعد سفالة، وشهرة بعد خمالة، أدرجه في حيِّز أُولي السقط، وأدخله في زمرة القرود والقطط.[٧٢٣] انتهى كلامه، رحمه الله تعالى.

قلت: وإلى ذلك أشار بعض المحقّقين بقوله: اعرفِ الرجال بالحقّ، ولا تعرف الحقّ بالرجال. والمراد بالحقّ في الموضعين ضدّ الباطل، وهو الكتاب والسنّة. والأوّل طريق الخواصّ، والثاني طريق العوامّ؛ فإنّ العوامّ إذا رأوا شخصًا صالحًا، صاحب كشفٍ وكرامة أيقنوا[٧٢٤] بأنّ الذي يقول هو الحقّ، فعرفوا الحقّ بالرجال. وأمّا الخواصّ فقد قدّموا تحصيل معرفة الكتاب والسنّة والعلوم الضروريّة. فإذا رأوا شخصًا صاحب كشفٍ وكرامة عرضوا أحواله وأعماله على الكتاب والسنّة، فإذا وافقت قبلوه، وإذا خالفت ردّوه. (وإلى هذا المعنى

(٧٢١) ورد في (د)، (ت) تعلمه.

(٧٢٢) (ت) بارشوش.

(٧٢٣) جلال الدين السيوطيّ، *رسالة شعلة نار*، في *ثلاث رسائل للإمام الحافظ جلال الدين السيوطي*، تحقيق السيّد عبّاس أحمد صقر الحسينيّ وحسين محمّد عليّ شكري (بيروت: دار الكتب العلميّة، ط٢، ٢٠١٠)، ص١٠٣-١٠٥.

(٧٢٤) (د)، (ت) أتقنوا.

أيضًا أشار سيّدنا[٧٢٥] الإمام عليّ، كرّم الله وجهه، حيث قال، كما نقله الجلال السيوطيّ عن ابن السمعانيّ[٧٢٦] في تاريخه: لا تنظروا إلى من قال، وانظروا إلى ما قال).[٧٢٧]

وقد يتعلّم الشخص الكتاب والسنّة من الأستاذ، ثمّ إذا رأى حاله مخالفًا للكتاب والسنّة، أنكر عليه، كما ورد في الحديث أنّ ناسًا من أهل الجنّة يَطْلُعُون إلى ناسٍ من أهل النار، فيقولون: بمَ دخلتم النار، فوالله ما دخلنا الجنّة إلّا بما تعلّمنا منكم؟ فيقولون: إنّا كنّا نقول ولا نفعل.[٧٢٨] رواه الطبرانيّ عن الوليد بن عقبة.[٧٢٩]

وبهذا المعنى قيل أيضًا: اعرفِ الحقّ تعرفْ أهله. ويجوز أن يراد بالحقّ هنا الله سبحانه وتعالى. فمعناه حينئذٍ: اعرفِ الله تعالى تعرفْ خواصَّه وأولياءه.

[خاتمة: وهي تتعلّق بمسألة الكرامات]

هذا [٨٣] خاتمة تناسب ما نقلناه عن بعض المحقّقين: اعلم أسعدك الله، تبارك وتعالى، أنّ الله، جلّت عظمته، جعل لكلّ شيء حقيقة وخاصّيّة؛ مثلًا: العسل جعل فيه خاصّيّة الحرارة، من أكله تظهر فيه هذه الخاصّيّة، شاء أو أبى. وكذلك في الأشياء الباردة؛ فالذكر والجوع والرياضة، جعل الله تعالى فيهم خاصّيّة التنوير والصفاء، ولا يشترط فيهم[٧٣٠] الإيمان والطاعات، بل أكثر طوائف[٧٣١] الرهبانيّة يحصل لهم هذا التنوير والصفاء، بحيث يظهر منهم[٧٣٢] الخوارق، من الطيران وكشوفات سفليّة، وذلك بسبب ما لهم من الذكر

(٧٢٥) (د) سيد.

(٧٢٦) أبو سعد عبد الكريم بن محمّد السَّمْعانيّ المَرْوَزيّ (ت. ٥٦٢هـ)، مؤرّخ رحّالة، من حفّاظ الحديث، له تصانيف كثيرة.

(٧٢٧) في (د) أُضيفت هذه العبارة في الهامش بخطّ المؤلّف، وهي في متن (ت).

(٧٢٨) انظر: *المعجم الكبير* للطبرانيّ، ج ٢٢، ص ١٥٠، باختلاف يسير.

(٧٢٩) أبو وَهْب الوليد بن عُقْبة بن أبي مُعَيْط القرشيّ الأمويّ (ت. ٦١هـ)، والٍ، من فتيان قريش وشعرائهم وأجوادهم، وهو أخو عثمان بن عفّان لأمّه، فيه ظرف ومجون ولهو، أسلم يوم فتح مكّة، وولّاه عثمان الكوفة.

(٧٣٠) كذا في الأصل، وحقّها أن تكون «فيها»؛ لأنّ الأمور المذكورة ليست ذكورًا عقلاء.

(٧٣١) ورد في (د)، (ت) من طوائف.

(٧٣٢) (ت) – منهم، + لهم من.

بلسانهم، كما ذُكر في كتابهم الذي يُسمّى *حوض الحياة*.[٧٣٣] فالفرق في ذلك بين المؤمن وبين الكافر والمبتدع، أنّ المؤمن يحصل له بسبب ذلك كشوفات العلويّ والسفليّ،[٧٣٤] والكافر والمبتدع لا يحصل له إلّا كشوفات السفليّ. وحكاية بلدة ناكورة المشهورة تؤيّد[٧٣٥] ذلك، وهي أنّ أمير البلد أخذ سُرَّاقًا وحبسهم في السجن، فلمّا اشتدّ عليهم الجوع حصل لهم التنوير والصفاء، فقالوا للأمير: أنت لِمَ حبستنا؟ أنت صرتَ معزولًا، نحن نشاهد أنّه يجيء أميرٌ غيرك. فقال الأمير: نعم، إذا جاء الأمير مسيرة[٧٣٦] ثلاثة أيّام من البلد أخلّي سبيلكم ولا أقتلكم. فلمّا جاء الأمير مسيرة ثلاثة أيّام خلّى سبيلهم. فانظرْ إلى هذه الخاصّيّة والتأثير وتنبَّهْ. لكنَّ القسم الغالب من الناس – وهم العوامّ – يجعلون[٧٣٧] ذلك غاية الأمر، فإن وجدوه عظّموا من ظهر عليه، وإن فقدوه لم يتوجَّهوا إليه بالتعظيم.[٧٣٨] وليس الأمر كذلك؛ لأنّ من القواعد المقرَّرة أنَّ من ظهرت عليه خارقة، نُظِرَ فيها لفعله وعقيدته، فإن صحّا فكرامة، وإلّا فاستدراج. هذا، وإنّما كان كرامة [٨٤] لأنّ الله، سبحانه وتعالى، قد يخصّ بعض أوليائه بإظهار الكرامة على يده، تسكينًا لنفسه وتثبيتًا لليقين في قلبه، ويمنعها الأوّلين لأنّهم لا يحتاجون إليها، لما فيهم من الرسوخ واليقين والقوّة والتمكين. قال صاحب عوارف المعارف:[٧٣٩] وقد يكون من لا يكاشف بشيءٍ من معاني القدرة أفضل ممّن يكاشف بها.[٧٤٠] وقال أبو نصر السرّاج:

> سألت أبا الحسن بن سالم،[٧٤١] فقلت له: ما معنى الكرامات، وهم قد أكرموا حتّى تركوا الدنيا اختيارًا؟ وكيف أُكرموا بأن يجعل لهم الحجارة ذهبًا؟ فما

(٧٣٣) ويُعرف باسم *الأسرار الهنديّة المسمّى بحوض الحياة*.

(٧٣٤) في (د) ورد: العلوى والسفلى.

(٧٣٥) (د) تأييد.

(٧٣٦) (ت) مسير.

(٧٣٧) (ت) + ظهور.

(٧٣٨) يقول ابن عطاء في *لطائف المنن*: «والناس في الكرامات على ثلاثة أقسام: قوم يجعلونها غاية الأمر، فإن وجدوها عظّموا من أظهرت عليه، وإن فقدوها لم يتوجّهوا بالتعظيم إليه»، ص ٧٢.

(٧٣٩) هو أبو حَفْص (وورد أبو عبد الله) شهاب الدين عمر بن محمّد القرشيّ التيميّ البكريّ السُّهْرَوَرْديّ (ت. ٦٣٢هـ)، شيخ العراق، واعظ زاهد وفقيه شافعيّ ومفسّر، من كبار الصوفيّة.

(٧٤٠) السهروورديّ، *عوارف المعارف*، ص ٥٥.

(٧٤١) أبو الحسن أحمد بن محمّد بن سالم البصريّ (ت. نحو ٣٦٠هـ)، صوفيّ، شيخ أهل البصرة في زمانه، أدرك سهل التُّسْتَريّ وأخذ عنه.

وجه ذلك؟ فقال: لا يعطيهم ذلك لقدرها، ولكن يعطيهم ذلك حتّى يحتجُّوا بكون ذلك على نفوسهم عند اضطرابها وجزعها من فوت الرزق الذي ضمنه الله تعالى لهم؛ فيقولون: الذي يقدر على أن يصيّر لك الحجارة ذهبًا كما هو إذ تنظر إليه، أليس بقادر على أن يسوق إليك رزقك من حيث لا تحتسب[٧٤٢]؛ فيحتجّوا بذلك على ضجيج نفوسهم، فيكون ذلك سببًا لرياضة نفوسهم وتأديبًا لها.

قال أبو نصر، رضي الله عنه: وقد حكى لنا ابن سالم في معنى ذلك حكاية عن سهل بن عبد الله، رضي الله عنه، أنّه قال: كان رجل بالبصرة يقال له إسحاق بن أحمد،[٧٤٣] وكان من أبناء الدنيا، فخرج من الدنيا، يعني من جميع ماله، وتاب، وصحب سهلًا. فقال يومًا لسهل: يا أبا محمّد، إنّ نفسي هذه ليست تترك الضجيج والصراخ من خوف فوت القوت والقوام. فقال له سهل: خذ ذلك الحجر، وسَلْ ربّك أن يصيّره لك طعامًا نأكله. فقال له: ومَن إمامي في ذلك حتّى أفعل؟ فقال سهل: إمامك إبراهيم، ﷺ، حيث قال: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن [٨٥] لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۖ﴾[٧٤٤] المعنى في ذلك أنّ النفس لا تطمئنّ إلّا برؤية العين، ولأنّ من جبلّتها الشكّ؛ فقال إبراهيم، ﷺ:[٧٤٥] ربّ أرني كيف[٧٤٦] لتطمئنّ نفسي، فإنّي مؤمن بذلك، والنفس لا تطمئنّ إلّا برؤية العين. قال: فكذلك الأولياء، يظهر الله تعالى لهم الكرامات تأييدًا لنفوسهم، وتهذيبًا لها، وزيادة.[٧٤٧] انتهى كلام أبي نصر.

«ولأجل أنّها تثبيت لمن ظهرت له، ربّما وجدها أهل البدايات، وفقدها أهل النهايات؛ إذ

(٧٤٢) ورد في (د)، (ت) تحتسبين، بالتأنيث.
(٧٤٣) لم نهتدِ إليه.
(٧٤٤) سورة البقرة: ٢٦٠.
(٧٤٥) (ت) – صلى الله عليه وسلم، + عليه السلام.
(٧٤٦) (ت) – كيف.
(٧٤٧) أبو نصر السرّاج الطوسيّ، *اللمع في التصوّف*، تحقيق عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور (مصر: دار الكتب الحديثة، ١٩٦٠)، ص ٣٩٣–٣٩٤.

ما عليه أهل النهايات من الرسوخ واليقين والقوّة والتمكين، لا يحتاجون معه إلى تثبّت. وهكذا كان السلف، لم يحوجهم الحقُّ سبحانه إلى وجود الكرامات الحسّيّة، لما أعطاهم من المعارف الغيبيّة والعلوم الإشهاديّة. ولا يحتاج جبل إلى مرساة».[٧٤٨]

هذا، وكذلك الأعمال الظاهرة من الصوم والصلاة والذكر، لها تعلُّق بالأعمال الباطنة التي هي المعتقدات والأصول، من حيث الصلاح والفساد؛ فإذا صحّت المعتقدات، صحَّت هذه الأعمال الظاهرة. وإذا بطلت المعتقدات بأن قُرنت ببدعة أو ضلالة، بطلت الأعمال الظاهرة، كما ورد في الحديث الشريف، على ما رواه ابن ماجة عن حذيفة،[٧٤٩] رضي الله عنه، أنّه قال: قال رسول الله، ﷺ: لا يقبل الله لصاحب بدعة صلاةً، ولا صومًا، ولا صدقةً، ولا حجًّا، ولا عمرةً، ولا جهادًا، ولا صرفًا، ولا عدلًا، يخرج من الإسلام كما تخرج الشعرة من العجين.[٧٥٠] لكن إنّما يعرف هذه المسألة من مُلِئ علمًا بالكتاب والسنّة. وأمّا الجاهل العامّيّ، فلا يعرف هذه المسألة. ولكن إذا مُثِّل له هذا المعنى بمثال محسوس، لا شكّ أنّه يفهم ويقبل، وهو: أنّ علم البناء والعمارة مثلًا على نوعين، أصول وفروع، [٨٦] الأصول ما يعرفه المهندس من استقامة البناءات واعوجاجها وبعض دقائقها التي هي معروفة عند المهندس، والفروع ما يعرفه الباني، من وضع الحجر على الحجر. وأجرة هذا الباني معلومة، كلّ يوم درهم مثلًا. وأجرة المهندس زائدة على أجرة الباني بكثير. بل بعض المهندسين، لقوّة علمه في قواعد البناء، له وظائف مثل الملوك والأمراء. وسبب هذا أنّ البناء عمل ظاهر، ولهذا العمل الظاهر تعلّق بعمل الباطن الذي هو للمهندس من حيث الصلاح والفساد، حتّى إنّ الباني إذا عمل عملًا، ثمّ جاء المهندس ورأى ذلك العمل يخالف قاعدته، يأمره بالهدم والإبطال. فكذا الأعمال الظاهرة لها تعلّق بالأعمال الباطنة التي هي المعتقدات والأصول، من حيث الصلاح والفساد. والجاهل العامّيّ لا يعرف أنّ لهذه الأعمال الظاهرة، من الصوم والصلاة والذكر، تعلّقًا[٧٥١] بالأعمال الباطنة التي هي المعتقدات. ولهذا ترى الجهّال والعوامّ يعتقدون بصحّة اعتقاد من رأوا منه بعض الصلاح، وليس كذلك.

---

(٧٤٨) ابن عطاء الله السكندريّ، *لطائف المنن*، ص ٧٢.

(٧٤٩) أبو عبد الله حُذَيفة بن حِسل بن جابر العبسيّ، واليمان لقب حِسل (ت. ٣٦هـ)، صحابيّ، من الولاة الشجعان الفاتحين، ولّاه عمر بن الخطّاب على المدائن بفارس.

(٧٥٠) انظر: *سنن ابن ماجه*، ج ١، ص ٣٤.

(٧٥١) (د)، (ت) تعلّق.

وهذا آخر ما أردْتُ تأليفه وجمعه، وترصيفه ووضعه. وإنّي سائل كلَّ من وقف على هذه العجالة، أو انتفع بشيء ممّا حوته هذه المقالة، أن يتذكّرني بدعوات صالحة، تكون لي من أعظم التجارات الرابحة، ولآبائي في النسب والدين، وأولادي وأحبّائي، ومن ينتمي لي، وسائر المسلمين، ولا سيّما بالعفو والعافية، مع حسن الخاتمة.

ولمّا كان، ﷺ، يحبّ النوال، وجب علينا أن نحبّ ما يحبّ،(٧٥٢) ﷺ، وأن نستعمله في الأقوال والأفعال، خصوصًا عند تيسُّر الاختتام، فيما نرجو نفعه للخاصّ والعامّ.

وكان تأريخ الرسالة ممّا نتلمّح منه السعادة، ونستروح لديه الحسنى والزيادة، فضممت إليه بيتًا يكون له كالهالة، ويحسن به اختتام هذه الرسالة، فقلت شعرًا: [من الطويل]

بُشْـراكِ يا نَفْسي بِحُسْـنِ قَبولِها [٨٧]

فَقَـدْ وافَـقَ التاريـخُ تَـمَّ بخيـرِ(٧٥٣)

والله المسؤول أن يجعلنا ممّن يحبّهم، بفضله وكرمه، ومنّه ونعمه، والموفّق للعمل به في هذا الكتاب، والجري على ما فيه من حقٍّ وصواب، وصلّى الله على سيّدنا محمّد، سيّد الرسل الكرام، وآله الفخام، وصحابته العظام، ما رجا مؤمن حسن الحال والختام. والحمد لله الملك العليم العلّام.(٧٥٤)

قاله بفمه ورقمه بقلمه فقير عفو ربّه وأسير وصمة دينه، خادم العلماء في الموصل الحدباء، عبد الله بن مصطفى الموصليّ الحنفيّ، الشهير بابن الدملوجيّ. أنالهما الله الحسنى وزيادة، مع الرضوان السعادة، نهار الجمعة، ثمانية عشر من شهر صفر الخير، سنة اثنتين(٧٥٥) وخمسين ومئتين وألف من هجرة من له العزّ والشرف. والحمد لله أوّلًا وآخرًا، وباطنًا وظاهرًا، آمين يا مجيب السائلين. هـ

(٧٥٢) (ت) يحبه.

(٧٥٣) ت = ٤٠٠، م = ٤٠، ب = ٢، خ = ٦٠٠، ي = ١٠، ر = ٢٠٠. والمجموع ١٢٥٢ تاريخ تأليف الرسالة.

(٧٥٤) خاتمة (ت) (٨٦أ) «قد وقع الفراغ من تحرير هذه الرسالة الشريفة المسمّاة بكفّ المعارض ببراءة ابن عربيّ وابن الفارض على نسخة المؤلّف رحمه الله تعالى يوم التاسع عشر من شهر ذي القعدة سنة ثمانين ومائتين وألف».

(٧٥٥) في الأصل: اثنين.

فهرست الآيات

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
﴿وَٱللَّهُ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ﴾	البقرة	١٠٥	١٠٥
﴿رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ قَالَ أَوَلَمۡ تُؤۡمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِيۖ﴾	البقرة	٢٦٠	١٧٥
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾	آل عمران	١٠٢	١٤٥
﴿يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾	المائدة	٥٤	١٠٠
﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾	الأعراف	١٩٦	٨٧
﴿وَمَا رَمَيۡتَ إِذۡ رَمَيۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾	الأنفال	١٧	١١٣
﴿قَٰتِلُوهُمۡ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ بِأَيۡدِيكُمۡ﴾	التوبة	١٤	١١٣
﴿لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ﴾	التوبة	٣٣	١٥٧
﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾	التوبة	١٢٨	١٤٧
﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾	يونس	٦٢	٨٧
﴿فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾	النحل	٤٣	٧٢
﴿وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا﴾	الإسراء	٣٦	٧٢
﴿وَتَحۡسَبُهُمۡ أَيۡقَاظٗا وَهُمۡ رُقُودٞۚ﴾	الكهف	١٨	٩٦

﴿وَٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَۖ﴾	الكهف	٢٧	١٢٦
﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ... وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطًا﴾	الكهف	٢٨	١٢٤، ١٢٦-١٢٨، ١٣٠-١٣١
﴿أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا﴾	الكهف	٢٩	١٢٦
﴿فَلَا تَسۡـَٔلۡنِي عَن شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ أُحۡدِثَ لَكَ مِنۡهُ ذِكۡرًا﴾	الكهف	٧٠	١٠٢
﴿لَوۡ شِئۡتَ لَتَّخَذۡتَ عَلَيۡهِ أَجۡرًا﴾	الكهف	٧٧	١٠٢
﴿هَٰذَا فِرَاقُ بَيۡنِي وَبَيۡنِكَۚ﴾	الكهف	٧٨	١٠٢
﴿وَمَا فَعَلۡتُهُۥ عَنۡ أَمۡرِيۚ﴾	الكهف	٨٢	٧١
﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾	طه	٥	١٥٥
﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ﴾	طه	٤٦	١٥٥
﴿فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾	الأنبياء	٧	٧٢
﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ﴾	الحجّ	٧٥	١٠٥
﴿مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يَأۡكُلُ مِمَّا تَأۡكُلُونَ مِنۡهُ وَيَشۡرَبُ مِمَّا تَشۡرَبُونَ﴾	المؤمنون	٣٣	٩٤
﴿مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ﴾	الفرقان	٧	٩٥
﴿أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ يَوۡمَئِذٍ خَيۡرٞ مُّسۡتَقَرّٗا وَأَحۡسَنُ مَقِيلٗا﴾	الفرقان	٢٤	١٢٣
﴿أَنُؤۡمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلۡأَرۡذَلُونَ﴾	الشعراء	١١١	١٢٥

﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾	السجدة	١٦	١١٨
﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾	الأحزاب	٣٨	٨٩
﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾	الأحزاب	٥٨	٩٣
﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ﴾	فاطر	٣٢	١٥٢
﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾	الزُّمر	٣	١٠٧
﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾	الشورى	١١	١٥٤، ١٥٥
﴿ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾	الشورى	١٣	١٠٥
﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ﴾	الزخرف	٩	١٣٤
﴿لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ﴾	الفتح	٩	١٤٨
﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾	ق	٣٧	١٥٨
﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾	المجادلة	٧	١٥٥
﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾	الصفّ	٩	١٥٧
﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾	التغابن	١٦	١٤٦
﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ * كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾	المطفّفين	١٤-١٥	١٤٢

فهرست الحديث والأثر

الحديث/ الأثر	الصفحة
أتاني آتٍ من عند ربّي عزّ وجلّ، فقال: مَنْ صلّى عليك من أمّتك صلاةً كتب الله له بها عشر حسنات.	١٣٣
أخرج الحاكم عن ابن عبّاس، رضي الله عنه، أنّ النبيّ، ﷺ، قرأ ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ يعني من أعظمكم قدرًا.	١٤٨
إذا اختلف الناس فعليكم بالسواد الأعظم.	٨٤
أشدّ الناس بلاءً الأنبياء. ثمّ الأمثل فالأمثل.	٩٨
أمّا الذين اقتصدوا، فأولئك يحاسبون حسابًا يسيرًا، وأمّا الذين ظلموا أنفسهم، فأولئك يحبسون في طول المحشر، ثمّ يتلقّاهم الله برحمته.	١٥٢
أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلي.	٩٩
إن علمت منهم ما علمه الخضر من ذلك الغلام فاقتلهم، وإلّا فلا تقتلهم.	٦٦
إن كدتم لتفعلون فعل فارس والروم، يقومون على ملوكهم وهم قعود، فلا تفعلوا.	١٣٦
إنّ بدلاء أمّتي لم يدخلوا الجنّة لصوم ولا صلاة، ولكن برحمة الله وسخاء الأنفس والرحمة للمسلمين.	١٦٥-١٦٦
إنّ العبد لا يزال يتقرَّب إليَّ بالنوافل حتّى أحبّه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به.	١٠٦، ١١٣
إنّ الله رحيم، ولا يضع رحمته إلّا على رحيم. قلنا: يا رسول الله، كلّنا نرحم أموالنا وأولادنا. قال: ليس بذلك، ولكن كما قال الله: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾.	١٤٩
إنّ الله يتجلّى للناس عامّةً، ولأبي بكر خاصّة.	١٠٨

إنّ الله يقول لك: أتحبُّ أن أجعل لك هذه الجبال ذهبًا، وتكون معك حيث كنت؟ فأطرق ساعةً، ثمّ قال: يا جبرائيل إنْ الدنيا دار من لا دار له.	١٤٦
إنّ لله عبادًا ليسوا بأنبياء ولا شهداء، يغبطهم النبيُّون والشهداء؛ لقرب مقعدهم من الله تعالى.	٩٠
إنّ لله، عزَّ وجلَّ، لوحًا من زبرجدة خضراء، جعله تحت العرش، كتب فيه: إنّي أنا الله، لا إله إلّا أنا، أرحم الراحمين، خلقت بضعة وثلاثمائة خُلق، من جاء بخُلق منها، معها شهادة أن لا إله إلّا الله، أدخلته الجنّة.	١٦٨
إنّه لَيُغَان على قلبي.	١٤١
إنّي لأرى في وجهه سفعةً من الشيطان. فلمّا دنا سلَّم، ثمّ ذهب فاختطَّ مسجدًا، ووقف يصلّي. فقال رسول الله، ﷺ: من يقوم إليه فيقتله؟ (...)	٧٠
إنّي لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم مئة مرّة.	١٤٠
إنّي لست كأحدكم، إنّي أبيتُ عند ربّي، يطعمني ويسقيني.	١٥٠
إنّي لست كهيئتكم. إنّي أظلّ أُطعَم وأُسْقَى.	١٥٠
إنّي على علم من علم الله علّمنيه لا تعلمه أنت، وأنت على علم من علم الله علّمكه الله لا أعلمه.	٦٥
جاء جبرائيل فقال: يا محمّد إنّ ربّك يقرئك السلام، وهذا ملك الجبال قد أرسله إليك، وأمره أن لا يفعل شيئًا إلّا بأمرك، (فقال له ملك الجبال: إنّ ربّي أمرني أن لا أفعل شيئًا إلّا بأمرك، إن شئت دمدمت الجبال)، وإن شئت رميتهم بالحصباء وإن شئت خسفت بهم الأرض. (...)	١٤٩
الجماعة رحمة، والفرقة عذاب.	٨٥
الحمد لله الذي جعل في أمّتي مَن أُمِرْتُ أن أصبر معهم.	١٢٥
الحمد لله الذي جعل في أمّتي من أُمِرْتُ أن أصبر نفسي معه. ثمّ قال: بَشِّر فقراء المؤمنين بالنور التّامّ يوم القيامة، يدخلون الجنّة قبل الأغنياء بنصف يوم، مقدار خمس مئة عام، هؤلاء في الجنّة يَتَنَغَّمون، وهؤلاء يُحاسبون.	١٢٩
الحمد لله الذي جعل في أمّتي من أمرني أن أصبر معهم.	١٢٧

الحمد لله الذي لم يمتني حتّى أمرني أن أصبر نفسي مع رجال من أمّتي، معكم المحيا والممات.	١٢٦
ذكرتُ وأنا في الصلاة تبرًا عندنا، فكرهتُ أن يبيتَ عندنا، فأمرتُ بقسمته.	١٣٨
ذكّر أصحابك. فقال: يا رسول الله، أنت أحقّ. فقال: أما إنّكم الملأ الذين أمر الله أن أصبر نفسي معهم. ثمّ تلا: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ﴾ الآية.	١٢٨
السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين.	١٣٨، ١٣٩
صلاة القاعد على النصف من صلاة القائم.	١١٨
قال رجل: يا رسول الله، أرأيت أنّي جعلت صلاتي كلّها لك؟ قال: إذن يكفيك الله ما أهمَّك من أمر دنياك وآخرتك.	١٣٢
قام رسول الله، ﷺ، من الليل حتّى تورَّمت قدماه، وفي رواية: حتّى تَفَطَّرت رجلاه، فقيل له: لِمَ تصنع هذا، وفي رواية: أتتكلّف هذا، وقد غفر الله لك ما تقدَّم من ذنبك، وما تأخّر؟ قال: أفلا أكون عبدًا شكورًا؟!	١٤٣
قرأ رسول الله، ﷺ: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ فقال عليّ بن أبي طالب: يا رسول الله، ما معنى أنفسكم؟ فقال رسول الله، ﷺ: أنا أنفسكم نسبًا وصهرًا وحسبًا، ليس فيَّ ولا في آبائي من لدن آدم سفاح، كلّنا نكاح.	١٤٧-١٤٨
كان رجل مع رسول الله، ﷺ، على بعير، فلعن بعيره، فقال النبيّ، ﷺ: يا عبد الله لا تسر معنا على بعير ملعون.	٩٤
كن ورعًا تكن أعبد الناس.	١٥١
لأَنْ أذكر الله تعالى مع قوم بعد صلاة الفجر إلى طلوع الشمس، أحبُّ إليَّ من الدنيا وما فيها، ولأن أذكر الله تعالى مع قوم بعد صلاة العصر إلى أن تغيب الشمس، أحبُّ إليّ من الدنيا وما فيها.	١٢٣
لأَنْ أقعد مع قوم يذكرون الله تعالى من صلاة الغداة حتّى تطلع الشمس، أحبُّ إليّ من أن أُعتق أربعة من ولد إسماعيل. ولأن أقعد مع قوم يذكرون الله تعالى من صلاة العصر إلى أن تغرب الشمس، أحبُّ إليّ من أن أُعتق أربعة من ولد إسماعيل.	١٢٣

لأَن يُخطئ الإمام في العفو خير له من أن يُخطئ في العقوبة.	٩١
لا يقبل الله لصاحب بدعة صلاةً، ولا صومًا، ولا صدقةً، ولا حجًّا، ولا عمرةً، ولا جهادًا، ولا صرفًا، ولا عدلًا، يخرج من الإسلام كما تخرج الشعرة من العجين.	١٧٦
للملأ الذين أمرني الله أن أصبر نفسي معهم، ثمّ تلا ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ﴾ الآية: أما إنّه ما جلس عدّتكم إلّا جلس معهم عدّتهم من الملائكة، ثمّ يصعدون إلى الربّ، وهو أعلم، فيقولون: ربّ عبادك سبّحوك فسبّحنا، وكبَّروك فكبَّرنا، وحمدوك فحمدنا، فيقول ربُّنا: يا ملائكتي، أُشهدكم أنّي قد غفرت لهم. (...)	١٢٨
اللهمّ اجعل أتباعهم منهم.	١٦٢
ما جُبِلَ وليٌّ الله إلّا على السخاء وحسن الخلق.	١٦٥
ما كنتم تقولون: قلنا: نذكر الله. قال: فإنّي رأيت الرحمة تَنَزَّل عليكم، فأَحْبَبْتُ أن أشارككم فيها. ثمّ قال: الحمد لله الذي جعل في أُمّتي من أُمِرْتُ أن أصبر نفسي معهم.	١٢٩
ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله لا يريدون بذلك إلّا وجهه، ناداهم منادٍ من السماء أن قوموا مغفورًا لكم، قد بُدِّلت سيّئاتكم حسنات.	١٢٩
المؤمن مرآة المؤمن.	١١٠
ما نفضنا التراب من أيدينا في دفن رسول الله ﷺ حتّى وجدنا البغض في قلوبنا.	١١٦
ما ورد عنه، ﷺ، من صوم الوصال وكثرة الجوع، حتّى كان يربط الحجر على بطنه، ﷺ.	١٤٣
المرء مع من أحبّ.	١٦٠، ١٦١-١٦٢، ١٦٣
مرقوا من الدين كما يمرق السهم من الرميّة، وصاروا كلاب النار وشرَّ قتلى تحت أديم السماء، على ما قاله أبو أمامة عن النبيّ ﷺ.	١٠٢
المطر قريب عهد بربّه؛ فَيُسْتَحَبُّ البروز إليه والتَبَرُّكُ به عند نزوله.	١١٥
من أحبّ قومًا حشره الله في زمرتهم.	١٥٩، ١٦٠

من تشبَّه بقوم حُشِرَ معهم.	١٦٢
من دخل السوق، فقال: لا إله إلّا الله وحده، لا شريك له، له الملك، وله الحمد، يحيي ويميت، وهو حيٌّ، لا يموت، بيده الخير، وهو على كلّ شيء قدير، كتب الله له ألفَ ألفِ حسنة، ومحا عنه ألفَ ألفِ سيّئة، ورفع له ألفَ ألف درجة.	١٣٤-١٣٥
من كثّر سواد قوم فهو منهم.	١٦٢
هذا المحلّ الذي أُمِرْتُ أن أصبر نفسي معهم.	١٢٧
هو لك يا عبد الله بن زمعة. الولد للفراش، وللعاهر الحجر، واحتجبي منه يا سودة.	٧٠-٧١
ورد أنّ لزينبَ، رضي الله عنها، حبلًا مربوطًا بين الساريتين، إذا فترت من قيام الليل تَعَلَّقتْ به، ولو كان ذلك معصية لما فعلته، رضي الله عنها. وأمّا أمر النبيّ، ﷺ، بحلّه، فللشفقة عليها.	١٤٧
ورد عنه، ﷺ، أنّه عُرِضت عليه بطحاء مكّة ذهبًا، فأباها، فشدَّد على نفسه، ولم يأخذ من ذلك شيئًا يستعين به في نصرة الحقّ ودفع شرِّ الكافرين، وإن كان ذلك العرض في ابتداء الإسلام.	١٤٦
ورد عنه، ﷺ، أنّه كان يدبّر الجيش وهو في الصلاة من غير أن يشتغل عنها.	١٣٨
ورد في الحديث أنّ ناسًا من أهل الجنّة يَطْلُعُون إلى ناسٍ من أهل النار، فيقولون: بمَ دخلتم النار، فوالله ما دخلنا الجنّة إلّا بما تعلّمنا منكم؟ فيقولون: إنّا كنّا نقول ولا نفعل.	١٧٣
وعزَّتي، لا يأتيني عبدٌ من عبادي، لا يشرك بي شيئًا بواحدة منهنّ إلّا أدخلته الجنّة.	١٦٨
يا رسول الله، إنّي أكثر الصلاة عليك، فكم أجعل لك من صلاتي؟ قال: ما شئت. قلت: الربع؟ قال: ما شئت، وإن زدت فهو خير لك. قلت: فالنصف؟ قال: ما شئت، وإن زدت فهو خير لك. قلت: الثلثين؟ قال: ما شئت، فإن زدت فهو خير لك. قال: أجعلُ لك صلاتي. قال: إذًا يُكْفَى همُّكَ ويُغْفَر لك ذنبك.	١٣١-١٣٢
يرحم الله موسى، لو كان صبر لقصّ علينا من أمرهما.	١٠٢
يقول الله عزَّ وجلَّ: من آذى لي وليًّا فقد آذنته بالحرب.	٦٤، ٩٣، ٩٤

فهرست الأعلام

ابن العقابيّ: ١٠٣.
ابن علّان الصدّيقيّ: ١٤٤.
ابن عمر: ١٣٠، ١٥٠.
ابن الفارض: ٦٤، ٧٦، ٧٧.
ابن كمال الوزير: ٧٢.
ابن ماجة: ١٣٤، ١٧٦.
ابن المبارك: ١٤٥.
ابن مردويه: ١٢٥، ١٢٧، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٠، ١٤٧، ١٤٩.
ابن مسعود: ١٤٦، ١٦٠.
ابن الملقّن: ١٥٠.
ابن المنذر: ١٢٩، ١٣٠، ١٣١، ١٤٧.
ابن نجم: ٨١.
ابن نُجَيم (زين الدين): ٩٢.
أبو أُمامة الباهليّ: ١٠٢، ١٦٠.
أبو بكر الدقّيّ: انظر الدقّيّ
أبو بكر الزقّاق: ١١٩.
أبو بكر الصدّيق: ٧٠، ١٥١.
أبو بكر الصيدلانيّ: ٩٥.
أبو بكر الطمستانيّ: ٩٥، ١١٩.
أبو بكر الورّاق: ١٣٨.
أبو تراب النخشبيّ: ٩٨، ١٠٥.
أبو ثور إبراهيم بن خالد الكلبيّ البغداديّ: ١٢٢.

أبو جعفر الرازيّ: ١٣١.
أبو حاتم السجستانيّ: ١٢٠.
أبو الحسن العلويّ الهمدانيّ: ١٠٤.
أبو الحسن العنبريّ: ١٥٤.
أبو الحسن بن سالم: ٨١، ١٧٤.
أبو الحسن عليّ بن إبراهيم الحصريّ: ١١٨.
أبو الحسن عليّ بن محمّد المزيّن: ١٥٦.
أبو الحسين النوريّ: ١٢٢.
أبو حفص الحدّاد النيسابوريّ: ١١٤، ١٢٠.
أبو حفص الكبير: ١٤٥.
أبو حنيفة النعمان: ٧٨، ١٦٤.
أبو الخير الأقطع المغربيّ: ٩٩.
أبو داود السجستانيّ: ١٤١.
أبو ذرّ الغِفاريّ: ١٢٣.
أبو ذرّ أحمد بن عبد الله العجميّ: ٨١.
أبو سعد السمعانيّ: انظر ابن السمعانيّ (أبو سعد)
أبو سعيد الخُدريّ: ١٢٧.
أبو سهل الصعلوكيّ: ١٠٣.
أبو الشيخ الأصبهانيّ: ١٢٦، ١٤٨.
أبو صالح الحنفيّ: ١٤٩.
أبو طلحة الأنصاريّ: ١٣٣.
أبو العالية: ١٢٤.
أبو العبّاس الحضرميّ: ١١٥.
أبو العبّاس الفاسيّ: انظر زرّوق
أبو العبّاس المرسيّ: ٩٥.
أبو العبّاس أحمد بن عمر القرطبيّ: انظر القرطبيّ (أبو العبّاس أحمد بن عمر)
أبو العبّاس أحمد بن محمّد الدينوريّ: ١٥٨-١٥٩.

أبو عبد الرحمن السُّلَميّ: ١٠٣.
أبو عبد الله بن خفيف: ١١٨.
أبو عبد الله محمّد بن خليل السَّكُونيّ: انظر ابن خليل السَّكُونيّ
أبو عبد الله محمّد بن سلامة التوزريّ المغربيّ: ٨١.
أبو عثمان الحيريّ الواعظ: ١٦٢.
أبو عليّ الجرجانيّ: ٨٥.
أبو عليّ الجوزجانيّ: ٨٥.
أبو عليّ الدقّاق: ٩٦.
أبو عليّ الروذباريّ: ١١٩، ١٥٥.
أبو عليّ عمر بن محمّد السَّكُونيّ: ٦٥.
أبو الفضل ابن حجر: انظر ابن حجر العسقلانيّ
أبو القاسم الجنيد محمّد: انظر الجنيد البغداديّ
أبو القاسم القشيريّ: انظر القشيريّ (أبو القاسم)
أبو القاسم إبراهيم بن محمّد النصراباذيّ: ١١٨.
أبو قرصافة الكنانيّ: ١٦٠.
أبو محمّد المرتعش: انظر المرتعش
أبو محمّد سهل بن عبد الله التُّستريّ: انظر سهل بن عبد الله التُّستريّ
أبو مدين التلمسانيّ: ١٤٤.
أبو موسى عيسى بن آدم: ١٢٠.
أبو نصر السِّجْزِيّ: ١٢٨.
أبو نصر السرَّاج: ١٢٠، ١٧٤، ١٧٥.
أبو نعيم الأصبهانيّ: ١٢٥.
أبو هريرة: ١٢٧، ١٥١.
أبو هلال العسكريّ: ١٦٠.
أبو يحيى التميميّ: ١٦٠.
أبو يزيد البسطاميّ: ٨٧، ٩٥، ٩٦، ١٠٥، ١٢٠، ١٣٧.
أبو يعلى الموصليّ: ٦٩، ١٢٣، ١٢٨.
أُبَيّ بن كعب: ١٠٢، ١٣١، ١٣٢-١٣٣.

أحمد الرفاعيّ: ١٣٦.
أحمد بن أبي الحواريّ: ١١٩.
أحمد بن حجر الهيتميّ الشافعيّ: ٧٤، ٩٣، ١٦٩.
أحمد بن حنبل: ١٢٩.
أحمد زرّوق: انظر زرّوق
إسحاق بن أحمد: ١٧٥.
إسماعيل عليه السلام: ١٢٣، ١٢٤.
إسماعيل بن المقري: ٧٣.
الأسيوطيّ: انظر السيوطيّ
الأغرّ المزنيّ (أو الجهنيّ): ١٤١.
الأقرع بن حابس: ١٢٥.
أنس بن مالك: ٧٠، ٩٤، ١١٦، ١٢٣، ١٢٩، ١٤٠، ١٤٧، ١٦٠، ١٦٥.
أياز الغزنويّ: ١٣٧.

البخاريّ: ٦٦، ٦٨، ٩٤، ١٥٠.
البزّار: ٧٠، ١٢٧.
بشر بن الحارث الحافي: ١٥١.
بلعام: ١٤٥.
بهاء الدين النقشبنديّ: ١٤٤.
البوصيريّ: ١٤٦.
البيهقيّ: ٧٠، ١٢٢، ١٢٥، ١٢٨، ١٦٢.

تاج الدين بن عطاء الله: انظر ابن عطاء الله السكندريّ
الترمذيّ (أبو عيسى): ١٣١، ١٣٤، ١٣٥.
تقيّ الدين السُّبْكيّ: ٦٧، ٦٨.

ثابت بن أسلم البُنانِيّ: ١٢٩.
الثعلبيّ: ٨٥.

جابر بن عبد الله: ١٦٠.
جبرائيل: ١٤٦، ١٤٩، ١٦٦.
جعفر الخلديّ: ١٠٤-١٠٥.
جعفر بن محمّد الصادق: ١١٤، ١٥٦.
جلال الدين السيوطيّ: انظر السيوطيّ
جلال الدين المحلّيّ: ١٢١.
الجنيد البغداديّ: ٨٧، ١١٧، ١١٨، ١٢١، ١٢٢، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٥.
الجيلانيّ: ٩٩.
الجيليّ: ٧٧.

حاتم الأصمّ: ١٤٥.
الحاكم النيسابوريّ: ١٣١، ١٣٣، ١٣٤، ١٤٧، ١٤٨.
حذيفة بن اليمان: ١٧٦.
الحسن البصريّ: ١٥١، ١٦٠.
الحصريّ (عليّ بن إبراهيم): انظر أبو الحسن عليّ بن إبراهيم الحصريّ
حفصة بنت عمر: ١٦١.

الخضر عليه السلام: ٦٥، ٦٦، ٦٧، ٦٨، ٦٩، ٧١، ١٠٠.
الخطّابيّ: ١١١.
خير الدين الرمليّ: ١٢١.

الدقّيّ: ١١٩.
الديلميّ (أبو شجاع): ١٦٥.

ذَرّ بن عبد الله: ١٢٧.
ذو النون المصريّ: ١٥٤، ١٥٥.

الرافعيّ (أبو القاسم): ٩٣.

الرفاعيّ: انظر أحمد الرفاعيّ
رويم بن أحمد: ١٥١.

زرّوق: ٩٧، ١١٦.
الزعفرانيّ (عبد المؤمن): ١٣٢.
زكريّا الأنصاريّ الشافعيّ: ٧٣.
زينب بنت جَحْش: ١٤٧.

السُّبْكيّ (تقيّ الدين): انظر تقيّ الدين السُّبْكيّ
السخاويّ: ١٦٩.
سراج الدين البلقينيّ: ٦٧.
سراج الدين الغزنويّ: ٨٠.
السَّريّ السَّقَطيّ: ١٤٤.
السعد التفتازانيّ: ٧٤.
سلمان الفارسيّ: ١٢٥، ١٢٦، ١٢٩.
السُّلَميّ: انظر أبو عبد الرحمن السُّلَميّ
السمعانيّ (أبو سعد): انظر ابن السمعانيّ (أبو سعد)
السُّهْرَوَرْديّ (شهاب الدين): ١٧٤.
سهل بن عبد الله التُّستريّ: ١٢٠، ١٥٢، ١٥٤، ١٧٥.
سودة بنت زمعة: ٧١.
السيوطيّ: ٧٦، ٨٣، ٨٤، ١٠١، ١٧١، ١٧٣.

الشافعيّ: ٨٨.
شرف الدين أبو حفص عمر: انظر ابن الفارض
الشعرانيّ: انظر عبد الوهّاب الشعرانيّ
شُعَيب بن محمّد: ١٣٠.
شقيق البلخيّ: ١٠٥، ١١٤.

شمس الدين البساطي المالكيّ: ٨١.
شمس الدين محمّد بن أحمد الصوفيّ: انظر ابن نجم

صائن الدين الجيليّ: انظر الجيليّ
الصدر الشهيد: ٩١.
الصَّيْرَفيّ: ٨٩.

الطبرانيّ: ١٢٧، ١٢٨، ١٤٠، ١٧٣.
الطبريّ: انظر ابن جرير الطبريّ
طيفور البسطاميّ: ١٢٠.
طيفور بن عيسى البسطاميّ: انظر أبو يزيد البسطاميّ

عائشة بنت أبي بكر: ١٦٥.
عبد بن حميد: ١٢٦.
عبد الرحمن بن سهل بن حنيف: ١٢٧.
عبد القادر الجيلانيّ: انظر الجيلانيّ
عبد الله بن رواحة: ١٢٨.
عبد الله بن زمعة: ٧٠-٧١.
عبد الله بن عبّاس: انظر ابن عبّاس
عبد الله بن عمر: انظر ابن عمر
عبد الله بن المبارك: انظر ابن المبارك
عبد الله بن مسعود: انظر ابن مسعود
عبد الله بن مروان: ١٥١.
عبد الله اليافعيّ: ٧٣.
عبد الله بن عبد الله بن عديّ بن الخِيار: انظر عُبَيد الله بن عَدِيّ بن الخِيار
عبد الملك بن مروان: ١٥١.
عبد المؤمن الزعفرانيّ: انظر الزعفرانيّ (عبد المؤمن)

عبد الوهّاب الشعرانيّ: ٧٩، ٨٠، ١٠٧، ١١٢.
عُبَيد الله بن عَدِيّ بن الخِيار: ١٣٠.
العجلونيّ: ١٦٦.
العزّ بن عبد السلام: انظر ابن عبد السلام
العسكريّ (أبو هلال): انظر أبو هلال العسكريّ
عقبة بن الحارث: ١٣٨.
عكرمة البربريّ: ١٤٩.
علاء الدين أبو الحسن بن سلام الدمشقيّ الشافعيّ: ٨١.
علاء الدين الحَصْكَفيّ: ٧٩.
علاء الدين القونويّ: انظر القونويّ (علاء الدين)
عليّ بن إبراهيم الحصريّ: انظر أبو الحسن عليّ بن إبراهيم الحصريّ
عليّ بن أبي طالب: ٧٠، ١٠٢، ١٤٨.
عليّ بن سلطان بن محمّد القاري: ٧٨.
عمر بن الخطّاب: ٧٠، ١٣٤، ١٦١، ١٦٦.
عمر بن ذرّ: ١٢٧، ١٢٨.
عمرو بن شُعَيب: ١٣٠.
عَمِيّ البسطاميّ: ١٢٠.
عياض بن موسى المالكيّ: ١٣٤.
عيسى عليه السلام: ٦٥.
عُيَيْنَة بن بدر: انظر عُيَيْنَة بن حِصْن
عُيَيْنَة بن حِصْن: ١٢٥.

الغزالي: ٧٦، ٩٠.

الفاكهانيّ: ١١١.
فخر الدين قاضيخان الحنفيّ: انظر قاضيخان الحنفيّ
الفيروزآباديّ: ٧٩.

قاضيخان الحنفيّ: ٩٢.
القاضي عياض: انظر عياض بن موسى المالكيّ
قتادة بن دعامة: ١٢٥، ١٤٧.
القرطبيّ (أبو العبّاس أحمد بن عمر): ٦٩، ٩٩.
القسطلّانيّ (أحمد بن الخطيب): ١٦٢.
القشيريّ (أبو القاسم): ٧٥، ٨٧، ٩٦، ١٠٣، ١٠٤، ١١٣، ١١٩، ١٥١، ١٥٦، ١٦٣.
القونويّ (علاء الدين): ٨٣.

مالك بن أنس: ١٦٤.
مجاهد بن جبر: ١٢٨.
المحلّيّ: انظر جلال الدين المحلّيّ
محمّد (النبيّ): ٦٤، ٦٥، ٦٦، ٦٧، ٦٩، ٧٠، ٨٤، ٨٨، ٨٩، ٩٣، ٩٤، ١٠٢، ١٠٨، ١١٦، ١١٨، ١١٩، ١٢٠، ١٢١، ١٢٣، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٨، ١٢٩، ١٣١، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٦، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٠، ١٤١، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٧، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٠، ١٥٧، ١٦٠، ١٦٣، ١٦٥، ١٦٨، ١٧١، ١٧٢، ١٧٦، ١٧٧.
محمّد بن أحمد النجّار: ١١٩.
محمّد بن عبد العزيز الورّاق: ١٣٩.
محمّد بن عبد الله الصوفيّ: ١١٩.
محمّد بن عبد الله بن عمرو بن العاص: ١٣٠.
محيي الدين بن العربيّ: انظر ابن عربيّ
محيي الدين النوويّ: انظر النوويّ
المرتعش: ١١٤.
المزيّن: انظر أبو الحسن عليّ بن محمّد المزيّن
مسلم بن الحجّاج: ٦٩، ١٣٦، ١٤١، ١٤٣، ١٥٠.
المُظهِريّ: ١٣٢.
المغيرة بن شعبة: ١٤٣.
مغيرة بن مقسم الضبّيّ: ١٣٠.

المناويّ (شرف الدين): ١٠١.
المناويّ (محمّد عبد الرؤوف): ١٠٠.
منصور بن المعتمر: ١٣١.
موسى عليه السلام: ٦٥، ٦٦، ٦٩، ٧١، ١٠١، ١٠٢، ١٥١، ١٧٢.

نافع المدنيّ: ١٢٩.
نجدة الحروريّ: ٦٦، ٦٨.
نجم الدين الباهيّ: ٨١.
نجم الدين الكبرى: ١٦٨.
النخشبيّ: انظر أبو تراب النخشبيّ
النسائيّ: ١٤١.
النصراباذيّ: انظر أبو القاسم إبراهيم بن محمّد النصراباذيّ
النقشبنديّ: انظر بهاء الدين النقشبنديّ
نوح عليه السلام: ١٢٥.
نوح العيَّار النيسابوريّ: ١١٣.
النوريّ: انظر أبو الحسين النوريّ
النوويّ: ٨٣، ٨٤، ٩٣، ١٣٤، ١٣٦.

الوليد بن عقبة: ١٧٣.
وليّ الدين محمّد بن أحمد الملّويّ: ٨٠.

يحيى بن معاذ الرازيّ: ٨٦، ٩٦، ١١٨، ١٥٥.
يوسف عليه السلام: ١٠٩، ١٥٨.
يوسف بن الحسين الرازيّ: ١٥٤.

فهرست الأماكن

أرض نجد: ١٠٠.

البصرة: ١٧٥.
بطحاء مكّة: ١٤٦.
بغداد: ١٤٥، ١٦٢.

تيه بني إسرائيل: ١٢٠.

الحجاز: ٨٩.

الشام: ٨١.

مجلس دور القرآن والختم: ١٠٣.
مجمع البحرين: ٦٩، ١٣٧.
المدينة: ١١٤.
مسجد النبيّ: ١٢٥.
مقبرة الحيرة: ٩٥.
الموصل: ٦٣، ١٧٧.

ناكورة: ١٧٤.

فهرست التصانيف الواردة في المتن

الإبانة لأبي نصر السِّجْزِيّ: ١٢٩.
أجوبة أسئلة الجانّ للشعرانيّ: ١٠٧، ١١٢.
إحياء علوم الدين للغزالي: ١٦٦.
إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري للقسطلّانيّ: ١٦٢.
الأشباه والنظائر لابن نجيم الحنفيّ المصريّ: ٩١.
الإفهام لما في البخاريّ من الإبهام لسراج الدين البلقينيّ: ٦٧.

البحر الرائق شرح كنز الدقائق لابن نجيم الحنفيّ المصريّ: ٩١، ٩٢.
البردة للبوصيريّ: ١٤٦.
بستان العارفين للنوويّ: ٨٣.

تاريخ مرو لابن السمعانيّ: ١٧٣.
تاريخ دمشق لابن عساكر: ٩٩.
تحفة المحتاج لأحمد بن حجر الشافعيّ: ٧٤، ٩٣.
تخميس القصائد الوتريّة في مدح خير البريّة لمحمّد بن عبد العزيز الورّاق: ١٣٩.
تفسير القرآن لتقيّ الدين السبكيّ: ٦٧.
تنبيه الأغبياء على قطرة من بحر علوم الأولياء للشعرانيّ: ٨٠.
تنبيه الغبيّ بتبرئة ابن عربيّ لجلال الدين السيوطيّ: ٧٦.

الجامع الصغير لجلال الدين السيوطيّ: ١٣٨.
الجواهر المجموعة لشمس الدين السخاويّ: ١٦٦.

الحكم العطائيّة لابن عطاء الله السكندريّ: ٩٧.
حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهانيّ: ١٢٥.

الدرّ المختار شرح تنوير الأبصار للحصكفيّ: ٧٩.
دلائل النبوّة للبيهقيّ: ٧٠، ١٢٨.

الرسالة القشيريّة للقشيريّ: ٨٧، ٩٦، ١٠٤، ١١٣، ١١٩، ١٥١، ١٥٦، ١٦٣.
رسالة شعلة نار للسيوطيّ: ١٧١.
روح القدس لابن عربيّ: ١٠٤.
روض الطالب لإسماعيل بن المقري: ٧٣.
روضة الطالبين للنوويّ: ٩٣.

الزُّهد لأحمد بن حنبل: ١٢٩.

شرح البخاريّ لابن حجر العسقلانيّ: ٦٨.
شرح التعرّف لعلاء الدين القونويّ: ٨٣.
شرح التنبيه للجيليّ: ٧٧.
شرح الجامع الصغير للمناويّ: ١٥٩.
شرح جمع الجوامع لجلال الدين المحلّيّ: ١٢١.
شرح الحصن الحصين للملّا عليّ القاري: ١٣٥.
شرح حكم أبي مدين لابن علّان الصدّيقيّ: ١٤٤.
شرح الروض للقاضي زكريّا الشافعيّ: ٧٣.
شرح الفقه الأكبر للملّا عليّ القاري: ٧٨.
شرح مسلم للقرطبيّ: ٦٩.
شرح مسلم للنوويّ: ١٣٦.
شعب الإيمان للبيهقيّ: ١٢٥.

صدور المراتب لأبي العبّاس الحضرميّ: ١١٥.
الصرّة: ٩١.

الطبقات الكبرى للشعرانيّ: ٧٩.

عوارف المعارف للسهروورديّ: ١٧٤.

الفتاوى التاتارخانيّة لعالم بن العلاء الأندريتيّ: ٩٢.
الفتاوى الحديثيّة لابن حجر الهيتميّ: ٧٤، ١٦٩.
الفتاوى الخيريّة لخير الدين الرمليّ: ١٥٧.
الفتاوى الصغرى للصدر الشهيد: ٩١.
الفتاوى الصيرفيّة لمجد الدين أسعد بن يوسف بن عليّ الصيرفيّ: ٨٩.
فتاوى قاضيخان لفخر الدين قاضيخان الحنفيّ: ٩٢.
فتوى ابن كمال باشا: ٧٢.
فتح العزيز للرافعيّ: ٩٣.
الفتوحات المكّيّة لابن عربيّ: ٧٢.
فصوص الحكم لابن عربيّ: ٧٢، ٨٢.

القاموس للفيروزآبادي: ٧٩.
القواعد الكبرى للعزّ بن عبد السلام: ١٥٨.

كتاب حوض الحياة: ١٧٤.
كشف الخفاء للعجلونيّ: ١٦٦.

لطائف المنن لابن عطاء الله السكندريّ: ٩٥، ٩٧.

المجموع للنوويّ: ٩٣.
المرتبة الشهوديّة في المنزلة الوجوديّة للملّا عليّ القاري: ١١٠.
المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوريّ: ١٣١.
مسند ابن أبي شيبة: ٧٠.
مسند أبي يعلى: ٧٠.
مسند البزّار: ٧٠.
مشكاة المصابيح للتبريزيّ: ١٦٠.

مصابيح السنّة للبغويّ: ١٣٢.
مصنّف ابن أبي شيبة: ١٣٢.
المعجم الأوسط للطبرانيّ: ١٤٠.
المعجم الصغير للطبرانيّ: ١٢٨.
المفاتيح في شرح المصابيح للمظهريّ: ١٣٢.
منهاج العابدين للغزالي: ١٧١.

فهرست الأشعار

المطلع	القافية	عدد الأبيات	البحر	الصفحة
الباء				
[وإن قلت]	ذنبُ	١	الطويل	١٤١
التاء				
ولَوْ خطَرَتْ	بِردَّتي	١	الطويل	١٤٢
الدال				
أو العَرانينَ	حُسَّادا	١	البسيط	١٠٠
أُريدُ وِصالَهُ	يريدُ	١	الوافر	١٣٧
الراء				
إذا تَغَلْغَلَ	خواطِرُهُ	١	البسيط	٧٩
بُشْراكِ	بخيرِ	١	الطويل	١٧٧
السين				
لَقَدْ بانَ	أُناسُ	١	الطويل	١٥٣
العين				
تَعْصي	بَديعُ	٢	الكامل	١٦١
فصَبَرْتُ	تَطَلَّعُ	١	الكامل	١٢٤
القاف				
أيا مَن	تَخَلّقا	٣	الطويل	١٣٩

الميم				
وكفّاكَ	غمائمُ	٣	الطويل	١٣٩
على قدرِ	[المكارمُ]	١	الطويل	١١٥
كضَرائرِ الحَسناءِ	لَدَميمُ	١	الكامل	١٠١
والظلمُ	يَظْلِمُ	١	الكامل	١٥٢
ورَاودَتْهُ	شَمَمِ	١	البسيط	١٤٧
النون				
وما عليَّ	عدوانا	٣	البسيط	٨٠

المصادر والمراجع

ابن أبي أسامة، محمد الحارث. *مسند الحارث*، تحقيق حسين أحمد صالح الباكري. المدينة المنوّرة: مركز خدمة السنّة والسيرة النبويّة، ١٤١٣/ ١٩٩٢.

ابن أبي حاتم، عبد الرحمن الرازيّ. *تفسير ابن أبي حاتم*، تحقيق أسعد محمّد الطيّب. [مكّة المكرّمة]: مكتبة نزار مصطفى الباز، ١٤١٩ هـ.

ابن أبي الدنيا، عبد الله بن محمّد. *الأولياء*، تحقيق السعيد بن بسيوني زغلول. بيروت: مؤسّسة الكتب الثقافيّة، ١٤١٣ هـ.

ابن أبي الدنيا، عبد الله بن محمّد. *الجوع*، تحقيق محمّد خير رمضان يوسف. بيروت: دار ابن حزم، ١٤١٧/ ١٩٩٧.

ابن أبي الدنيا، عبد الله بن محمّد. *كتاب الصمت وآداب اللسان*، تحقيق أبي إسحاق الحويني. بيروت: دار الكتاب العربيّ، ١٤١٠/ ١٩٩٠.

ابن أبي الدنيا، عبد الله بن محمّد. *الهمّ والحزن*، تحقيق مجدي فتحي السيّد. القاهرة: دار السلام، ١٤١٢/ ١٩٩١.

ابن أبي الدنيا، عبد الله بن محمّد. *الورع*، تحقيق أبي عبد الله محمّد بن حمد الحمود. الكويت: الدار السلفيّة، ١٤٠٨/ ١٩٨٨.

ابن أبي عاصم الشيباني، عمرو. *السنّة* لابن أبي عاصم، تحقيق محمّد ناصر الدين الألبانيّ. بيروت: المكتب الإسلاميّ، ١٤٠٠ هـ.

ابن الأعرابي، أحمد بن محمد. *معجم ابن الأعرابيّ*، تحقيق وتخريج عبد المحسن بن إبراهيم بن أحمد الحسينيّ. الدمّام: دار ابن الجوزيّ، ١٤١٨/ ١٩٩٧.

ابن تيميّة، أحمد. *الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان*، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط. دمشق: مكتبة البيان – الطائف: مكتبة المؤيّد، ١٩٨٥.

ابن تيميّة، أحمد. *مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيميّة*، جَمْع عبد الرحمن قاسم وابنه محمّد. المدينة المنوّرة: طباعة مجمع الملك فهد، ٢٠٠٤.

ابن حميد الكشي، عبد. *المنتخب من مسند عبد بن حميد*، تحقيق مصطفى العدوي. الرياض: دار بلنسية للنشر والتوزيع، ١٤٢٣/ ٢٠٠٢.

ابن حنبل، أحمد. *مسند أحمد*، تحقيق شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد وآخرين. بيروت: مؤسّسة الرسالة، ١٤٢١/ ٢٠٠١.

ابن سعد، محمد. *الطبقات الكبرى*، تحقيق محمّد عبد القادر عطا. بيروت: دار الكتب العلميّة، ١٤١٠/ ١٩٩٠.

ابن بطّال، عليّ بن خلف بن عبد الملك. *شرح صحيح البخاريّ*، تحقيق أبو تميم ياسر بن إبراهيم. السعوديّة: مكتبة الرشد، د.ت.

ابن الجوزي، عبد الرحمن. *الموضوعات*، ضبط وتقديم وتحقيق عبد الرحمن محمّد عثمان. المدينة المنوّرة: نَشْر محمّد عبد المحسن صاحب المكتبة السلفيّة، ١٣٨٦/ ١٩٦٦.

ابن الجوزي، عبد الرحمن. *جامع المسانيد* لابن الجوزيّ، تحقيق عليّ حسين البوّاب. الرياض: مكتبة الرشد، ١٤٢٦/ ٢٠٠٥.

ابن السني، أحمد بن محمد. *عمل اليوم والليلة*، تحقيق عبد الرحمن كوثر البَرْني. جدّة – بيروت: دار القبلة للثقافة الإسلاميّة ومؤسّسة علوم القرآن، د.ت.

ابن عبد الوهّاب، محمّد. *الرسائل الشخصيّة لمحمّد بن عبد الوهّاب*، تصحيح صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان ومحمّد بن صالح العليقي. الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود، ١٩٧٦.

ابن العربيّ، محيي الدين. *روح القدس في محاسبة النفس*، في كتاب محمود غراب، *شرح رسالة روح القدس في محاسبة النفس*. دمشق، ط ٢، ١٩٨٥.

ابن العربيّ، محيي الدين. *الفتوحات المكّيّة*. القاهرة: الطبعة الميمنية، ١٩١١.

ابن عساكر، علي بن الحسن. *تاريخ دمشق*، تحقيق محبّ الدين العمريّ. بيروت: دار الفكر، ١٩٩٨.

ابن الفارض، عمر. *ديوان ابن الفارض*. بيروت: دار صادر.

ابن القيسرانيّ، محمد بن طاهر. *ذخيرة الحفّاظ*، تحقيق عبد الرحمن الفريوائي. الرياض: دار السلف، ١٤١٦/ ١٩٩٦.

ابن كثير، إسماعيل. *جامع المسانيد والسنن*، تحقيق عبد الملك بن عبد الله الدهيش. بيروت: دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٩/ ١٩٩٨.

ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني. *سنن ابن ماجه*، حقّقه شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد ومحمّد كامل قره بللي وعبد اللطيف حرز الله. بيروت: دار الرسالة العالميّة، ١٤٣٠/ ٢٠٠٩.

ابن المبارك، عبد الله. *الزهد والرقائق*، حقّقه وعلّق عليه حبيب الرحمن الأعظميّ. الهند: نَشْر محمّد عفيف الزعبي، د.ت.

ابن نجيم الحنفيّ المصريّ، زين الدين بن إبراهيم. *البحر الرائق شرح كنز الدقائق* (وكنز الدقائق لأبي البركات النسفيّ)، تحقيق زكريّا عميرات. بيروت: دار الكتب العلميّة، ١٩٩٧.

أبو الخطّاب بن دحية، مجد الدين. *نهاية السول في خصائص الرسول*، تحقيق عبد الله عبد القادر الفادني. قطر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلاميّة، ١٩٩٥.

أبو داود، سليمان بن الأشعث. *سنن أبي داود*، حقّقه شعيب الأرنؤوط ومحمّد كامل قره بللي. بيروت: دار الرسالة العالميّة، ١٤٣٠/ ٢٠٠٩.

أبو شيبة العبسي، عبد الله. *مصنّف ابن أبي شيبة*، تحقيق كمال يوسف الحوت. الرياض: مكتبة الرشد، ١٤٠٩ هـ.

الأثريّ، محمّد بهجة. *أعلام العراق*. القاهرة: المطبعة السلفيّة، ١٣٤٥ هـ.

أحمد، سالم عبد الرزّاق. *فهرس مخطوطات مكتبة الأوقاف العامّة في الموصل*. الجمهورية العراقيّة: وزارة الأوقاف، ١٩٧٥-١٩٨٣.

الأصبهاني، أبو نُعيم. *حلية الأولياء*. [القاهرة]: مطبعة السعادة، ١٣٩٤/ ١٩٧٤.

الأصبهاني، عبد الله بن محمد المعروف بأبي الشيخ. *العظمة*، تحقيق رضاء الله بن محمّد إدريس المباركفوري. الرياض: دار العاصمة، ١٤٠٨ هـ.

آل فرج، قصيّ حسين. *المكتبات العامّة الموصليّة منذ القرن الثامن عشر وحتّى القرن العشرين*. عمّان: دار غيداء للنشر والتوزيع، ٢٠١٢.

الآلوسيّ، أبو الثناء محمود. *غرائب الاغتراب ونزهة الألباب*. بغداد: مطبعة الشابندر، ١٣٢٧ هـ.

الآلوسيّ، نعمان. *جلاء العينين في محاكمة الأحمدين*، تحقيق الداني بن منير آل زهوي. بيروت: المطبعة العصريّة، ٢٠٠٦.

الأماسيّ الروميّ المعروف بيوسف أفندي زاده، عبد الله بن محمّد بن يوسف. *نجاح القاري لصحيح البخاري*. بيروت: دار الكتب العلميّة، ٢٠٢١.

الأنصاريّ، زكريّا. *أسنى المطالب في شرح روض الطالب وبهامشه حاشية الرمليّ تجريد الشوبريّ*، تحقيق محمّد الزهريّ الغمراويّ. [القاهرة]: المطبعة الميمنيّة، ١٣١٣ هـ.

الإيزرجاوي، عبّاس عليّ جمعة، وعكاب يوسف الركابي. «عبد الله الدملوجيّ: آراؤه ومواقفه في مجلس النوّاب العراقيّ ١٩٣٠-٠». *مجلّة واسط* للعلوم الإنسانيّة، المجلّد ١٢، العدد ٣٣، ٢٠١٦، (٢١٢-٢٢١).

البخاريّ، عبد الله. *جهود أبي الثناء الآلوسيّ في الردّ على الرافضة*. القاهرة: دار ابن عفّان، ١٩٩٩.

البخاريّ، محمّد بن إسماعيل. *صحيح البخاريّ*، تحقيق مجموعة من العلماء. بيروت: دار طوق النجاة، ١٤٢٢ هـ.

البرسويّ، إسماعيل حقّي، *تفسير روح البيان*. بيروت: دار الفكر، ٢٠٠٨.

البغوي، الحسين بن مسعود. *شرح السُّنّة*، تحقيق شعيب الأرنؤوط ومحمّد زهير الشاويش. دمشق – بيروت: المكتب الإسلاميّ، ١٤٠٣/ ١٩٨٣.

البقاعيّ، برهان الدين. *صواب الجواب للسائل المرتاب المجادل المعارض في كفر ابن الفارض*. رسالة ماجستير –قسم العقيدة بكلّيّة الدعوة وأصول الدين في الجامعة الإسلاميّة بالمدينة المنوّرة، تحقيق محمّد مسلم إبراهيم، سنة ١٤٢٢–١٤٢٣ هـ.

البيطار، عبد الرزّاق. *حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر*، تحقيق محمّد بهجة البيطار. بيروت، دار صادر، ط ٢، ١٩٩٣.

البيهقي، أحمد بن الحسين. *الجامع لشعب الإيمان*، حقّقه وراجع نصوصه وخرّج أحاديثه عبد العليّ عبد الحميد حامد. الرياض: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع – بومباي (الهند): الدار السلفيّة، ١٤٢٣/ ٢٠٠٣.

البيهقي، أحمد بن الحسين. *السنن الكبرى* للبيهقيّ، تحقيق محمّد عبد القادر عطا. بيروت: دار الكتب العلميّة، ١٤٢٤/ ٢٠٠٣.

البيهقي، أحمد بن الحسين. *دلائل النبوّة* للبيهقيّ، تحقيق عبد المعطي قلعجي. بيروت: دار الكتب العلميّة – القاهرة: دار الريّان للتراث، ١٤٠٨/ ١٩٨٨.

التبريزي، محمد بن عبد الله الخطيب. *مشكاة المصابيح*، تحقيق محمّد ناصر الدين الألبانيّ. بيروت: المكتب الإسلاميّ، ١٩٨٥.

الترمذي، محمد بن عيسى. *سنن الترمذيّ*، تحقيق بشّار عوّاد معروف. بيروت: دار الغرب الإسلاميّ، ١٩٩٨.

الترمذي، محمد بن عيسى. *نوادر الأصول في أحاديث الرسول*، تحقيق عبد الرحمن عميرة. بيروت: دار الجيل، ١٤١٢/ ١٩٩٢.

التستري، سهل بن عبد الله. *تفسير القرآن العظيم*. القاهرة: دار الكتب العربية الكبرى، ١٩١١.

تلوان، عبد اللطيف. *أبو عليّ السكونيّ وآراؤه الكلاميّة*. بيروت: دار المقتبس، ٢٠١٩.

الثعلبيّ، أبو إسحق أحمد بن محمّد. *الكشف والبيان في تفسير القرآن المسمّى تفسير الثعلبيّ*، تحقيق سيّد كسروي حسن. بيروت: دار الكتب العلميّة، ٢٠٠٤.

الجرجاني، أبو أحمد بن عدي. *الكامل في ضعفاء الرجال*، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعليّ محمّد معوّض بالاشتراك مع عبد الفتّاح أبو سنة. بيروت: دار الكتب العلميّة، ١٤١٨/ ١٩٩٧.

الجلبيّ الموصليّ، داوود. *كتاب مخطوطات الموصل: وفيه بحث عن مدارسها الدينيّة ومدارس ملحقاتها*. بغداد: مطبعة الفرات، ١٩٢٧.

الجميل، سيّار. تكوين العرب الحديث. عمان، دار الشروق، ١٩٩٧.

الحاكم النيسابوريّ، محمد بن عبد الله. *المستدرك على الصحيحين*، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا. بيروت: دار الكتب العلميّة، ١٤١١/ ١٩٩٠.

الحِبْشي، عبد الله محمّد. *جامع الشروح والحواشي: معجم شامل لأسماء الكتب المشروحة في التراث الإسلامي وبيان شروحها*. بيروت: دار المنهاج، ٢٠١٧.

الحصكفيّ الحنفيّ، محمّد بن عليّ بن محمّد بن عبد الرحمن. *الدرّ المختار شرح تنوير الأبصار وجامع البحار لمحمّد بن عبد الله التمرتاشيّ*، تحقيق عبد المنعم خليل إبراهيم. بيروت: دار الكتب العلميّة، ٢٠٠٢.

الحنبليّ، ابن العماد. *شذرات الذهب في أخبار من ذهب*، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا. بيروت: دار الكتب العلميّة، ٢٠١٢.

خزعل، حسين خلف الشيخ. *حياة الشيخ محمّد بن عبد الوهّاب*. بيروت: مطابع دار الكتب، د.ت.

الخضريّ الحنفيّ الموصليّ، ملّا يوسف بن عبد الجليل بن مصطفى. *الانتصار للأولياء الأخيار*، تحقيق أحمد فريد المزيديّ. بيروت: دار الكتب العلميّة، ٢٠٠٧.

الخطّابيّ البُستيّ، حمد بن محمد. *معالم السنن*، تحقيق محمّد راغب الطبّاخ. حلب: المطبعة العلميّة، ١٣٥١/ ١٩٣٢.

الخفاجيّ المصريّ الحنفيّ، أحمد بن محمّد بن عمر شهاب الدين. *حاشية الشهاب المسمّاة عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاويّ*. بيروت: دار صادر د.ت. وهذه الطبعة تصوير عن الطبعة الخديوية، ١٢٨٣ هـ.

خوري، دينا رزق. *الدولة ومجتمع الولاية في الإمبراطوريّة العثمانيّة: الموصل ١٥٤٠-١٨٣٤*، ترجمة سلوى زكو. الدوحة: المركز العربيّ للأبحاث ودراسة السياسات، ٢٠١٨.

الخيّاط الموصليّ، أحمد. *ترجمة الأولياء في الموصل الحدباء*، تحقيق سعيد الديوه جي. الموصل: مطبعة الجمهوريّة، ١٩٦٦.

الدارقطنيّ علي بن عمر. *سنن الدارقطنيّ*، حقّقه وضبط نصّه وعلّق عليه شعيب الأرنؤوط وحسن عبد المنعم شلبي وعبد اللطيف حرز الله وأحمد برهوم. بيروت: مؤسّسة الرسالة، ١٤٢٤/ ٢٠٠٤.

الدملوجيّ، توفيق سعيد. *والذكريات*. بيروت: المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر، ٢٠٠٠.

الدملوجيّ، صدّيق. *اليزيدية*. العراق، الموصل، مطبعة الاتحاد، ١٩٤٩.

الدملوجي، فاروق. *تاريخ الأديان: الألوهيّة وتاريخ الآلهة*. بيروت: الأهليّة للنشر والتوزيع، ٢٠٠٤.

الديلميّ، شيرويه بن شهردار. *الفردوس بمأثور الخطاب*، تحقيق السعيد بن بسيوني زغلول. بيروت: دار الكتب العلميّة، ١٤٠٦/ ١٩٨٦.

الديوه جي، سعيد. «مدارس الموصل في العهد العثمانيّ: الجزء الأوّل»، *مجلّة سومر*، العدد ١٨، ١٩٦٢، (٦٥-٩٦).

الديوه جي، سعيد. «مدارس الموصل في العهد العثمانيّ: الجزء الثاني»، مجلّة سومر، العدد ١٩، ١٩٦٣، (٤٨-٦٢).

الديوه جي، سعيد. *تاريخ الموصل*. ج ١. بغداد: المجمع العلميّ العراقيّ، ١٩٨٢.

الديوه جي، سعيد. *تاريخ الموصل*. ج ٢. بغداد: المجمع العلميّ العراقيّ، ٢٠٠١.

الذهبيّ، شمس الدين محمد بن أحمد. *تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام*، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا. بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٦.

الذهبيّ، شمس الدين محمّد. *سير أعلام النبلاء*، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا. بيروت: دار الكتب العلميّة، ٢٠١٠.

رضا، رشيد. *المنار والأزهر*. القاهرة: مطبعة المنار، ١٣٥٢ هـ.

رمضان أفندي، رمضان بن محمّد. *شرح رمضان أفندي على شرح السعد على العقائد النسفيّة*، تحقيق محمّد هادي الشمرخيّ الماردينيّ. تركيا: مكتبة سيدا.

الرمليّ، خير الدين. *الفتاوى الخيريّة لنفع البريّة*. بولاق: المطبعة الميريّة، ط ٢، ١٣٠٠ هـ.

رؤوف، عماد عبد السلام. *الموصل في العهد العثمانيّ: فترة الحكم المحلّيّ ١١٣٩-١٢٤٩هـ/ ١٧٢٦-١٨٣٤ م*. النجف: مطبعة الآداب، ١٩٧٥.

الروياني، عبد الواحد بن إسماعيل. *بحر المذهب*، تحقيق طارق فتحي السيّد. بيروت: دار الكتب العلميّة، ٢٠٠٩.

الريكيّ، حسن بن جمال بن أحمد. *لمع الشهاب في سيرة محمّد بن عبد الوهّاب*، تحقيق عبد الله صالح العثيمين. الرياض: دارة الملك عبد العزيز، ٢٠٠٥.

الزرقاني، محمد بن عبد الباقي. *شرح العلّامة الزرقانيّ على المواهب اللدنيّة بالمنح المحمّديّة*، ضبط محمّد عبد العزيز خالد. بيروت: دار الكتب العلميّة، ١٩٩٦.

الزركليّ، خير الدين. *الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين*. بيروت: دار العلم للملايين، ٢٠٠٢.

السبكيّ، عبد الوهّاب. *طبقات الشافعيّة الكبرى*. تحقيق عبد الفتاح محمّد الحلو ومحمود محمّد الطناجي. القاهرة: دار إحياء الكتب العربيّة، ١٩٦٤.

سبط ابن الجوزي، يوسف. *مرآة الزمان في تاريخ الأعيان وبذيله ذيل مرآة الزمان*. بيروت: دار الكتب العلميّة، ٢٠١٣.

السخاويّ، شمس الدين محمّد. *الضوء اللامع لأهل القرن التاسع*. بيروت: دار الجيل، د.ت.

السخاويّ، شمس الدين محمّد. *المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة*، تحقيق محمّد عثمان الخشت. بيروت: دار الكتاب العربيّ، ١٤٠٥/ ١٩٨٥.

السكندريّ، ابن عطاء الله. *لطائف المنن في مناقب الشيخ أبي العبّاس*، تحقيق عبد الحليم محمود. القاهرة: دار المعارف، سلسلة ذخائر العرب ٨٢، ط ٣، ٢٠٠٦.

السلميّ، أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين. *طبقات الصوفيّة*، تحقيق مصطفى عطا. بيروت: دار الكتب العلميّة.

السهروورديّ، عمر. *عوارف المعارف*، تحقيق عبد الحليم محمود ومحمود بن الشريف. القاهرة: دار المعارف، سلسلة ذخائر العرب ٧٣.

السيوطيّ، جلال الدين. *الباهر في حكم النبيّ ﷺ بالباطن والظاهر*، تحقيق محمّد خيري قيرباش أوغلو. القاهرة: دار السلام، ١٩٨٧.

السيوطيّ، جلال الدين. *تاريخ الخلفاء*. قطر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلاميّة، ط ٢، ٢٠١٣.

السيوطيّ، جلال الدين. *تأييد الحقيقة العليّة*. بيروت: دار الكتب العلميّة، ٢٠٠٦.

السيوطيّ، جلال الدين. *تنبيه الغبيّ في تخطئة ابن عربيّ*، اعتنى به عبد الرحمن حسن محمود. القاهرة: مكتبة الآداب، ١٩٩٠.

السيوطيّ، جلال الدين. *حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة*، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة: دار إحياء الكتب العربيّة – عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٩٦٧.

السيوطيّ، جلال الدين. *الدر المنثور في التفسير بالمأثور*. بيروت: دار الفكر، ٢٠١١. السيوطيّ، جلال الدين. *شرح مقامات جلال الدين السيوطيّ*، تحقيق سمير محمود الدروبي. بيروت: مؤسّسة الرسالة، ١٩٨٩.

السيوطيّ، جلال الدين. *رسالة شعلة نار*. في *ثلاث رسائل للإمام الحافظ جلال الدين السيوطيّ*، تحقيق السيّد عبّاس أحمد صقر الحسيني وحسين محمّد عليّ شكري. بيروت: دار الكتب العلميّة، ٢٠١٠.

الشاذليّ التونسيّ، محمّد. *فرح الأسماع برخص السماع*، تحقيق محمّد الشريف الرحمونيّ. الدار العربيّة للكتاب، ١٩٨٥.

الشعرانيّ، عبد الوهّاب. *كشف الحجاب والران عن وجه أسئلة الجان*. القاهرة: مطبعة حجازي، د.ت.

الشعرانيّ، عبد الوهّاب. *لطائف المنن والاخلاق فى وجوب التحدث بنعمة الله على الاطلاق* المعروف *بالمنن الكبرى*. القاهرة: عالم الفكر، ط٢، ١٩٧٦.

الشعرانيّ، عبد الوهّاب. *الطبقات الكبرى*، تحقيق أحمد عبد الرحيم السايح وتوفيق علي وهبة. القاهرة: مكتبة الثقافة الدينيّة، ٢٠٠٥.

الشعرانيّ، عبد الوهّاب. *اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر* وبهامشه *الكبريت الأحمر في بيان علوم الشيخ الأكبر*. القاهرة: المطبعة الأزهرية المصرية، ط ٢، ١٣٠٧ هـ.

شيت خطّاب، محمود. «الإمام محمّد بن عبد الوهّاب في الموصل»، ضمن *بحوث أسبوع الشيخ محمّد بن عبد الوهّاب*. الرياض: جامعة الإمام محمّد بن سعود الإسلاميّة، ١٩٨٣، ج ١، (٧٣-٨٧).

الصالحيّ الشاميّ، محمّد بن يوسف. *سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد*، تحقيق عبد المعزّ عبد الحميد الجزّار. القاهرة: وزارة الأوقاف، ١٩٩٥.

صائغ الموصليّ، سليمان. *تاريخ الموصل*. ج ١. القاهرة: المطبعة السلفيّة، ١٩٢٣.

صائغ الموصليّ، سليمان. *تاريخ الموصل*. ج ٢. بيروت: المطبعة الكاثوليكيّة، ١٩٢٨.

الصدّيقيّ، محمّد عليّ بن علّان. *الفتوحات الرّبّانيّة على الأذكار النواويّة*. بيروت: دار الكتب العلميّة، ٢٠٠٤.

الطبرانيّ، سليمان بن أحمد. *الدعاء*، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا. بيروت: دار الكتب العلميّة، ١٤١٣ هـ.

الطبرانيّ، سليمان بن أحمد. *المعجم الأوسط*، تحقيق طارق بن عوض الله بن محمّد وعبد المحسن بن إبراهيم الحسينيّ. القاهرة: دار الحرمين، ١٤١٥/ ١٩٩٥.

الطبرانيّ، سليمان بن أحمد. *المعجم الصغير*، تحقيق محمّد شكور بن محمود الحاج أمرير. بيروت: المكتب الإسلاميّ - عمّان: دار عمّار، ١٤٠٥/ ١٩٨٥.

الطبرانيّ، سليمان بن أحمد. *المعجم الكبير* للطبرانيّ، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفيّ. القاهرة: مكتبة ابن تيميّة، ١٤٠٤/ ١٩٨٣.

الطبرانيّ، سليمان بن أحمد. *مسند الشاميّين* للطبرانيّ، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفيّ. بيروت: مؤسّسة الرسالة، ١٤٠٥/ ١٩٨٤.

الطوسيّ، أبو نصر السرّاج. *اللمع في التصوّف*، تحقيق عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور. مصر: دار الكتب الحديثة، ١٩٦٠.

عبد السلام، عزّ الدين. *قواعد الأحكام في مصالح الأنام*، مراجعة طه عبد الرؤوف سعد. القاهرة، مكتبة الكلّيّات الأزهريّة، ١٩٩٤.

العبسيّ، عنترة بن شداد. *ديوان عنترة بن شدّاد العبسيّ*. شرح محمّد العناني. القاهرة: المطبعة الحسينيّة، ١٣٢٩.

العتكي المعروف بالبزّار، أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله. *مسند البزّار*، تحقيق عادل بن سعد وآخرين. المدينة المنوّرة: مكتبة العلوم والحكم، ١٩٨٨-٢٠٠٩.

العثيمين، عبد الله. *الشيخ محمّد بن عبد الوهّاب: حياته وفكره*. الرياض: دار العلوم، ١٩٧٩.

العجلونيّ، إسماعيل. *كشف الخفاء ومزيل الإلباس عمّا اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس*، تحقيق يوسف بن محمود الحاج أحمد. القاهرة: مكتبة دار العلم الحديث، د.ت.

العجيليّ الشافعيّ، سليمان بن عمر. *الفتوحات الإلهيّة بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفيّة*. بيروت: دار الكتب العلميّة، ٢٠١٨.

العزّاويّ، عبّاس. *تاريخ الأدب العربيّ في العراق*. بغداد، المجمع العلمي العراقي، ١٩٦٢.

العسقلانيّ، أحمد بن عليّ ابن حجر. *فتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري*، تحقيق عبد القادر شيبه الحمد. طُبع على نفقة الأمير سلطان بن عبد العزيز آل سعود، ٢٠٠١.

العكبريّ، ابن بطّة. *الإبانة الكبرى*، تحقيق حمد بن عبد المحسن التويجري. الرياض: دار الراية للنشر والتوزيع، ١٤٢٦ هـ.

العلّاف، إبراهيم. «آل الدملوجيّ ودورهم في التاريخ الحديث». *صفحة الدكتور إبراهيم العلّاف*.

عليّ، شاكر عليّ. *ولاية الموصل العثمانيّة في القرن السادس عشر: دراسة في أوضاعها السياسيّة والإداريّة والاقتصاديّة*. عمّان: دار غيداء للنشر والتوزيع، ٢٠١١.

العمريّ، محمّد أمين بن خير الله. *منهل الأولياء ومشرب الأصفياء من سادات الموصل الحدباء*، تحقيق سعيد الديوه جي. الموصل: مطبعة الجمهوريّة، ١٩٦٧-١٩٦٨.

العمريّ الموصليّ، ياسين خير الله. *غاية المرام في تاريخ محاسن بغداد دار السلام*. بغداد: دار منشورات البصريّ، ١٩٦٨.

العمريّ الموصليّ، ياسين خير الله. *غرائب الأثر في حوادث ربع القرن الثالث عشر*، تقديم ومراجعة يوسف عزّ الدين أحمد. لندن: دار الورّاق، ٢٠١٧.

العمريّ الموصلي، ياسين خير الله. *منية الأدباء في تاريخ الموصل الحدباء*، تحقيق سعيد الديوه جي. الموصل: مطبعة الهدف، ٥.

الغزاليّ، أبو حامد محمّد، *إحياء علوم الدين ومعه المغني عن حمل الأسفار في الأسفار*. بيروت: دار ابن حزم، ٢٠٠٥.

الغزاليّ، أبو حامد محمّد. *التفرقة بين الإسلام والزندقة*. السعوديّة: دار المنهاج، ٢٠١٧.

الغزاليّ، أبو حامد محمّد. *جواهر القرآن*. القاهرة: مطبعة كردستان، ١٣٢٩ هـ.

الغزاليّ، أبو حامد محمّد. *منهاج العابدين إلى جنّة ربّ العالمين*. بيروت: دار المنهاج، ٢٠٠٦.

الغزّيّ الدمشقيّ، نجم الدين محمّد بن محمّد. *إتقان ما يحسن من الأخبار الدائرة على الألسن*، تحقيق خليل بن محمّد العربيّ. القاهرة: الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، ط ١، ١٩٩٥.

الفاسيّ، أحمد بن زرّوق. *شرح الحكم العطائيّة*، تحقيق عبد الحليم محمود. القاهرة: مطابع دار الشعب، ١٩٨٥.

فهرس الخزانة التيموريّة. القاهرة: مطبعة دار الكتب المصريّة، ٠.

الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب. *الاغتباط في الردّ على ابن الخيّاط*، ضمن مجموع *النور الأبهر في الدفاع عن الشيخ الأكبر*، جمع أحمد فريد المزيدي. القاهرة: دار كرزة، ٢٠٠٧.

القاري الهرويّ، الملّا عليّ بن سلطان. *تفسير ملّا عليّ القاري الهرويّ المسمّى أنوار القرآن وأسرار الفرقان الجامع بين أقوال علماء الأعيان وأحوال الأولياء ذوي العرفان*، تحقيق ناجي السويد. بيروت: دار الكتب العلميّة، ٢٠١٢.

القاري الهرويّ، الملّا عليّ بن سلطان. *الحرز الثمين للحصن الحصين*، تحقيق محمّد إسحق محمّد آل إبراهيم. الرياض: ٢٠١٣.

القاري الهرويّ، الملّا عليّ بن سلطان. *شرح الشفاء*. بيروت: دار الكتب العلميّة، ٢٠٠١.

القاري الهرويّ، الملّا علّي بن سلطان. *شرح عين العلم وزين الحلم*. القاهرة: دار الثقافة الدينيّة.

القاري الهرويّ، الملّا عليّ بن سلطان. *شرح الملّا عليّ القاري على آداب المريدين للسهروردي*، اعتناء محمّد عبد العزيز عبد الخالق. بيروت: دار الكتب العلميّة، ٢٠٢٠.

القاري الهرويّ، الملّا عليّ بن سلطان. *فتح الأسماع في شرح السماع*، ضمن *مجموع رسائل العلّامة الملّا عليّ القاري*، تحقيق عدد من المحقّقين. إستنبول: دار اللباب، ٢٠١٦.

القاري الهرويّ، الملّا عليّ بن سلطان. *مرقاة المفاتيح*، وهو شرح على كتاب *مشكاة المصابيح* للخطيب التبريزيّ، تحقيق جمال عيتاني. بيروت: دار الكتب العلميّة، ٢٠٠١.

القاري الهرويّ، الملّا عليّ بن سلطان. *مِنَح الروض الأزهر في شرح الفقه الأكبر*، تعليق وهبي سليمان غاوجي. بيروت: دار البشائر الإسلاميّة، ١٩٩٨.

القاسمي، جمال الدين. *تفسير جمال الدين القاسميّ* المسمّى *محاسن التأويل*، طبع وتصحيح محمّد فؤاد عبد الباقي. القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي، ٧.

قاشا، سهيل. *الموصل في العهد الجليليّ ١١٣٩-١٢٥٠هـ/١٧٢٦-١٨٣٤م*. بيروت: دار التنوير ومكتبة السائح، ٢٠١٠.

قاشا، سهيل. *الموصل في القرن التاسع عشر: دراسة سياسيّة ١٨٣٤-١٩٠٩*. بيروت: دار التنوير، ٢٠١٠.

القاضي عياض، عياض بن موسى. *الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض مُذيَّلًا بالحاشية المسمّاة مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفاء للشمنّي*. بيروت: دار الفكر، ١٤٠٩/ ١٩٨٨.

القرطبيّ، أحمد بن عمر. *المفهم لما أشكل من كتاب تلخيص مسلم*، تحقيق محيي الدين مستو وآخرين. دمشق: دار ابن كثير، ط ١، ١٩٩٦.

قره بلوط، عليّ الرضا، وأحمد طوران قره بلوط. *معجم تاريخ التراث الإسلاميّ في مكتبات العالم المخطوطات والمطبوعات*. تركيا، قيصري: دار العقبة، ٢٠٠١.

القسطلّانيّ، أحمد بن محمّد. *إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري*، ضبط محمّد عبد العزيز الخالدي. بيروت: دار الكتب العلميّة، ١٩٩٦.

القشيريّ، عبد الكريم بن هوازن. *الرسالة القشيريّة*، تحقيق عبد الحليم محمود ومحمود بن الشريف. القاهرة: مطابع مؤسّسة دار الشعب، ١٩٨٩.

القضاعيّ، محمد بن سلامة. *مسند الشهاب القضاعيّ*، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفيّ. بيروت: مؤسّسة الرسالة، ١٤٠٧/ ١٩٨٦.

كحّالة، عمر رضا. *معجم المؤلّفين: تراجم مصنّفي الكتب العربيّة*. بيروت: مؤسّسة الرسالة، ١٩٩٣.

كزار، فلاح حسن. «عبد الله الدملوجيّ: سيرة تاريخيّة ١٨٩٠-١٩٧١». *مجلّة دراسات في التاريخ والآثار*، ملحق العدد ٧٢، كانون الأوّل، ٢٠١٩، (٣٧٥-٤١٤).

كومنز، ديفيد. *الإصلاح الإسلاميّ: السياسة والتغيير الاجتماعيّ في سوريا أواخر العهد العثمانيّ*، ترجمة مجيد الراضي. دمشق: دار المدى، ١٩٩٩.

الماوردي، عليّ بن محمّد. *أدب الدنيا والدين* للماورديّ، تحقيق محمّد كريّم راجح. بيروت: دار مكتبة الحياة، ١٩٨٦.

المحلّيّ، جلال الدين. *البدر الطالع في حلّ جمع الجوامع*، تحقيق أبي الفداء مرتضى الداغستاني. دمشق - بيروت: مؤسّسة الرسالة ناشرون، ٢٠٠٥.

محمّد أمين الموصليّ، أكرم بن عبد الوهّاب. *الإمداد شرح منظومة الإسناد*. الموصل: منشورات دار النور للعلوم الشرعيّة والإسناد، ٢٠٠٤.

المراكشيّ، عبد الملك. *الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة*، تحقيق إحسان عبّاس. بيروت: دار الثقافة، ١٩٦٥.

المرتضى، عليّ بن الحسين. *الأمالي* للشريف المرتضى. القاهرة: مطبعة السعادة، ١٩٠٧.

المقحفيّ، إبراهيم محمّد. *معجم البلدان والقبائل اليمنية*. صنعاء: دار الكلمة للطباعة والنشر وبيروت: المؤسّسة الجامعيّة للدراسات، ٢٠٠٢.

المقدسيّ، محمّد بن أحمد. *أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم*. ليدن: بريل، ط ٢، ١٩٠٦.

المقدسيّ، محمّد بن عبد الواحد. *الأحاديث المختارة*، دراسة وتحقيق عبد الملك بن عبد الله بن دهيش. بيروت: دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٠/ ٢٠٠٠.

المكّيّ، أبو طالب محمّد. *قوت القلوب*، تحقيق عاصم إبراهيم الكيّاليّ. بيروت: دار الكتب العلميّة، ١٤٢٦/ ٢٠٠٥.

الملطيّ، عبد الباسط. *نيل الأمل في ذيل الدول*، تحقيق عمر عبد السلام التدمريّ. بيروت: المكتبة العصريّة، ٢٠٠٢.

المناويّ، محمّد عبد الرؤوف. *فيض القدير شرح الجامع الصغير من كلام البشير النذير*، تحقيق أحمد عبد السلام. بيروت: دار الكتب العلميّة، ٢٠٠١.

المنذريّ، عبد العظيم. *الترغيب والترهيب من الحديث الشريف* للمنذريّ، تحقيق إبراهيم شمس الدين. بيروت: دار الكتب العلميّة، ١٤١٧ هـ.

المورويّ المكّيّ، محمّد بن عبد العظيم. *القول السديد في بعض مسائل الاجتهاد والتقليد*، تحقيق جاسم بن محمّد الياسين وعدنان بن سالم الروميّ. الكويت: دار الدعوة، ١٩٨٨.

الموصليّ، أبو يعلى أحمد بن عليّ بن المثنى التميميّ. *مسند أبي يعلى*، تحقيق حسين سليم أسد. دمشق: دار المأمون للتراث، ١٤٠٤/ ١٩٨٤.

النابلسيّ، عبد الغني. *الحديقة الندّية في شرح الطريقة المحمّدّية*. طبعة حجريّة. القاهرة: د.ن، ١٨٥٩.

النابلسي، عبد الغني. *الوجود الحقّ*، تحقيق بكري علاء الدين. دمشق: المعهد الفرنسيّ للدراسات العربيّة، ١٩٩٥.

النجديّ المكّيّ، محمّد بن عبد الله بن حميد. *السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة*، تحقيق بكر بن عبد الله أبو زيد وعبد الرحمن العثيمين. بيروت: مؤسّسة الرسالة، ١٤١٦/ [١٩٩٦].

النسائيّ، أحمد بن شعيب. *السنن الكبرى للنسائيّ*، حقّقه وأخرج أحاديثه حسن عبد المنعم شلبي. بيروت: مؤسّسة الرسالة، ١٤٢١/ ٢٠٠١.

النقشبنديّ، أسامة. «مخطوطات الخزانة الآلوسيّة في مكتبة المتحف العراقيّ». مجلّة *المورد*، المجلّد ٤، العدد ١، ربيع ١٩٧٥، (١٧٥-٢٠٦).

النووي، يحيى بن شرف. *بستان العارفين*. تحقيق محمد الحجار. بيروت: دار البشائر، ٢٠٠٦.

النوويّ، يحيى بن شرف. *صحيح مسلم بشرح النووي*. مؤسّسة قرطبة، ط ٢، ١٩٩٤.

النيسابوريّ، مسلم بن الحجّاج. *صحيح مسلم*، تحقيق محمّد فؤاد عبد الباقي. القاهرة: دار إحياء الكتب العربيّة؛ بيروت: دار إحياء التراث العربيّ، ١٤١٢/ ١٩٩١.

الهلاليّ، عبد الرزّاق. *تاريخ التعليم في العراق في العهد العثمانيّ ١٦٣٨ م-١٩١٧ م*. بغداد: شركة الطبع والنشر الأهليّة، ٩.

الهنديّ، عليّ المتّقي. *رسالة تبيين الطريق إلى الله* في:

Muhammad Saghir Hasan Maʿsumi, "Shaykh ʿAlī al-Muttaqī's Risālah *Tabyīn al-Ṭuruq*," Islamic Studies, Vol. 3, No. 3 (Sep. 1964), pp. 339-373.

الهنديّ، محمّد عبد الحقّ بن شاه الحنفيّ. *الإكليل على مدارك التنزيل وحقائق التأويل للإمام النسفيّ*، تحقيق محيي الدين أسامة البيرقدار. بيروت: دار الكتب العلميّة، ٢٠١١.

الهيتميّ المكّيّ، أحمد بن حجر. *تحفة المحتاج بشرح المنهاج*، تعليق سيّد بن محمّد الساريّ. القاهرة: دار الحديث، ٢٠١٦.

الهيتميّ المكّيّ، أحمد بن حجر. *الصواعق المحرقة في ردّ أهل البدع والزندقة*. بيروت: دار الكتب العلميّة، ٢٠٠٩.

الهيتميّ المكّيّ، أحمد بن حجر. *الفتاوى الحديثيّة*. بيروت: دار المعرفة، د.ت.

الهيتميّ المكّيّ، أحمد بن حجر. *كفّ الرعاع عن محرّمات اللهو والسماع*، تحقيق عادل عبد المنعم أبو العبّاس. القاهرة: مكتبة القرآن.

الهيتميّ المكّيّ، أحمد بن حجر. *المنح المكّيّة في شرح الهمزيّة المسمّى أفضل القِرى لقرّاء أمّ القُرى*، تحقيق أحمد جاسم المحمّد وبوجمعة مكري. بيروت: دار المنهاج، ٢٠٠٥.

الورّاق، محمّد بن عبد العزيز. *تخميس القصائد الوتريّة في مدح خير البريّة*، تصحيح أحمد المبارك الخزرجيّ الأنصاريّ. مصر: دار الأنصار، د.ت.

الوزّانيّ، أبو عيسى المهديّ. *النوازل الجديدة الكبرى فيما لأهل فاس وغيرهم من البدو والقرى* المسمّاة بالمعيار الجديد *الجامع المعرب عن فتاوى المتأخّرين من علماء المغرب*، تحقيق محمّد السيّد عثمان. بيروت: دار الكتب العلميّة.

يحيى، عثمان. *مؤلفات ابن عربي: تاريخها وتصنيفها*، ترجمة وتحقيق أحمد الطيّب. القاهرة: الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، ٢٠٠١.

El-Rouayheb, Khaled. "From Ibn Hajar al-Haytami (d. 1566) to Khayr al-Din al-Alusi (d. 1899): changing views of Ibn Taymiyya among non-Hanbali Sunni scholars", in *Ibn Taymiyya and His Times*, eds. Yossef Rapoport and Shahab Ahmed. Karachi: Oxford University Press, 2015, (pp. 269-318).

El-Rouayheb, Khaled. *Islamic Intellectual History in the Seventeenth Century: Scholarly Currents in the Ottoman Empire and the Maghreb*. New York: Cambridge University Press, 2015.

Eroğlu, Cengiz et al., eds. *Mosul in the Ottoman Vilâyet Salnâmes*, trans. Ümit İldan. Ankara: ORSAM, 2012.

Fattah, Hala Mundhir, and Frank Caso. *A Brief History of Iraq*. New York: Facts on File, 2009.

Geoffroy, Éric. *Le soufisme en Égypte et en Syrie: Sous les derniers Mamelouks et les premiers Ottomans: Orientations spirituelles et enjeux culturels*. Damas: Institut français d'étudesarabes de Damas, 1996.

Gökhan, Çetinsaya. *Ottoman Administration of Iraq, 1890-1908*. London and New York: Routledge, 2006.

Kemp, Percy. "Mosul and Mosuli Historians in the Jalīlī Era (1726-1834)". PhD Diss., University of Oxford, 1979.

Khoury, Dina Rizk. *State and Provincial Society in the Ottoman Empire: Mosul, 1540-1834.* Cambridge: Cambridge University Press, 1997.

Kiyotaki, Keiko, ed. *Ottoman Land Reform in the Province of Baghdad*. Leiden and Boston: Brill, 2019.

Kostiner, Joseph. *The Making of Saudi Arabia, 1916-1936: From Chieftaincy to Monarchical State*. New York and Oxford: Oxford University Press, 1993.

Margoliouth, D. S. "Wahhābīya", in *EI1*, online.

Metcalf, Barbara Dali. *Islamic Revival in British India: Deoband, 1860-1900*. Princeton, NJ: Princeton University Press, 1982.

Nafi, Basheer M. "Salafism Revived: Nuʿmān al-Alūsī and the Trial of Two Aḥmads". *Die Welt des Islams*, vol. 49, 2009, (49-97).

Olson, Robert W. *The Siege of Mosul and Ottoman-Persian Relations 1718-1743: A Study of Rebellion in the Capital and War in the Provinces of the Ottoman Empire*. Bloomington: Indiana University Publications, 1975.

Weismann, Itzchak. "Genealogies of Fundamentalism: Salafi Discourse in Nineteenth-Century Baghdad". *British Journal of Middle Eastern Studies*, vol. 36, no. 2, August 2009, (267-280).

Yapp, Malcolm (ed.). *British Documents on Foreign Affairs--Reports and Papers from the Foreign Office Confidential Print: Afghanistan, Persia, Turkey and Iraq*. Washington D.C.: University Publications of America, 2002.

المحتويات

مقدّمة التحقيق ٧
الموصل في الحكم الجليليّ ٨
الحياة الفكريّة والدينيّة في الموصل في ظلّ الحكم الجليليّ ١٠
من الصوفيّة إلى السلفيّة في العراق ١٤
النزعات السلفيّة في الموصل في القرن الثاني عشر/ الثامن عشر ١٤
مسألة طلب محمّد بن عبد الوهّاب العلم في الموصل ١٧
تزايد تأثير التيّار السلفيّ في بغداد ٢٠

عائلة الدملوجيّ ٢٦
الشيخ عبد الله بن مصطفى الدملوجيّ (ت. ١٢٥٩/ ١٨٤٣) ٣٢
مشايخه ٣٦
تلامذته ٣٨
مؤلّفاته ٤٠

كفّ المُعارِض ببراءة ابن عربيّ وابن الفارض ٥١
وصف المخطوطات ٥٥
عملنا في التحقيق ٥٨

متن كفّ المُعارِض ببراءة ابن عربيّ وابن الفارض ٦٣
[ثناء العلماء الأعلام على الشيخ الأكبر ابن عربي الحاتميّ] ٧٢
[حسن الظنّ بالمسلم وتأويل كلام الصالحين] ٨٢
[الأولياء ووصفهم] ٨٥
[مسألة التكفير] ٩٠
[عودة لمسألة الولاية] ٩٥

[ابتلاء الأولياء] ٩٨
[معنى الفناء] ١٠٧
[التمسّك بالشريعة] ١١٧
[مسألة الذكر] ١٢٢
[في فضل الصلاة على النبيّ عليه السلام: من أوراد الأويسيّة] ١٣١
[من أوراد النقشبنديّة] ١٣٤
[من البدع المستشنعة التي لم يرد بها نصّ شرعيّ] ١٣٦
[مجاهدات الصوفيّة لا تعارض أمر النبيّ بالاقتصاد والتوسّط] ١٤٣
[عقائد الصوفيّة مبنيّة على أصول صحيحة من التوحيد] ١٥٣
[مسألة السماع عند الصوفيّة] ١٥٧
[وصيّة: المرء مع من أحبّ] ١٥٩
[التحذير من مدّعي الولاية] ١٦٣
[التقرّب إلى الله بالنوافل] ١٦٧
[ما ينافي المشيخة] ١٦٩
[تمييز مدّعي الصوفيّة ومعرفة الرجال بالحقّ] ١٧١
[خاتمة: وهي تتعلّق بمسألة الكرامات] ١٧٣

فهرست الآيات ١٧٩
فهرست الحديث والأثر ١٨٣
فهرست الأعلام ١٨٩
فهرست الأماكن ١٩٩
فهرست التصانيف الواردة في المتن ٢٠١
فهرست الأشعار ٢٠٥
المصادر والمراجع ٢٠٧